محمّد سعيد الطريحي

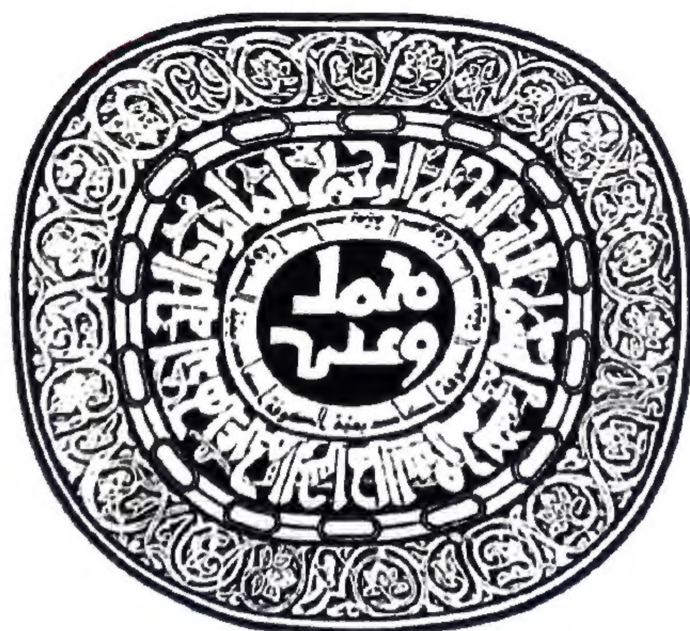


عوالم السِّحر وأسرار علم الحروف والتنبؤات

عوالم السحر وعلم الحروف والتنبؤات

ألّف بينها وأضاف لها وقدّمها

محمّد سعيد الطريحي



المجمع العلمي الفاطمي



اَللّٰهُمَّ يَسِّرْ وَتَمِّمْ

وَصَلِّ عَلَىٰ نَبِيٍّ خَيْرِ الْأُمَمْ

وَعَلَىٰ وَصِيِّهِ الْحَيْدَرِ الْكَرَّارْ

فَتَىٰ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَذِي الْفَقَارْ

وَعَلَىٰ آلِهِ الْمَيَامِينْ

وَأَوْلِيَائِهِمُ الْمُصَابِرِينْ

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي



أكاديمية الكوفة

هولندا

المراسلات

KUFAACADEMY P.O.Box: 1113
3260 AC Oud-beijerland - The Netherlands
e-mail: Saltouraihi@yahoo.com
www.almawsem.org



رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت

السلام على آدم صفوة الله السلام على
نوح نبي الله السلام على ابراهيم خليل الله
السلام على موسى كليم الله السلام على
عيسى روح الله السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا خير خلق الله السلام
عليك يا محمد بن عبد الله خاتم النبيين
السلام عليك يا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب

المكتبة الملكية - لاهاي ISSN 13842773

الموسم

لصاحبها محمد سعيد الطريحي

الفهـرس



نشأة السحر وتطوره

يعتبر السحر في عصرنا، عصر العلم والنور، أثراً من آثار العصور الغابرة، وبقية ذاهبة من المدنيات القديمة المتأخرة، وليس للسحر في عصرنا مكان في المجتمعات المتمدنة المستنيرة وأن كان ما يزال يحتل مكانه بين الطبقات الدنيا والجاهلة، وفي المجتمعات الساذجة، بيد أن السحر في العصور القديمة كان يتبوأ أعظم مكانة، وكان يعتبر هبة الإفهام الرفيعة وملاذ الأسرار والقوى الخفية، وكان للسحرة الذين ينكرهم عصرنا وتلفظهم مجتمعاتنا المستنيرة في كثير من المجتمعات القديمة، الكلمة العليا في شؤون الدولة والمجتمع، وكان يغمر السحر والسحرة في هاتيك العصور والمجتمعات نوع من الخفاء المروع يرتفع بهما إلى ما فوق البشر.

وللسحر تاريخه كأي العلوم أو الفنون، ولدينا عن تاريخه وأطواره تراث ضخم. والظاهر أن تاريخ السحر يرجع إلى أقدم عصور الخليقة، ذلك أن الذهن الإنساني يتأثر بالظواهر والخوارق الطبيعية منذ أقدم العصور. ويلتمس السبيل لفهمها والاستفادة منها في تنظيم حياته وسلامته، والسحر مبعثه ومظهره الخارق والمجهول. وقد كان للسحر في المدنيات القديمة في الصين والهند وفي فارس وبابل ومصر أكبر مقام وأعظم أثر وكان السحرة أصحاب السلطان والنفوذ في تلك الدول القديمة يوجهون الملوك والأمراء والقادة، ويلجأ هؤلاء إليهم في العظائم والشدائد والمحن، يستمدون منهم النصح والعون، ويعتمدون عليهم في تعرف الغامض والخفي واكتشاف المستقبل والمجهول. وكان السحرة في تلك العصور ينضوون تحت لواء الدين ويمزّج السحر بالأساطير الدينية وكان أقطاب الكهنة هم غالباً أقطاب السحرة. ثم أخذت أهمية السحر تتضاءل على كرِّ العصور بانحلال هذه المدنيات الغابرة. وفقد السحرة مكانتهم القديمة ولم يلبثوا أن غدوا موضع الريب ثم غدوا موضع الاضطهاد والمطاردة وبذا دالت دولة السحر التي استمرت عصوراً طويلة في ظل المدنيات والدول القديمة.

وكان السحر ذائعاً عند العرب قبل الإسلام. وقد أخذوا عن الفرس والآشوريين والمصريين وغيرهم من الأمم القديمة المجاورة التي ازدهر فيها السحر وكان يتخذ لديهم صوراً مختلفة كالعرافة والكهانة ومعرفة أسرار الطلاسم وتسخير القوى الخارقة وكان للسحرة والكهنة مكانتهم ونفوذهم في مجتمعات الجزيرة في تلك العصور فلما جاء

الإسلام فقد السحر مكانته كفن من فنون الخفاء والغيب وقد أشار القرآن إلى السحر في غير موضع ولم ينكره الإسلام كفن أو علم قائم. ولكنه لم يقره ولم يقر وسائله ومزاعمه في تسخير القوى الخارقة. ويضع ابن خلدون السحر بين العلوم ويعرفه بأنه (علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر أما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات) ويعلل لنا تحريم الإسلام للسحر في قوله: «لما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر لما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقود بين الناس إلا ما وجد في كتب الأمم الأقدمين» ثم يفيض ابن خلدون بعد ذلك في شرح السحر وأنواعه ومراتبه في فصل بديع نكتفي بالإحالة عليه(١).

على أن السحر تطور في بعض مظاهر القديمة واتخذت هذه المظاهر صوراً علمية مشروعة فمن ذلك التنجيم والفلك وتحويل الأجسام النوعية وقد كانت هذه الفنون من قبل تعتبر من صميم السحر أو تمت إليه بأعظم صلة. ولكنها ازدهرت في الدول الإسلامية كعلوم مشروعة مستقلة ونبغ فيها جمهرة من أكابر العلماء وأضحى الفلك بالأخص من أجل العلوم الرياضية وأما تحويل الأجسام النوعية أو صناعة السيمياء، وهي تقوم بالأخص على تحويل المعادن والأجسام المنحطة إلى معدن كالذهب أو الفضة فقد كانت فناً جليلا أخذ المسلمون في ميدانه بأعظم قسط ولاسيما في الأندلس.

وعلى أي حال فقد كان السحر ذائعاً في المجتمعات الإسلامية ولاسيما تلك التي لم تنضج حضارتها. وكان وسيلة ذائعة لمعرفة الغيب واكتشاف الكنوز وشفاء الأمراض كما كان وسيلة لتحقيق المزاعم والغايات الشريرة وكان السحر دائماً من أعمال الخفاء المحرمة وكان السحرة في الغالب موضع الروع والريب بيد أن مطاردة السحر والسحرة لم تتخذ في ظل الحكومات الإسلامية تلك الصور المروعة التي اتخذتها في ظل الحكومات النصرانية في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث.

وقد نبغ في دراسة السحر وأسراره وملاحمه عدة من العلماء المسلمين مثل أبي معشر البلخي وجابر بن حيان من أهل المشرق ومسلمة بن أحمر المجريطي من أهل الأندلس. بيد أنَّ هؤلاء كانوا في الواقع علماء نبغوا في التنجيم والفلك والسيمياء ووضعوا فيها مصنفات جامعة تمتاز بطابعها العلمي.

وقد رأينا السحر فقد مكانته الرفيعة بانقراض المدنيات القديمة التي ازدهر فيها ولكنه لبث خلال العصور الوسطى محتفظاً بسلطانه القوي على طبقات المجتمع

---

(١) مقدمة ابن خلدون (بولاق) ص٤١٤ وما بعدها.

كلها ينفث خفاءه وروعته في أذهان الكافة والخاصة معاً بيد أنه يتخذ خلال العصور الوسطى صوره البغيضة ويغدو من القوى الشريرة التي يخشى شرها وبأسها ويغدو السحرة من العناصر الممقوتة التي يخصها المجتمع ببغضه ومطاردته، ويعتبر خطراً على أمنه وسلامته وتكثر المطاردات الدموية المروعة التي تثيرها تهمة السحر وتدفع بالسحرة إلى أشنع ألوان العذاب والموت.

وهنا ينعت السحر (بالأسود) والسحر الأسود يرمي إلى تحقيق النيات الخبيثة والغايات الشريرة بخلاف السحر الأبيض الذي يتعلق بأعمال الخير ويرجع ذلك إلى الاعتقاد السائد في العصور الوسطى بأن هناك أرواح خير وأرواح شر. وقوام السحر الأسود كما عرف في تلك العصور هو التدنيس والتوجه إلى الأرواح الخبيثة والتوسل إلى الشيطان بتدنيس الشعائر الدينية وانتهاك الحرم ويعرف لنا ابن خلدون السحر الأسود بما يماثل هذا المعنى في قوله: (ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجيه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له. والوجه إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفراً والكفر من مواده وأسبابه كما رأيت[1]، وإذن فقد كان الطابع الأسود يغلب على السحر في المجتمعات الإسلامية بيد أن حركة السحر الأسود التي اجتاحت المجتمعات النصرانية في العصور الوسطى كانت حركة خاصة تمتاز بروعة وسائلها وغاياتها وكانت حركة منظمة لها دعاة في معظم الأقطار. وقد ذاعت في فرنسا في أوائل القرن الخامس عشر بنوع خاص وتزعمها سيد وقائد كبير هو الماريشال دي رتز الذي ارتد عن دينه وحاول أن يتوسل إلى محالفة الشيطان بأروع الوسائل كتعذيب الأطفال وقتلهم قرباناً وتدنيس الشعائر الدينية وإقامة القداس الأسود وارتكاب أشنع الحرم وقد اشتدت الكنيسة في مطاردة هذه الحركة وحوكم الماريشال وأعدم ولكن الحركة لم تخمد بسرعة بل لبثت زهاء قرن تجتاح المجتمعات الأوربية وتفتك مبادئها ورسومها الخبيثة بعقول الكافة والخاصة معاً.

وفي أوائل القرن السادس عشر هَبَّت على المجتمعات الأوربية ريح شاملة من الدعوة إلى الخفاء وظهر السحرة في كل مكان وذاعت مزاعمهم ووسائلهم ذيوعاً كبيراً ونشطت السلطات الدينية والمدنية في مختلف الدول لمطاردتهم. وكان السحر يعتبر في ذلك العصر جريمة شنيعة يعاقب عليها بأروع العقوبات بالتعذيب والإعدام والحرق والمصادرة. ومما يروى للدلالة على اشتداد السلطات في مطاردة هذه الحركة

---

(١) المقدمة ص ٤١٥.

الخطيرة. إنه أحرق في مدينة جنيف سنة ١٥١٥ خمسمائة ساحر وأحرق في بامبرج ستمائة وفي فوتمبورج ثمانمائة. وقضى برلمان تولوز بإحراق أربعمائة في حكم واحد. ويقدّر جان بودان مؤرخ السحر بأن عدد السحرة في ذلك العصر كان يبلغ زهاء مليونين.

ونلاحظ أن «السحر الأسود» كان أيضاً موضع الريب والمطاردة في المجتمعات الإسلامية. وكان يعاقب عليه غالباً بالقتل لأنه كان يعتبر بوسائله وغاياته كفراً وردة عقابهما القتل. والظاهر أن هذه الحركة لم تكن حركة عرضية مبعثها شغف الخفاء فقط وإنما كانت حركة منظمة ترعاها من وراء ستار شخصيات وقوى خفية، وترمي إلى غايات بعيدة المدى. ويرى بعض الباحثين أن مبعثها تعاليم «الكابالا» اليهودية وهي التعاليم العبرية في شؤون الخفاء ومدارك الغيب، وإنها التعاليم اليهودية هي التي كانت تغذى حركة السحر والخفاء، وفي القرن السادس عشر استطاع العلامة اليهودي إسحاق لوريا أن يصوغ من التعاليم الكابالية منهاجاً عملياً لدراسة السحر والاتصال بعالم الغيب وشعوذة الأرقام والملاحم، وكانت تهمة السحر الأسود تنسب دائماً إلى اليهود في تلك العصور، بل مازالت تنسب إليهم في عصرنا في بعض المجتمعات الأوروبية المتعصبة.

وفي أواخر القرن السادس عشر هدأت حركة السحر الأسود نوعاً واستحالت إلى مغامرات فردية. وكان لمحاكم التحقيق الشهيرة (التفتيش) فضل كبير في مطاردة هذه الحركة وتمزيقها لأن السحر كان يعتبر كفراً يعاقب عليه بأروع صنوف العقاب. وفي القرن السابع عشر نشطت الحركة مدى حين في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر وانتهت بقضايا السحرة الشهيرة التي لحقت وصمتها عدة من السادة والأكابر. ولبثت تبدو بعد ذلك في حركات متقطعة في بعض أرجاء القارة حتى جاء عصر النور والعرفان فقضى على فلولها وبقاياها. بيد أن شغف السحر لم ينفق تماماً حتى في عصرنا فما زالت الأذهان الساذجة وبعض النفوس المكلومة أو اليائسة حتى في أرقى البيئات والمجتمعات تلتجئ إلى السحر وتلتمس فيه عزاء وبراء واكتشافاً للغيب والمجهول وما زلنا نرى صنوفاً من أعمال الخفاء والشعوذة تقوم غالباً على الخديعة والغش وأحياناً على ظواهر يعسر فهمها. ومازال الخفاء بما فيه من روعة وشغف بالخارق والمجهول يستثير طلعة الكافة دائماً والخاصة في كثير من الأحيان.

حقيقة السحر وأنواعه

الشيخ رشيد رضا

كان السحر فناً من فنون قدماء المصريين يتعلمونه في مدارسهم العالية مع سائر علوم الكون، وكان كذلك عند أقرانهم من البابليين، وكذا الهنود وغيرهم، ولا يزال يؤثر عن الوثنيين منهم أعمال سحرية غريبة اهتدى علماء الإنكليز وغيرهم من الإفرنج إلى تعليل بعضها أو كشف حقيقته ولا يزالون يجهلون تعليل بعض. والمعنى الجامع للسحر أنه أعمال غريبة من التلبيس والحيل يخفى حقيقتها على جماهير الناس لجهلهم بأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه، ولذلك كان الأقوام الجاهلون يعدون آيات الرسل الكونية التي يؤيدهم الله تعالى بها من قبيل السحر ويجعلون هذا مانعاً من دلالتها على صدقهم وتأييد الله تعالى لهم، لأن السحر صنعة تتلقى بالتعليم والتمرين فيمكن لكل أحد أن يكون ساحراً إذا أتيح له من يعلمه السحر. ومن المعلوم في التاريخ القديم والحديث أن السحر لا يروج إلاّ بين الجاهلين وله المكانة المهيبة المخيفة بين أعرق القبائل في الهمجية، ولا يكاد يوجد في البلاد التي ينتشر فيها العلم والعرفان بل يسمى أهله بأسماء أخرى كالمشعوذين الذين يخيلون للناس مالا حقيقة له كما فعل سحرة فرعون.

وبيان حقيقة السحر أنه ثلاث أنواع **(احدها)** ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعامل المجهولة عند من يسحرهم بها ومنها الزئبق الذي قيل إن سحرة فرعون وضعوه في حبالهم وعصيهم كما سيأتي. ولو شاء علماء الطبيعة والكيمياء في هذا العصر أن يجعلوا أنفسهم سحرة في بلاد إفريقية الهمجية وأمثالها من البلاد الجاهلة التي يروج فيها السحر العتيق لأروهم من عجائب الكهرباء وغيرها ما يخضعونهم به لعبادتهم لو ادعوا الألوهية فيهم، دع دعوى النبوة أو الولاية.

وقد اجتمع السحرة في بعض هذه البلاد على بعض السياح الغربيين ليرهبوا بسحرهم وكانوا في مكان بارد والفصل شتاء فأخذ بعض هؤلاء السياح قطعة من الجليد وجعلها بشكل عدسي بقدر ما يرى من قرص الشمس وقال هلم إنني أعلم منكم بالسحر وإنني أقدر به أن أجعل في يدي شمساً كشمس السماء ثم وجه عدسته إلى الشمس عند بزوغها واكتمال ضوئها فصارت بانعكاس النور فيها

كالشمس لم يستطيع السحرة أن يثبتوا نظرهم إليها فخضعوا له ولمن معه وكفوا شرهم عنهم.

(النوع الثاني) الشعوذة التي مدار البراعة فيها على خفة اليدين في إخفاء بعض الأشياء وإظهار بعض، وآراء بعضها بغير صورها، وغير ذلك مما هو معروف في هذه البلاد وغيرها من بلاد الحضارة بكثرة المكتسبين من الوطنيين والغرباء ولم يبق أحد في هذه البلاد يسميها سحراً.

(النوع الثالث) ما مداره على تأثير الأنفس ذوات الإرادة القوية في الأنفس الضعيفة ذات الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات التي تسمى في عرف علماء هذا العصر بالهستيرية، وهذا النوع هو الذي قيل أن أصحابه يستعينون على أعمالهم بأرواح الشياطين، ومنهم الذين يكتبون الأوفاق والطلسمات للحب والبغض وغير ذلك. ومن يقول أن للحروف خواص وتأثيرات ذاتية يخرج عمل الأوفاق والنشرات وما في معناها من السحر. ومن هذا النوع ما استحدث في هذا العصر من التنويم المغناطيسي وأخباره مشهورة.

وقد سبق أن خطأ من قال من المتكلمين أن السحر من خوارق العادات الذي هو الجنس الجامع لمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وفاتهم أن السحر صناعة تتلقى بالتعليم كما ثبت بنص القرآن وبالاختبار الذي لم يبق فيه بين أحد من علماء الكون في هذا العصر.

ولعلمائنا كلام كثير في السحر بعضه صحيح وبعضه أوهام وإننا ننقل هنا كلام بعض كبار محققي المفسرين فيه. ومن أحضره وأفيده قول ابن فارس: هو إخراج الباطل في صورة الحق. وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته لغريب القرآن ما نصه:

تعريف السحر ومأخذه من اللغة

السحر[1] طرف الحلقوم والرئة وقيل انتفخ سحره وبعير سحر عظيم السحر والسُحارة (بالضم) ما ينزع من السحر عند الذبح فيرمي وجعل بناؤه بناء النفاية والسقاطة وقيل منه اشتق السحر وهو إصابة السحر. والسحر يقال على معان.

(الأول) الخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للإسماع وعى ذلك قوله تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) وقال (يخيل إليه من سحرهم) وبهذا النظر سموا موسى عليه السلام ساحراً فقالوا (يا أيها الساحر ادع لنا ربك).

(١) ذكره بالفتح وفيه ثلاث لغات بأوزان فلس وسبب وقفل.

(والثاني) استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليهم كقوله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) وعلى ذلك قوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر).

(والثالث) ما يذهب إليه الاغتام وهو اسم لفعل أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المحصلين. وقد تصور من السحر تارة حسنه فقيل «إن من البيان لسحراً» وتارة دقة فعله حتى قالت لأطباء الطبيعة ساحرة وسموا الغذاء سحراً من حيث أنه يدق ويلطف تأثيره.

وقد عقد الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع باباً خاصاً من تفسيره الجليل (أحكام القرآن) لبيان معنى السحر وحكم الساحر عند كلامه على قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). قال في أوله (الواجب أن نقدم القول في السحر لخفائه على كثير من أهل العلم فضلاً عن العامة ثم نعقبه بالكلام في حكمة في مقتضى الآية في المعاني والأحكام فنقول إن أهل اللغة يذكرون أن أصله في اللغة لما لطف وخفي سببه والسَحَر عندهم بالفتح هو الغذاء لخفائه ولطف مجاريه، قال لبيد:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

قيل فيه وجهان: نعلل ونخدع كالمسحور والمخدوع - والآخر نغذى وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء.

وقال آخر:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وهذا البيت يحتمل من المعنى ما احتمله الأول، ويحتمل أيضاً أنه أراد بالمسحر أنه ذو سحر. والسحر الرئة وما يتعلق بالحلقوم، وهذا يرجع إلى معنى الخفاء أيضاً. ومنه قول عائشة: توفي الرسول الله (ص) بين سحري ونحري وقوله تعالى (إنما أنت من المسحرين) يعني من المخلوق الذي يطعم ويسقي. ويدل عليه قوله تعالى (وما أنت إلا بشر مثلنا) وكقوله تعالى (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ويحتمل أنه ذو سحر مثلنا. وإنما يذكر السحر في مثل هذه المواضع لضعف هذه الأجساد ولطافتها ورقتها، لها مع ذلك قوام الإنسان - فمن كان بهذه الصفة فهو ضعيف محتاج - وهذا هو

معنى السحر في اللغة ثم نقل هذا الاسم إلى كل أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع. ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله. وقد أجرى مقيدا فيما يمتدح ويحمد كما روى (إن من البيان لسحرا).

(وهنا ذكر الجصاص روايته لهذا الحديث وهو في الصحيح وأطال الكلام عليه في زهاء ورقة كبيرة ذكر في أثنائه سحر سحرة موسى لأعين الناس وتخيلهم أن حبالهم وعصيهم تسعى ولم تكن تسعى، وذكر ما قيل من حيلتهم في ذلك بوضع الزئبق فيها وتحريك النار الخفية للزئبق فكان سبب حركتها، وسيأتي نقل ذلك عنه قريباً. ثم ذكر قصة تاريخية في أصل السحر ببابل وقفّى عليها ببيان أنواعه فقال:

كلام الجصاص في السحر وأنواعه

«وإذ قد بينا أصل السحر في اللغة وحكمه عند الإطلاق والتقييد فلنقل في معناه في التعارف والضروب الذي يشتمل عليها هذا الاسم وما يقصد به كل فريق من منتحليه، والغرض الذي يجري إليه مدعوه، فنقول: وبالله التوفيق إن ذلك ينقسم إلى أنحاء مختلفة.

فمنها سحر أهل بابل الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» وكانوا قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة. ويعتقدون أن حوادث العالم كلها من أفعالها، وهم معطلة لا يعترفون بالصانع الواحد المبدع للكواكب وجميع أجرام العالم، وهم الذين بعث الله تعالى إليهم إبراهيم خليله صلوات الله عليه فدعاهم إلى الله تعالى وحاجهم بالحجاج الذي بهرهم به وأقام عليهم به الحجة من حيث لم يمكنهم دفعه، ثم ألقوه في النار فجعلها الله برداً وسلاماً. ثم أمره الله تعالى بالهجرة إلى الشام. وكان أهل بابل وإقليم العراق والشام ومصر والروم على هذه المقالة إلى أيام بيوراسب الذي تسميه العرب الضحاك. وأن افريدون وكان من أهل دنباوند استجاش عليه بلاده وكاتب سائر من يطيعه وله قصص طويلة حتى أزال ملكه وأسره. وجهال العامة والنساء عندنا يزعمون أن افريدون حبس بيوراسب في جبل دنباوند العالي على الجبال وأنه حي هناك مقيد، وأن السحرة يأتونه هناك فيأخذون عنه السحر، وأنه سيخرج فيغلب على الأرض وأنه هو الدجال الذي أخبر به النبي عليه السلام وحذرناه، وأحسبهم أخذوا ذلك عن المجوس. وصارت مملكة إقليم بابل للفرس، فانتقل بعض ملوكهم إليها في بعض الأزمان فاستوطنوها، ولم يكونوا عبدة أوثان، بل كانوا موحدين مقرين بالله وحده،

إلا أنهم مع ذلك يعظمون العناصر الأربعة الماء والنار والأرض والهواء لما فيها من منافع الخلق، وإن بها قوام الحيوان، وإنما حدثت المجوسية فيهم بعد ذلك في زمان كشتاسب حين دعاه زرادشت فاستجاب له على شرائط يطول شرحها، وإنما غرضنا في هذا الموضع الإبانة عما كانت عليه سحرة بابل. ولما ظهرت الفرس على هذا الإقليم كانت تتدين بقتل السحرة وإبادتها ولم يزل ذلك فيهم ومن دينهم بعد حدوث المجوسية فيهم وقبله إلى أن زال عنهم الملك.

وكانت علوم أهل بابل قبل ظهور الفرس عليهم الحيل والنيرنجيات وأحكام النجوم، وكانوا يعبدون أوثاناً قد عملوها على أسماء الكواكب السبعة وجعلوا لكل واحد منها هيكلاً فيه صنمه ويتقربون إليها بضروب من الأفعال على حسب اعتقاداتهم من موافقة ذلك للكواكب الذي يطلبون منه بزعمهم فعل خير أو شر، فمن أراد شيئاً من الخير والصلاح بزعمه يتقرب إليه بما يوافق المشتري من الدخن والرقي والعقد والنفث عليها، ومن طلب شيئاً من الشر والحرب والموت والبوار لغيره تقرب بزعمه إلى زحل بما يوافقه من ذلك. ومن أراد البرق والحرق والطاعون تقرب بزعمه إلى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات. وجميع تلك الرقى بالنبطية تشتمل على تعظيم تلك الكواكب إلى ما يريدون من خير أو شر ومحبة وبغض فيعطيهم ما شاءوا من ذلك فيزعمون أنهم عند ذلك يفعلون ما شاءوا في غيرهم من غير مماسة ولا ملامسة سوى ما قدموه من القربات للكوكب الذي طلبوا ذلك منه. فمن العامة من يزعم أنه يقلب الإنسان حماراً أو كلباً ثم إذا شاء أعاده، ويركب البيضة والمكنسة والخابية ويطير في الهواء فيمضي من العراق إلى الهند وإلى ما شاء من البلدان ثم يرجع من ليلته.

وكانت عوامهم تعتقد ذلك لأنهم كانوا يعبدون الكواكب وكل ما دعا إلى تعظيمها اعتقدوه. وكانت السحرة تحتال من خلال ذلك بحيل تموه بها على العامة إلى اعتقاد صحته بأن يزعم أن ذلك لا ينفذ ولا ينتفع به أحد ولا يبلغ ما يريد إلا من اعتقد صحة قولهم وتصديقهم فيما يقولون.

ولم تكن ملوكهم تعترض عليهم في ذلك بل كانت السحرة عندها بالمحل الأجل لما كان لها في نفوس العامة من محل التعظيم والإجلال، ولأن الملوك في ذلك الوقت كانت تعتقد ما تدعيه السحرة للكواكب، إلى أن زالت تلك الممالك. ألا ترى أن الناس في زمن فرعون كانوا يتبارون بالعلم والسحر والحيل والمخاريق ولذلك بعث إليهم موسى عليه السلام بالعصا والآيات التي علمت السحرة أنها ليست من السحر في

شيء، وإنها لا يقدر عليها غير الله تعالى، فلما زالت تلك الممالك وكان من ملكهم بعد ذلك من الموحدين يطلبونهم ويتقربون إلى الله تعالى بقتلهم كانوا يدعون عوام الناس وجهالهم سرا كما يفعله الساعة كثير ممن يدعي ذلك مع النساء والأحداث الاغمار والجهال الحشو.

وكانوا يدعون من يعملون له ذلك إلى تصديق قولهم والاعتراف بصحته والمصدق لهم بذلك يكفر من وجوه (احدها) التصديق بوجوب تعظيم الكواكب وتسميتها آلهة (والثاني) اعترافه بأن الكواكب تقدر على ضره ونفعه (والثالث) إن السحرة تقدر على مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام. فبعث الله إليهم ملكين يبينان للناس حقيقة ما يدعون، وبطلان ما يذكرون، ويكشفان لهم ما به يموهون، ويخبرانهم بمعاني تلك الرقة وإنها شرك وكفر، وبحيلهم التي كانوا يتوصلون بها إلى التمويه على العامة ويظهرون لهم حقائقها ،وينهونهم عن قبولها والعمل بها، بقوله (إنما نحن فتنة فلا تكفر) فهذا أصل سحر بابل ومع ذلك فقد كانوا يستعملون سائر وجوه السحر والحيل التي نذكرها ويموهون بها على العامة ويعزونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها ويسلمها لهم.

فمن ضروب السحر كثير من التخيلات التي مظهرها على خلاف حقائقها (فمنها) ما يعرفه الناس بجريان العادة به وظهورها منها ما يخفي ويلطف، ولا يعرف حقيقته ومعنى باطنه إلا من تعاطى معرفة ذلك، لأن كل علم لا بد أن يشتمل على جلي وخفي وظاهر وغامض، فالجلي منه يعرفه كل من رآه وسمعه من العقلاء، والغامض الخفي لا يعرفه إلا أهله مَنْ تعاطى معرفته وتكلف فعله والبحث عنه وذلك نحو ما يتخيل راكب السفينة إذا سارت في النهر فيرى أن الشط بما عليه من النخل والبنيان سائر معه، وكما يرى القمر في مهب الشمال يسير للغيم في مهب الجنوب، وكدوران الدوّامة فيها الشامة فيراها كالطوق المستدير في أرجائها، وكذلك يرى هذا في الرحى إذا كانت سريعة الدوران، وكالعود في طرفه الجمرة إذا أداره مديره رأى تلك النار التي في طرفه كالطوق المستدير، وكالعنبة التي يراها في قدح فيه ماء كالخوخة والإجاصة عظما، وكالشخص الصغير يراه في الضباب عظيما جسيما، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيماً فإذا فارقته وارتفعت صغرت، وكما يرى المرئي في الماء منكسراً أو معوجاً، وكما يرى الخاتم إذا قربته من عينك في سعة حلقة السوار. ونظائر ذلك كثيرة من الأشياء التي تتخيل على غير حقائقها فيعرفها عامة الناس.

«ومنها ما يلطف فلا يعرفه إلا من تعاطاه وتأمله كخيط السحارة الذي يخرج مرة أحمر ومرة أصفر ومرة أسود. ومن لطيف ذلك ودقيقه ما يفعله المشعوذون من جهة الحركات وإظهار التخيلات التي تخرج على غير حقائقها حتى يريك عصفوراً معه أنه قد ذبحه ثم يريكه وقد طار بعد ذبحه وإبانة رأسه وذلك لخفة حركته، والمذبوح غير الذي طار لأنه يكون معه اثنان قد خبأ احدهما وأظهر الآخر ويخبأ لخفة الحركة المذبوح ويظهر الذي نظيره، ويظهر إنه قد ذبح إنساناً، وأنه قد بلع سيفاً معه وأدخله في جوفه، وليس لشيء منه حقيقة».

ومن نحو ذلك ما يفعله أصحاب الحركات للصور المعمولة من صفر[1] أو غيره فيري فارسين يقتتلان فيقتل احدهما الآخر وينصرف بحبل قد أعدت لذلك، وكفارس من صفر على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير لآن يمسه أحر ولا يتقدم إليه.

«وقد ذكر الكلبي أن رجلا من الجند خرج ببعض نواحي الشام متصيدا ومعه كلب له وغلام فرأى ثعلباً فأغرى الكلب، فدخل الثعلب ثقبا في تل هناك ودخل الكلب خلفه فلم يخرج فأمر الغلام أن يدخل فدخل وانتظره صاحبه فلم يخرج فوقف متهيئاً للدخول، فمرَّ به رجل فأخبره بشأن الثعلب والكلب والغلام وأن واحداً منهم لم يخرج وإنه متأهب للدخول، فأخذ الرجل بيده فأدخله إلى هناك فمضيا إلى سرب طويل حتى أفضى بهما إلى بيت قد فتح له ضوء من موضع ينزل إليه بمرقاتين فوقف به على المرقاة الأولى حتى أضاء البيت حيناً ثم قال له: انظر، فنظر فإذا الكلب والرجل والثعلب قتلى، وإذا في صدر البيت رجل واقف مقنع في الحديد وفي يده سيف فقال له الرجل: أترى هذا لو دخل إليه هذا المدخل ألف رجل لقتلهم كلهم، فقال: وكيف؟ قال: لأنه قد رتب وهندم على هيئة متى وضع الإنسان رجله على المرقاة الثانية للنزول تقدم الرجل المعمول في الصدر فضربه بالسيف الذي في يده، فإياك أن تنزل إليه. فقال: فكيف الحيلة في هذا؟ قال: ينبغي أن نحفر من خلفه سرباً يفضي بك إليه، فإن وصلت إليه من تلك الناحية لم يتحرك. فاستأجر الجندي أجراء وصناعاً حتى حفروا سرباً من خلف التل فأفضوا إليه فلم يتحرك، وإذا رجل معمول من صفر أو غيره قد ألبس السلاح وأعطي السيف فقلعه، ورأى باباً آخر في ذلك البيت ففتحه فإذا هو قبر لبعض الملوك ميت على سرير هناك، وأمثال ذلك كثيرة جداً[2]».

---

(١) الصفر بضم الصاد وسكون القاف النحاس.

(٢) هذا ما يسميه العامة إلى هذا العهد بالرصد.

ومنها الصور التي يصورها مصورو الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بين الإنسان وبينها، ومن لم يتقدم له علم أنها صورة لا يشك في أنها إنسان، وحتى تصورها ضاحكة أو باكية وحتى يفرق فيها بين الضحك من الخجل والسرور، وضحك الشامت.

فهذه لوجوه من لطيف أمور التخاييل وخفيها، وما ذكرناه قبل من جليها. وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب على هذا النحو الذي بينا من حيلهم في العصي والحبال. والذي ذكرناه من مذاهب أهل بابل في القديم وسحرهم ووجوه حيلهم بعضه سمعناه من أهل المعرفة بذلك، بعضه وجدناه في كتب قد نقلت حديثاً من النبطية إلى العربية منها كتاب في ذكر سحرهم وأصنافه ووجوهه وكلها مبنية على الأصل الذي ذكرناه من قربانات الكواكب وتعظيمها وخرافات معها لا تساوي ذكرها ولا فائدة فيها.

(وضرب آخر) من السحر وهو ما يدعونه من حديث الجن والشياطين وطاعاتهم لهم بالرقى والعزائم، ويتوصلون إلى ما يريدون من ذلك بتقدمة أمور ومواطأة قوم قد أعدوهم لذلك، وعلى ذلك يجري أمر الكهان من العرب في الجاهلية، وكانت أكثر مخاريق الحلاج من باب الموطآت ولولا أن هذا البحث لا يحتمل استقصاء ذلك لذكرت منها ما يوقف على كثير من مخاريقه ومخاريق أمثاله[1] وضرر أصحاب العزائم، وفتنتهم على الناس غير يسير، وذلك أنهم يدخلون على الناس من باب أن الجن إنما تطيعهم بالرقى التي هي أسماء الله تعالى فإنهم يجيبون بذلك من شاؤوا، ويخرجون الجن لمن شاؤوا، فتصدقهم العامة على اغترار بما يظهرون من انقياد الجن لهم بأسماء الله تعالى التي كانت تطيع بها سليمان بن داود عليه السلام، وأنهم يخبرونهم بالخبايا وبالسرق.

---

(١) المواطآت جمع مواطأة وهي الاتفاق بين اثنين أو أكثر على أمر. والمخاريق جمع مخراق وهي في الأصل خرق كانوا يفتلونها ويلعبون بها بإدارتها بخفة ومهارة. ومواطآت الحلاج هي أنه كان يتفق مع أناس من رجاله على ما يلبسون به على الناس بدعوى الكرامات وقد اكتشف ذلك في عصره كما بينه التنوخي في جامع التواريخ «نشوار المحاضرة» ومنه أن رجلاً جاء بصفة مسترشد وإنما هو مختبر فقال له الحلاج: تشه علي ما شئت فقال: أريد سمكاً طرياً وكانوا في بعض بلاد الجبل البعيدة عن الأنهار والبحر فدخل بيتاً خالياً من داره وأغلق عليه بابه وعاد بعد ساعة طويلة وقد خاض وحلاً إلى ركبتيه وبيده سمكة تضطرب وزعم أنه دعا الله فأمره أن يذهب إلى البطائح قال فمضيت إلى البطائح فخضت الأهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه. فقال الرجل: تدعني أدخل البيت فإن لم ينكشف لي حيلة فيه آمنت بك. فقال شأنك. فدخل وبعد عناء وتنقيب اهتدى إلى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الفاكهة والثمار والنوار ومنها ما ليس من وقته ولكنه محفوظ بحيلة صناعية ووجد فيها خزائن مليحة فيها أنواع الأطعمة الناضجة والحوائج لما يهيأ بسرعة ورأى في الدار بركة ماء مملوءة سمكاً فأخذ واحدة منها وخرج... فتبعه الحلاج فرمى بالسمكة وجهه وصدره وهرب وأقسم الحلاج ليقتلنه إن حدث أحداً بذلك ولو في تخوم الأرض ولم يحدث بها الرجل إلا بعد قتله لعلمه بأنه لو أمر أحد المفتونين به أن يقتله فإنه يفعل.

«وقد كان المعتضد بالله مع جلالته وشهامته ووفور عقله اغتر بقول هؤلاء. وقد ذكره أصحاب التواريخ، وذلك أنه كان يظهر في داره التي كان يخلو فيها بنسائه وأهله شخص في يده سيف في أوقات مختلفة وأكثره وقت الظهر فإذا طلب لم يوجد ولم يقدر عليه ولم يوقف له على أثر مع كثرة التفتيش، وقد رآه هو بعينه مراراً فأهمته نفسه ودعا بالمعزمين فحضروا وأحضروا معهم رجالاً ونساء وزعموا أن فيهم مجانين وأصحاء، فأمر بعض رؤسائهم بالعزيمة فعزم على رجل منهم زعم أنه كان صحيحاً فجن وتخبط وهو ينظر إليه وذكروا له أن هذا غاية الحذق بهذه الصناعة إذا طاعته الجن في تخبيط الصحيح، وإنما كان ذلك من المعزم بمواطأة منه لذلك الصحيح على أنه متى عزم عليه جن نفسه وخبط، فجاز ذلك على المعتضد بالله فقامت نفسه منه وكرهه، إلا أنه سألهم عن أمر الشخص الذي يظهر في داره فمخرقوا عليه بأشياء علقوا قلبه بها من غير تحصيل لشيء من أمر ما سألهم عنه فأمرهم بالانصراف وأمر لكل واحد منهم ممن حضر بخمسة دراهم. ثم تحرز المعتضد بغاية ما أمكنه وأمر بالاستيثاق من سور الدار حيث لا يمكن فيه حيله من تسلق ونحوه وبطحت في أعلى السور خواب لئلا يحتال بإلقاء المعاليق التي يحتال بها اللصوص. (ثم لم يوقف لذلك الشخص على خبر إلا ظهوره له الوقت بعد الوقت إلى أن توفي المعتضد وهذه الخوابي المبطوحة على السور، وقد رأيتها على سور الثريا التي بناها المعتضد).

فسألت صديقاً لي كان قد حجب للمقتدر بالله عن أمر ذلك الشخص وهل تبين أمره فذكر لي أنه لم يوقف على حقيقة هذا الأمر إلا في أيام المقتدر، وإن ذلك الشخص كان خادماً أبيض يسمى (يقق) وكان يميل إلى بعض الجواري اللاتي في داخل دور الحرم، وكان قد اتخذ لحى على ألوان مختلفة، وكان إذا لبس بعض تلك اللحى لا يشك من رآه إنها لحيته، وكان يلبس في الوقت الذي يريده لحية منها ويظهر في ذلك الموضع وفي يده سيف أو غيره من السلاح حيث يقع نظر المعتضد فإذا طلب دخل بين الشجر الذي في البستان أو في بعض تلك الممرات أو العطفات، فإذا غاب عن أبصار طالبيه نزع اللحية وجعلها في كمه أو حزته[1] ويبقى السلاح معه كأنه بعض الخدم الطالبين للشخص ولا يرتابون به ويسألونه هل رأيت في هذه الناحية أحداً فأنا قد رأيناه صار إليها فيقول ما رأيت أحداً وكان إذا وقع مثل هذا الفزع في الدار خرجت الجواري

---

(١) الحزة بالضم الحجزة وهي من الإزار معقده ومن السراويل ما تكون فيه التكة وهي معقدة أيضاً وفي كل منهما مخبأ للدراهم ونحوها.

من داخل الدور إلى هذا الموضع فيرى هو تلك الجارية ويخاطبها بما يريد وإنما كان غرضه مشاهدة الجارية وكلامها فلم يزل دأبه إلى أيام المقتدر، ثم خرج إلى البلدان وصار إلى طرسوس وأقام بها إلى أن مات وتحدثت الجارية بعد ذلك بحديثه ووقف على احتياله. فهذا خادم قد احتال بمثل هذه الحيلة الخفية التي لم يهتد لها أحد مع شدة عناية المعتضد به وأعياه معرفتها والوقوف عليها ولم تكن صناعته الحيل والمخاريق فما ظنك بمن قد صناعة ومعاشاً.

(وضرب آخر من السحر) وهي السعي بالنميمة والوشاية بها[1] والبلاغات والإفساد والتضريب من وجوه خفية لطيفة، وذلك عام شائع في كثير من الناس وقد حكي أن أمرآة أرادت أفساد ما بين زوجين، فصارت إلى الزوجة فقالت لها: إن زوجك معرض وقد سحر وهو مأخوذ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك، ولا ينظر إلى سواك، ولكن لا بد أن تأخذي من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها فإن بها يتم الأمر، فاغترت المرأة بقولها وصدقتها. ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له: إن امرأتك قد علقت رجلا، وقد عزمت على قتلك، وقد وقفت على ذلك من أمرها فأشفقت عليك ولزمني نصحك فتيقظ ولا تغتر فإنها عزمت على ذلك بالموسى وستعرف ذلك منها فما في أمرها شك. فتناوم الرجل في بيته فلما ظنت امرأته إنه قد نام عمدت إلى موسى حاد وأهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات ففتح الرجل عينه فرآها وقد أهوت بالموسى إلى حلقه فلم يشك في أنها أرادت قتله فقام إليها فقتلها وقتل، وهذا كثير لا يحصى.

(وضرب أخر من السحر) وهو الاحتيال في إطعامه بعض الأدوية المبلدة المؤثرة في العقل والدخن المسدرة المسكرة نحو دماغ الحمار إذا طعمه إنسان تبلد عقله وقلت فطنته مع أدوية كثيرة هي مذكورة في كتب الطلب ويتوصلون إلى إن يجعلوه طعام حتى يأكله فتذهب فطنته ويجوز عليه أشياء مما لو كان تام الفطنة لا نكرها فيقول الناس إنه مسحور[2].

---

(١) بهذا فسر الاستاذ الأمام النفاثات في العقد من سورة الفلق.

(٢) قد كثرت بعد عصر المؤلف العقاقير المفسدة للعقل والمبلدة للذهن ولاسيما في زماننا هذا ومنها الحشيشة المشهورة وما يتخذ منها ومن غيرها من المعاجين. والكوكايين ولكنها لاشتهارها لم تعد من أعمال السحر.

«وحكمة كافية تبين لك أن هذا كله مخاريق وحيل لا حقيقة لما يدعون لها أن الساحر والمعزم لو قدرا على ما يدعيانه من النفع والضرر من الوجوه التي يدعون وأمكنهما الطيران والعلم بالغيوب وأخبار البلدان النائية والخبيآت والسرق والأضرار بالناس من غير الوجوه التي ذكرنا لقدروا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز والغلبة على البلدان بقتل الملوك بحيث لا يبدأهم مكروه ولما مسهم السوء ولأمتنعوا ممن قصدهم بمكروه، ولأستغنوا عن الطلب لما في أيدي الناس. فإذا لم يكن كذلك وكان المدعون لذلك أسوأ الناس حالاً وأكثرهم طمعاً واحتيالاً وتوصلاً لأخذ دراهم الناس وأظهرهم فقراً وإملاقاً علمت أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك.

«ورؤساء الحشو والجهال من العامة من أسرع الناس إلى التصديق بدعاوى السحرة والمعزمين وأشدهم نكيراً على من جحدها، ويروون في ذلك أخباراً مفتعلة متخرصة يعتقدون صحتها كالحديث الذي يروون أن امرأة أتت عائشة فقالت إني ساحرة فهل لي توبة؟ فقالت وما سحرك؟ قالت سرت إلى الموضع الذي فيه هاروت وماروت ببابل لطلب علم السحر فقالا لي يا أمة الله لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا، فأبيت، فقالا لي اذهبي فبولي على ذلك الرماد فذهبت لأبول عليه ففكرت في نفسي فقلت لا فعلت وجئت إليهما فقلت قد فعلت، فقالا ما رأيت فقلت ما رأيت شيئاً، فقالا ما فعلت اذهبي فبولي عليه، فذهبت وفعلت، فرأيت كأن فارساً قد خرج من فرجي مقنعاً بالحديد حتى صعد إلى السماء، فجئتهما فأخبرتهما فقالا ذلك إيمانك خرج عنك وقد أحسنت السحر، فقلت وما هو؟ فقالا لا تريدين شيئاً فتصورينه في وهمك إلا كان. فصورت في نفسي حباً من حنطة فإذا أنا بالحب، فقلت له انزرع فانزرع وخرج من ساعته سنبلاً فقلت له انطحن وانخبز إلى آخر الأمر حتى صار خبزاً، وإني كنت لا أصور في نفسي شيئاً إلا كان، فقالت لها عائشة: ليست لك توبة.

« فيروي القصاص والمحدثون الجهال مثل هذا للعامة فتصدقه وتستعيده وتسأله أن يحدثها بحديث ساحرة ابن هبيرة فيقول لها إن ابن هبيرة أخذ ساحرة فأقرت له بالسحر فدعا الفقهاء فسألهم عن حكمها فقالوا القتل، فقال ابن هبيرة لست أقتلها إلا تغريقاً قال فأخذ رحى البزر فشدها في رجلها وقذفها في الفرات فقامت فوق الماء مع الحجر تنحدر مع الماء فخافوا أن تفوتهم فقال ابن هبيرة من يمسكها وله كذا وكذا؟ فرغب رجل من السحرة كان حاضراً فيما بذله فقال أعطوني قدح زجاج فيه ماء فجاؤه به فقعد على القدح ومضى إلى الحجر فشق الحجر بالقدح فتقطع الحجر قطعة

قطعة ففرقت الساحرة ـ فيصدقونه، ومن صدق هذا فليس يعرف النبوة ولا يأمن أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام من هذا النوع وأنهم كانوا سحرة وقال الله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى).

«وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطم من هذا وأفظع، وذلك أنهم زعموا أن النبي عليه السلام سحر وأن السحر عمل فيه حتى قال فيه «إنه يخيل إلي أني أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله» وأن امرأة يهودية سحرته في جف طلعة ومشط ومشاقة[١] حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جف طلعة وهو تحت راعوفة البئر[٢] فاستخرج وزال عن النبي عليه السلام ذلك العارض. وقد قال الله تعالى مكذباً للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال جل من قائل (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعباً بالحشو الطغام، واستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام، والقدح فيها، وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة وأن جميعه من نوع واحد. والعجب ممن يجمع بين تصديق الأنبياء عليهم السلام وإثبات معجزاتهم، وبين التصديق بمثل هذا من فعل السحرة مع قوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) فصدق هؤلاء من كذبه الله وأخبر ببطلان دعواه وانتحاله. وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها فعلت ذلك ظناً منها بأن ذلك يعمل في الأجساد وقصدت به النبي عليه السلام فأطلع الله نبيه على موضع سرها، وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت ليكون ذلك من دلائل نبوته، لا أن ذلك ضره، وخلط عليه أمره، ولم يقل كل الرواة أنه اختلط عليه أمره وإنما هذا للفظ زيد في الحديث ولا أصل له[٣].

---

(١) جف الطلع بالضم هو الوعاء الذي يخرج منه طلع النخل، والمشاقة من الكتان معروفة وفي أكثر الروايات مشاطة وهي بالضم الشعر الذي يسقط من الشعر عند تسريحه بالمشط والمراد أن المشط والمشطلة وضعا في جف طلعة وصفت عند الشيخين بأنهما طلعة ذكر أي من النخل.

(٢) راعوفة البئر الحجر الثابت الذي يقف عليه المستقي من البئر.

(٣) أنكر الجصاص الحديث المروي في ذلك لمعارضته للقرآن وما فيه من الشبهة على عصمة النبي (ص) حتى في أمر التبليغ مع أنه مروي في الصحيحين لان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي من القرآن وغيره. ومثل هذا إنكار النووي لما روي عن ابن مسعود (رض) من إنكار كون المعوذتين من القرآن مع صحة سنده. والجمهور يزولون في هذا وذاك ويغرهم إن المقلدين يسلمون لهم كل تأويل ولو متكلفا وينسون إن أعداء الإسلام ومستقلي الفكر من غيرهم لا يقبلون التأويل المتكلف الذي لا يطمئن له القلب والظاهر ان الجصاص لم يطلع على روايات الشيخين في مسألته كاطلاع النووي على جميع الروايات في مسألته. وفيهما إن الذي سحر النبي (ص) هو لبيد بن الأعصم اليهودي لا امرأة.

«والفرق بين معجزات الأنبياء وبين ما ذكرنا من وجوه التخبيلات، أن معجزات الأنبياء عليهم السلام هي على حقائقها، وبواطنها كظهائرها، وكلما تأملتها، ازددت بصيرة في صحتها، ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم. ومخاريق السحرة وتخبيلاتهم إنما هي ضرب من الحيلة والتلطف لإظهار أمور لا حقيقة لها، وما يظهر منها على غير حقيقتها، يعرف ذلك بالتأمل والبحث ومتى شاء أن يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره، ويأتي بمثل ما أظهره سواء».

هذا جل ما قاله أبو بكر الجصاص في معنى السحر وحقيقته وعقد بعده باباً في ذكر قول الفقهاء فيه وما تضمنته الآية من حكمه وما يجري على مدعي ذلك من العقوبات ومنها القتل كفراً في بعض أنواعه المتضمنة للشرك والمستلزمة للريب في معجزات الرسل. وأن كثيراً من العلماء يثبتون ما أنكره من تأثير الجن واستخدام بعض الناس لهم. ومن العجيب أنه لا يزال في هذا العصر من يتوسل إلى الاستعانة بالجن على بعض الأعمال السحرية بما هو كفر قطعاً كربط بعض القرآن على السوءتين كما علمت من بعض المختبرين لهؤلاء الدجالين الذين يعيشون بكتابة العزائم والحجب للحب والبغض والحبل وغير ذلك والمفاسد في ذلك كبيرة جداً وقد ذكرنا بعضها في التفسير من المنار (٧: ٢٦ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيراجع (في ص٣٦٧ - ٣٧١ من المجلد الثامن تفسير).

(عود إلى تفسير الآيات)

لما أظهر موسى عليه السلام آية الله تعالى في مجلس فرعون (قال الملا من قوم فرعون) أي اشرف قومه وأركان الدولة منهم: (إن هذا الساحر عليم) أي راسخ في العلم - كما تدل عليه صيغة عليم (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أي قد وجه إرادته لسلب ملككم منكم وإخراجكم من أرضكم بسحره بأن يستميل به الشعب المصري فيتبعه فينزع منكم الملك ويستبد به دونكم، ويلي ذلك إخراج الملك وعظماء رجاله من البلاد لئلا يناوؤه لاستعادة الملك منه، كما فعل متغلبة الترك في بعد إسقاط الدولة العثمانية فأنهم أخرجوا جميع أفراد الأسرة السلطانية من البلاد التركية التي بقيت لهم.

وفي معنى هذا القول من فرعون ورجال دولته ما حكى الله تعالى عنهم من مراجعتهم لموسى وأخيه في سورة يونس (١٠ :٧٨ قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض؟ وما نحن لكما بمؤمنين).

وما قالت الملأ من قوم فرعون هذا القول إلا تبعاً لقوله هو الذي حكاه تعالى عنه في سورة الشعراء (قال للملا حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) أي رددوا قوله وصار يلقيه بعضهم إلى بعض كدأب الناس في نقل كلام ملوكهم ورؤسائهم وترديده إظهاراً للموافقة عليه، وتعميماً لتبليغه. وإنما لم يصرحوا بكلمة (بسحره) كما صرح هو لأنهم كانوا دونه خوفاً وانزعاجاً، وأقل منه حرصاً على الطعن في دعوة موسى، ولكن ذكرها السحرة في تناجيهم مع فرعون وهم أجدر بذكرها فحكاها الله تعالى عنهم بقوله من سورة طه (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى).

والأمر في قول فرعون لهم وقول بعضهم لبعض (فماذا تأمرون) ليس هو المقابل للنهي بل هو بمعنى الإدلاء بالرأي في الشورى قال الزمخشري في الأساس: وتآمر القوم وائتمروا، مثل تشاوروا واشتوروا، ومرني بمعنى اشر عليّ. قال بعض فتاكهم.

الم تر إني لا أقول لصاحب	إذا قال مرني: أنت ما شئت فافعل
ولكنني افري له فأريحه	ببزلاء تنجيه من الشك فيصل

وقال في مادة (بزل) ومن المجاز بزل الأمر والرأي: استحكم وأمر بازل وتقول خطب بازل، لا يكفيه إلا رأي قارح، وإنه لذو بزلاء، أي ذو صريمة محكمة، وهو نهاض ببزلاءي بخطة عظيمة. قال:

إني إذا شغلت قوماً فروجهم	رحب المسالك نهاض ببزلاء

(أقول) ومعنى بيت الفاتك أن صاحبه إذا استشاره فقال له اعمرني ـ أي أشر علي ـ لا يقول له أفعل ما تشاء أعراضاً عن نصحه او عجزاً عنه، بل يفري أي يقطع له الرأي المحكم بخطة بزلاء أي قويمة محكمة تخرجه من الشك والتردد وتكون فيصلا أي فاصلة بين الخطأ والصواب. والبزلاء وبزول الأمر والرأي مأخوذة من بزول ناب البعير وهو أن ينشق ويخرج عند دخوله في السنة التاسعة فهو بازل ولذلك أطلقوا لقب البازل على الرجل القوي المحكم التجربة.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ[1] وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ أي قال الملأ لفرعون حين استشارهم بقوله «فماذا تأمرون؟ أرجه أي أرجئ وآخر أمره وأمر أخيه ولا تفصل فيه بادي الرأي وأرسل في مدائن ملكك رجالاً أو جماعات من الشرطة والجند حاشرين أي جامعين سائقين للسحرة منها - فالحشر الجمع والسوق - وإنما يوجد السحرة في المدائن الجامعة الآهلة بدور العلم والصناعة، فإن ترسلهم ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ بفنون السحر ماهر فيها وهم يكشفون لك كنه ما جاء به موسى فلا يفتتن به أحد.

قرأ الجمهور (ساحر) بصيغة اسم الفاعل، وحمزة والكسائي هنا وفي يونس (سحار) بصيغة المبالغة له وجاء ذلك بالأمالة وعدمها - وبها قرأ الجميع في الشعراء. ورسمها في المصحف الأمام واحد هكذا (سحر) ليحتمل القراءتين ووجههما أن فرعون لما طلب كل ساحر عليم في مدائن البلاد خص بالذكر المهرة المتمرنين في السحر المكثرين منه - أو أن بعض ملئه طلب هؤلاء فقط لأنهم أجدر باتيان موسى بمثل ما جاء به من الأمر العظيم كما حكى الله تعالى عن فرعون في سورة طه (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله) وطلب آخرون حشر جميع السحرة الراسخين في العلم لعله يوجد عند بعض المقتصدين أو المقلين من السحر ما لا يوجد عند المكثرين منه - فبينت القراءتان كل ما قيل مع الإيجاز البليغ.

---

(١) في هذه الكلمة عدة قراءات لفظية محضة سببها اختلاف لهجات العرب في إثبات الهمزة وحذفها تخفيفاً وقد بينها السيد الألوسي في روح البيان مع تعليلاتها فقال: وأصل أرجه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة دون واو ثم حذفت الهمزة وسكنت الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل ارجه كابل (كذا) في إسكان وسطه وبذلك قرأ أبو عمروا وأبو بكر ويعقوب على أنه من أرجأت وكذلك قراءة ابن كثير وهشام وابن عامر أرجئوا بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو الإشباع وقرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي أرجهي بهاء مكسورة بعدها ياء من أرجيت وفي رواية قالون أن أرجه بحذف الياء للاكتفاء عنها بالكسرة وقرأ ابن عمر برواية ابن ذكوان أرجئه بالهمزة وكسر الهاء وقد ذكر بعضهم إن ضم الهاء وكسرها والهمزة وعدمه لغتان مشهورتان وهل هما مدتان أو الياء بدل من الهمزة كتوضأن وتوضيت قولان. وطعن في القراءة على رواية ابن ذكوان فقال الحوفي إنها ليست بجيدة وقال الفارسي إن ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز غيره وكسرها غلط لأن الهاء لا تكسر إلا بعد ياء ساكنة أو كسرة. وأجيب كما قال الشهاب عنه بوجهين أحدهما إن الهمزة ساكنة والحرف الساكن حاجز غير حصين فكأن الهاء وليت الجيم المكسورة فإذا كسرت والثاني إن الهمزة عرضة للتغيير كثيرا بالحذف وإبدالها ياء إذا سكنت بعد كسرة فكأنها وليت ياء ساكنة فلذا كسرت.وأورد على ذلك أبو شامة إن الهمزة تعد حاجزا وان الهمزة لو كانت ياء كان المختار الضم نظراً لأصلها وليس بشيء بعد إن قالوا إن القراءة متواترة وما ذكر لغة ثابتة عن العرب.

معتقدات العراقيين القدماء
في السحر والعرافة والأحلام والشرور

❖ سامي سعيد الأحمد

وصلتنا الكثير من النصوص الآشورية - البابلية في السحر والعرافة، وغالبيتها مكتوبة باللغة الأكدية حيث أعيدت كتابتها زمن سلالة بابل الأولى. ونجد ذكر لهؤلاء السحرة في الكثير من الأدعية والتعاويذ أمثال المجموعتين المعروفتين بالمقلو Maqln والشوربو Shurpu. فمنذ زمن جودية نجد هناك أوامر ضد السحرة. وفي القوانين الآشورية الوسيطة أتتنا مواداً ضد ممارسة السحر (إذا أعد رجل أو امرأة معدات سحرية ووجدت في حوزته فإنه عند توجيه الاتهام له وإثباته يقتل صانع هذه المعدات وكل من شهد صنعها أو سمع بها من فم شاهد عيان قال (أنا رأيتها بنفسي) يتقدم كشاهد سماع ويعلن للملك فإذا أنكر شاهد العيان أمام الملك ما قاله يعلن ذلك في حضرة الإله الثور ابن الشمس (أنه حقاً قالها) وعندئذ يصبح حراً. أما شاهد العيان الذي قرر الشيء ثم أنكره فإن الملك يسأله ويتحرى ماضيه وحين يؤتى بمستحضر الأرواح الشريرة يجعل الرجل يتكلم ويقول بنفسه (أنه - أي الملك - سوف لا يبرئك من قسمك الذي أمرت أن تقسم به أمام الملك وابنه. إنه طبعاً لنص اللوحة، أنك دفعت للقسم فأقسمت للملك وابنه)[1]. ففي بلاد آشور كانت عقوبة ممارسة السحر (كيشيو) الموت. وفي قانون حمورابي فالمتهم بالسحر يعرض إلى امتحان الماء حيث ورد بالنص (إذا اتهم رجل آخر بالسحر ولم يستطع إقامة الدليل اختبر بامتحان النهر فيرمي نفسه فيه فإن غلبه النهر على أمره استولى الخصم على ممتلكاته وإن أظهر النهر أنه بريء وخرج سالماً فإن المدعي يقتل ويأخذ المدعي عليه أملاكه)[2].

وفي مجموعة المقلو يعرف الشخص الذي يقرأ التعويذة الساحرة بأنها (تلك التي يسكن في قلبها شقائي ويولد من لسانها خرابي ويتأصل على شفافها سمي ويقف على آثار قدميها الموت). وبذلك فقد عزيت إلى الساحر والساحرة جلب الكثير من الشرور والأمراض والأرواح الشريرة. وكان العراقيون القدماء يعتمدون على الآيشيو لتخليصهم

---

(١) الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، المجلد ٦ (القاهرة، ١٩٦١) ص٩٢ مادة ٤٧.

(٢) قانون حمورابي، مادة ٢، المصدر أعلاه ص٥٩.

وإنقاذ مرتكبي الذنوب وشفاء المرضى. علماً بأنهم عزوا أوجاع الرأس والعمى والكابوس إلى مهاجمة العفاريت أو إلى أرواح الموتى[1]. فلكل مناسبة رقية خاصة. وكان السحرة يلتمسون في تعاويذهم الإله أيا ثم مردوخ. ومن المهم أن نقول بأن السحرة الذين يضعون عليهم اللوم عن أمراضهم ومآسيهم كانوا بصورة عامة أجانب. فالسحر العراقي الرسمي تشرف عليه الدولة وهو ديني في إلهامه وغاياته للخير. فهناك التعاويذ والطقوس السحرية الكثيرة لأغلب المناسبات والتي تستند على عناصر عامة لغالبية أشغال السحر. فاللون والعقد وقواها، والدائرة وأهميتها والتطهير بالماء ثم النار. ويمكن اعتبار الطقوس التي نجدها في المقلو من نوع السحر وتكون نوع من ممارسة السحر. ومن الأمثال التي لدينا عن السحر الأسود هي رسالة إلى إله من قبل بابو ـ أخ ـ إدينا يطلب فيها من الإله إنزال انتقاماً على هذا الشخص لأخذه أرصدة شماش بلاطو[2]. وهناك مثل في ايلي إدينوم الذي أعد كمية من الشعير إلى والده لأجل أن يزرع حقلاً. ولكن الابن صرف الشعير وأجر الحقل إلى فلاح. وأخيراً رفض الفلاح أن يعطي إيلي إدينوم حصة من المحصول بصفته صاحب الأرض ورفع إيلي ادينوم الدعوى عليه في المحاكم. ووقف ايلي ادينوم أمام المحاكم ضد ابنه. وأصر الأب بأن زوجة ابنه وأمها هن ساحرتين (كشاتيوم) وطلب وضع حد لفعاليتهن. ودفع الابن اتهاماً مشابهاً ولكن الشهود أيدوا الابن مما جعل الحاكم نركال خازر يحكم له بالقضية. فاستأنف الأب الدعوى في محكمة أعلى وترافع أمام هيئة من القضاة. فأمرت الهيئة الحاكم لأن يأمر الابن وزوجته وأمها للمثول أمامهم[3].

فاعتقد السومريون بأن كهنتهم والذين حمتهم الأرباب يمكن أن يخترقوا الحجب السرية الغيبية وحتى الشرور التي تهدد الكون. وتتلخص مهمتهم في التنبؤ بوجود هذه القوى من عناصر وعلامات الفأل المختلفة وإخضاعهم في وقت ملائم واستخدامهم لمصلحتهم. وبملاحظة العلامات التأليفية أنار كهنة بابل دونما إدراك الطريق للعلم حيث إن السحر دون شك لعب دوراً في تقدم الفكر العلمي[4]. فالسحر العراقي القديم تدريب علمي مستقل ذا حدود ومبادئ متقنة بتطبيقاته وأفكاره وليس نظام كوني يحكم ويسير جميع فروع المعرفة[5]. فالسحر العراقي غايته دفاعية وخيرة

(1) Hooke, Babylonian and Assyrian Religion, (London, 1953) Translated by A. J. Powerans, pp. 69-70.
(2) Erish Ebeling, «Ein Babylonische Beispiel Schwarzer Magic», Orientalia, vol. 20 (1951) pp. 167-170.
(3) Stanley D. Walters, The Sourceress and her Apprentice» JCS, vol. 23 (1970) pp. 27-28.
(4) A. Ray, La Science Orientale Avant Les Grecs, (Paris, 1947) pp. 40-47.
(5) Rene Taton, Ed. Op. cit. p. 70.

ولم يمنع القانون إلا الأسود منه الذي يستعمل للشر والأذى ليس إلا. وعلى الساحر معرفة اسم المريض أو الشخص الذي يرغب في الخلاص مما يعتقد أن أحاطت به قوى الشر فيستلفظ اسمه بالصوت الملائم أو كتابته أو تمثيله بالشكل. ويتلفظ الساحر (الآشيبيو أو الماشماشو) التعويذة (الشييتو). ويستمد الآشيبيو قوته من تكريس نفسه للأرباب والمهنة ومن كونه ممثل الآلهة الخاصة بالسحر. ويقول في بدأ العملية (آشيبيو الذي خلق اريدو هو) ويتلفظ كلمات الطقس الخاصة للتخلص من العفاريت وهو في ملابسه الحمراء (اللون المعارض للعفاريت) أو جلد قد السمكة لتأكيد صلته بالإله أيا، وهي الكلمات التي يستوحيها من الإله. فيدعو باسم الأرباب أعداؤه ويستعين بالأرباب الخاصة لإحراج العفريت. ويكون الطقس مصحوباً بعدد من الأعمال الرمزية مثل حرق المواد التي تشبه الأرواح الشريرة وحل العقد التي يتصور الساحر أن ضحيته قد ورط فيها. وتتألف الرقية من عمل تماثيل صغيرة تعذب وتحطم بتلاوة كلمة عليها. ويعمل الآشيبيو خلال هذه العمليات دوائر بعصابة السحرية يضع فيها نفسه وأي شخص يريده ويقول (في يد امسك دائرة سحر أيا، في يدي أمسك خشب الأرز، سلاح أيا المقدس، في يدي أمسك غصن النخلة ذات الطقس العظيم). والساحر هو المسؤول عن نفح القدسية في لوازم الأرباب وتماثيلها وطقوس غسل وفتح أفواه هذه التماثيل. وتألف هذا الطقس من لمس هذه اللوازم والتماثيل بواسطة الآلة الملائمة مع تلاوة بعض العبارات الطقوسة. فتدب بالتماثيل بواسطة هذه العملية الحياة[1].

وأحياناً يتلفظ الآشيبيو (الرب العظيم، الإله أيا أرسلني، ووضع رقبته المقدسة في محل رقبتي ووضع فمه المقدس في مكان فمي ولعابه المقدس في لعابي ودعائه المقدس محل دعائي). فالساحر العراقي يمكنه أن يحدث شيئاً عن طريق تقليد حدوثه أو إحداث ضرر أو خير في أشياء فعلى الساحر تقع مسؤولية إنقاذ الشخص المريض الذي اعتقد بأن روحاً تعود لزبونه أمثال شعر رأسه أو أظافره أو جزء من ملابسه وما إلى ذلك عفريتية شريرة قد حلت فيه. ففن الشفاء بالعراق القديم قد ارتبط بنظام واسع من عالم العفاريت من جن وأرواح معادية تسير في شوارع المدن داخلة من أبواب البيوت أو جدرانها. فالخوف من الشياطين بأنواعها (الشياطين الصرفة وتلك المركبة من شياطين وبشر والناتجة عن تزاوج البشر والشياطين) والأرواح الشريرة والأرباب المهانة كانت من

(1) Contenau, Every Day… Life in Babylon and Assyrin, (N. Y., 1966).

العوامل المهمة في الحياة البابلية[1]. ونظروا إلى آيا ومردوخ كحماة لهم من هجمات هذه العناصر الخبيثة والساحر خلال عملياته السحرية عليه أن يتلفظ اسم العفريت الذي يريد خروجه وإقلاعه عن جسم المريض. ومن ثم يرشوا الماء على المريض ويحيطوه بالطين أو بأشياء أخرى حامية نباتية تربط على جانبي فراشه بينما يمسك الساحر في يده عوداً من الصفصاف المقدس (سلاح آنو القوي) خلال قراءته للتعويذة. وإن لعنة أويدو (أو ما تسمى بلعنة الكفارة سيتو وهي المهمة في إخراج العفريت من جسم المريض) قد حصلت على قوتها من الماء والتي لم تصلنا كلماتها ولكنها لابد وأن تحوي على اسم آيا.

ويتطلب إخراج العفريت أحياناً ذبح خروف أو خنزير لتحويل العفريت إلى جسم الضحية التي يتلقونها بعد ذلك. وفي نص طقوسي يأمر الإله أيا مردو به لأن يأخذ ضحية عوضاً عن الملك مثل عنزة وحشية ذات قرون وأن يوضع رأسها أمام رأس الملك مع قراءة العبارة (هلا يكن الملك طاهراً نقياً فالذي لا يعرف اللعنة التي سيشفى بها، هلا يترك جسمه ويخرج منه). ويأخذوا أيضاً سبع رغفان من العجين النقي إلى البرية حتى يرفعوا القدمين بعد أن يوجه الساحر إلى الضحية الشر الذي نتج عن الذنب المرتكب. وضع الآشوريون من العجين ما يماثل شكل المريض ورشوه بالماء وعاملوه بعد ذلك كعوض عن المريض وحملوه بعد قراءة عبارات خاصة الذنب الذي جر على مريضهم المرض. ويضعوا على رأس وقدم الرجل المريض خيوطاً من الصوف الأسود والأبيض يلقوها بعد ذلك في البرية كطقس تكفيري[2].

ونسمع عن إخراج اشيبو لشبح أطيمو (إذا مسك أطيمو بإنسان وصرخ قلبه فيجب أن تهيء نفسك في يوم محظوظ طيب واغتسل جسمك بالماء من الحوض واذهب إلى البرية واكنس الأرض بسعفة نخل ثم اعمل شكلاً من الطين تمثل الرجل المريض كعوض والبسها الملابس اليومية الخاصة به، وصنع سبع مرات سبعة رغفان لأكله اليومي ومغزل وستار ومسمار واربطها إلى رأسه. وضع مذبح أمام الإله شماش مع وجبة طيبة ثم رشها ومبخرة مع عطر من عشب الأرز فيه مع جرة صغيرة من البخور عليه ثم صنع تمثال شماش) وبعدها يتلو التعويذة التالية (اب أيا، الشرق، الرب أيا الذي يعطي التأثير والقوة إلى تعويذة مردوخ، اين اريدو، مردوخ قد رآه. المسيطر على السموات

(1) Hooke, op. cit. p. 77.
(2) H. Zimmern, Die Keilinschriftliche und Das Alte Testament (Leipzig, 1903), II, p. 33; James, op. cit. p. 238.

والأرض الذي أعطى الحياة لكل الأشياء، رش الرجل المريض). وتقرأ التعويذة ثلاث مرات. ثم قطع عقدة ثوبه ويعطي المريض رغيفاً مطبوخاً في رماد وكأسين من رغوة البيرة. ثم يؤخذ الشكل ويربط مع غصني صفصاف وتقرأ عليه التعويذة ويوضع في محل. وتلحقها تعويذة طويلة يستنجد بها بكل أرباب العالم الأسعد الذي يمثل لقوتها الرجل المريض صاحب الشكل الطيني. ثم ينتهي الرقم بالعبارة (أنت مقبور، ربما تبدل هيئتك، ربما تغير نفسك (أي ارجع إلى الحياة ثانية)[١]. والفكرة العفريت مستندة على التعويض (يوخو) حيث يكون العرض في العادة حيوان خاصة خروف أو شكل طيني أو عصا، ومهما يكن العوض فإنه يعامل كشيء ميت وفي العالم السفلي. وتقرأ دوماً كون الطقوس السحرية تأخذ عملها خارج المدينة أو في المقابر والبرية واللواتي ترمز إلى العالم السفلي. ونسمع أيضاً عن شد العقد من قبل الآشيبو إلى المرأة الحامل والتي تعمل بالطبع لإعطاء قوة إلى الشخص ضد عدوه. وتقرأ في نهاية إحدى نصوص المقلو الموجهة ضد السحر القول (قد حلت عقدتها وأبطل سحرها الذي ملىء البرية)[٢].

وكانت الرقي شائعة الاستعمال يحملها الناس لوقايتهم من أخطار العفاريت المتنوعة وحتى الأرباب كانت تحملها طلباً للسلامة والقوة. وكان مردوخ، كما ذكرت أسطورة الخلية البابلية مزوداً بالسحر مسلحاً به لدى حربه تيامات. وقد أمدتنا رقية بصورة مخلوق ربما يمثل الشيطان كما تصوره العراق في القديم حيث ترينا مخلوق مجنح بعضلات قوية وسواعد مفتولة وذيل ملتو وهو يحمل في يده سلاح الصاعقة واسمه بازوزو ابن الإله هابني ملك عفاريت الريح الشريرة كما تنص الكتابة التي في ظهر الرقيم وكانت مثل هذه الرقية تستعمل من قبل النساء عند الولادة لتسهيلها عليهن، مثلهن في ذلك مثل رقي اللاماشتي طاردة الشياطين التي تهدد النساء الحبالى منهن والمرضعات. واللاماشتي هذه تحمل بالعادة صورة وحش غريب الشكل ذي رأس أسد وجسم امرأة[٣]. ويلبس الناس وحتى الأرباب التمائم، وكان مردوخ عند حربه لتيامات لابساً تميمة من الطين الأحمر وممسكاً في يده نبتاً يبطل السم ويوقفه. وعلى أحد التمائم التي وصلتنا تقرأ (ذاك الذي وصل البيت قد أرعبني من فراشي ومزقني وحملني أرى الكابوس، فإلى الإله بابن، حارس باب العالم الأسفل، هلا يقدرون له، بأمر الإله نورتا، أمير العالم السفلي، بأمر مردوخ الساكن في ايساكيلا ببابل. ليعلم القفل

(1) E. Ebeling, Tod und Leben Nach Den Vorstellungen Der Babylonier, (Leipzig, 1931) pp. 76-78.
(2) Hooke, op. cit. p. 81.
(٣) الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان، بغداد ١٩٧٠، ص٢٤.

والباب بأني تحت حماية الريين)[1] وشكل التميمة، والتي كانت بالأصل للحماية من الرياح الغربية صيفاً والقلق عامة، تكون عادة على شكل رأس عفريت من الصخر أو البرونز بصدر طير وأذرع ادنان ماسكاً بيده سلاح الصاعقة. وعلى أحد التمائم تقرأ (أنا الإله يازوزو ابن الإله هابني ملك عفاريت الريح الأشرار. الذي يغضب بقوة في الجبل (جبل العالم السفلي) حتى يأتون. أما تلك الرياح التي ترافقهم، فالرياح الغربية في مقدمتهم وأجنحتهم مكسورة). والنار والأرباب الأخرى تأثيرات هذا السحر الأسود. وهذه الأرباب هي تلك الخاصة بالنار أمثال كيرا وكيبيل ونوسكو الذين تقرأ أسماءهم في تعاويذ الآشيبو ضد العفاريت والسحر. (كيرا الغضب، ابن آنو، أنت أكثر إخوانك عنفاً، أنت الذي تحكم بالقضايا مثل الأرباب سن وشماش، احكم بقضيتي، توصل إلى حكم يتعلق بي. احرق ساحرتي وساحري. يا كيرا استهلك (جسم) ساحرتي وساحري، يا كيرا احرقهم، يا كيرا استهلك أجسامهم، يا كيرا قيدهم، يا كيرا أهلكهم يا كيرا اطردهم).

ونقرأ في نص عن العلاقات التي تلاحظ على المريض ثم يسرد كيف أن مردوخ رآه وهرع إلى أبيه أيا وأخبره حيث الذي نصحه بأن يأخذ ماء نقياً وأن يحل رقيته، سواء أكانت تلك لعنة أحد أفراد أسرة المريض أو غيرهم وأن يستنجد به (بأيا) ثم يأمر ببطلان مفعول اللعنة وتأثيرها كما يقشر الآشيبو البصلة التي معه ويفتح التمرة التي في يده ويلف الفتيلة التي يحملها. ويطلب الآشيبو عادة هذه المواد (البصل والتمر والفتيلة والصوف وشعر الماعز) التي يرميها أحياناً في النار. ووصلتنا تعاويذ لاماشتو كثيرة تقرأ في واحدة أن يأخذ الشخص طيناً من الأرض ويضع عنها شكل اللاماشتو يضعه عند رأس الرجل المريض بعدها يملأ موقداً بالرماد ويضع خنجراً فيه. ثم يضع الموقع هذا لمدة ثلاثة أيام على رأس المريض. وفي نهاية اليوم الثالث على الشخص أن يضرب شكل اللاماشتو بالخنجر ثم يحرقه في زاوية من زوايا البيت. وفي رقية أخرى إلى اللاماشتو يركز الآشيبو فيها أن يضع شكلاً إلى اللاماشتو (اتية آنو) من طين حفرة وكذلك شكل حمار من نفس الطين. ويقدم سكيبة طعاماً من الخبز والبيرة ويذبح خنزيراً صغيراً واضعاً منه على فم اتية آنو. ويكرر الوضع لمدة ثلاثة أيام قارئاً خلالها التعويذات وفي نهاية اليوم الثالث يأخذها إلى البرية[2].

(1) H. W. F. Saggs, The Greatness That was Babylon, (N. Y., 1963).
(2) Ibid pp. 305-307, 311.

ولدينا صنفين من الأرواح الأولى الشريرة المعروفة بالاوتوككي ليمنوتي والثانية بالطيبة من نفس (الاوتوككي) والمعروفة بالشيدو، واللماسو. وتقرأ في تعويذة ضد الاوتوككو الشريرة (نامارتو والتي هي خراب وتدمير قد أمسكت به.... أوتوككو شرير يركض في الحديقة مثل ريح الهابّة. آلو الشرير الذي يسير في الشوارع مثل الريح، الاطيممو الشرير المعلق على الإنسان كالحبل. العاللو الشرير المنتشر مثل الشبكة والذي لا يتمكن أحد أن يمحوه. لقد تعلقت على رأسه النامارتو الشريرة، لقد تملكت على بلعومه الاوتوككو الشريرة، لقد تملكت على صدره الآلو الشريرة، لقد تملكت على يده العاللو الشريرة. لقد تملكت على قدميه الرابيصو الشريرة فلم يتمكن من الأكل أو الشرب. لقد رآه مردوخ.... اذهب ولدي، خذ طحين ذرة مر المقدس عند العفاريت وطحين حنطة المقدس عند الأرباب ثم خذ طحين الانفيننو واخلطهما...)[1].

واعتقد العراقي القديم بقدرة الشيدو واللاماسو اللامتناهية على طرد الشرور مهما كان مصدرها. وقد صوروها على شكل أسود مجنحة برؤوس بشرية ووضعا عند مداخل القصور الملكية. وعملت لهم أشكال من الطين والخشب وضعت على البيوت وحتى الغرف للحماية والأمان من عناصر الشر وأرواحه. وقد عثر في موقع أور على أشكال معمولة من الطين في صناديق من الطابوق بأغطية فتت تحت الجدران وبعض هذه الأشكال مصبوغة بالأسود والأحمر وهي على أنواع مختلفة غالباً رجال بشكل أسماك في بدلة طويلة مع منعة مدببة وبعض منهم رجال يشبهون الطيور. وبصورة عامة فإن أمثال هذه الأشكال التي وضعت لحماية المنزل تحوي عدداً من المآسي التي قد يتعرض لها البيت ومن فيه وبذلك تعتبر حامية المبيت منها (سواء أكانت شبحاً شريراً أو روحاً شريرة أو غول شرير أو إله شرير... أو لاماشتو أو لاباسو أو الماسك أو الليلو أو ليليت أو.. يد إله أو يد إلهة أو وباء.. أو عفريت طاعون أو عفريت سوء حظ أو الموت أو اكر أو الحمى أو القاتل وما إلى ذلك والتي تؤذي الإنسان في بيت إنسان). وهناك أيضاً طقوس خاصة تعمل للشكل الطيني أو الخشبي هذا قبل وضعه في الأرض كأن يرشه (طبعاً الساحر) بالماء المقدس ويضعه على مرفعة الطقس ويضحي له الخرفان ويضع اللحم والعسل والزبد ويهيء المبخرة مع العشب الطيب الرائحة كيما

(1) E. E. Kundsen, Two Nimrud Incantation of The Utukku Type» Irak, vol. 27, 27, part 2, Fall 1965, pp. 167 FF.

يحرقه فيها وبعد سكبية الخمر ووعاء الماء المقدس ويتلو بعدها التعويذة الخاصة. وقد عثر على تماثيل طينية عليها كآلات سحرية. وفي كتابة من هذه وجدت على أشكال لكلاب تقرأ لـ.... اسم كلب أسود، استهلك حياته. اسم كلب آخر العالي العواء اسم الكلب الأحمر، طارد عفريت الاساكو. اسم الآخر ماسك العفريت العدو... اسم الكلب الأخضر طارد العدو. اسم الآخر الذي يعض العدو، اسم الكلب المرقط، مقدم الطيبون، اسم الآخر طارد النحسين المؤذين)[1].

وهناك طقس عرفوه بتطهير الدار، تؤخذ به كافة التماثيل سواء كانت طينية أو خشبية إلى النهر ويضعها باتجاه الشرق، وعند شروق الشمس يعمل على التماثيل مرسوم يشتمل على أضاح وسكيبة إلى الإله شماش ترجع بعدها الإشعال إلى الدار حيث تقدم لها أضاحي وسكائب أخرى هذه المرة إلى مردوخ ورب ورية الدار والثلاث أرباب العظمى وإلى الروح الحامية للبيت ثم إلى ملكة العالم الأسفل، ثم يلمسوا المناطق المهمة من الدار كالزوايا وأعقاب الجدران والسقوف ومجاري الدار الهوائية بمواد كثيرة لتطهيرها ليرمونها بعد ذلك في خارج الدار. وهكذا طردت الشرور عن الدار وتقدم الأضاحي وتقرأ التعويذة التالية (ومن أجل الأمور الشريرة الموجودة والتي تجلب المآسي لدار فلان بن فلان... لقد جعلتكم تقضون خارج الدار يداً وعيناً، لطردهم خارج بيت فلان بن فلان. هلا يطرد أي شيء مؤذي وغير طيب لمسافة ٣٦٠٠ ساعة مضاعفة)[2].

هذا وقد تكون المآسي التي تنزل بالإنسان من جراء سحر عمله ضده ساحر بتأثير شخص معاد أو لتسلط عفاريت شر عليه وربما نتيجة عدم التزام الشخص بالتزام وتقيده بتحريم أي خرقه للممنوعات حيث نعرف أن هناك بعض الأطعمة والفعاليات التي حرمت على العراقي القديم حيث تقرأ في نص (في أشهر تشرين، اليوم الأول أن لا نأكل الثوم وإلا فإن العقرب سوف تلدغه، أن لا يأكل بصل وإلا فسيصاب بالدزانتري. في اليوم التالي يجب أن لا يأكل الثوم وإلا فسيموت شخص مهم في عائلته... أن لا يصعد إلى سقف وإلا فإن رفيقة الليلو سوف تمسك به.. في اليوم الثالث أن لا يتصل جنسياً مع امرأة وإلا فإن تلك المرأة تأخذ قوته الجنسية. في اليوم الرابع أن لا يعبر نهر وإلا فسوف يذهب نشاطه ورجوليته. في اليوم الخامس أن لا يأكل لحم خنزير وإلا فإن

(1) H. W. F. Saggs, The Greatness.. op. cit. pp. 313-315.
(2) Ibid, pp. 315 – 316.

دعوى سوف تقام ضده. أن لا يأكل لحماً مطبوخاً أو أن العفريت المتجول سوف يضربه، أن لا يأكل لحم بقر وإلا فإن عفريت الاوتوككو سوف يمسك به... الخ). أو قد يكون السبب إهماله واجباته نحو رب أو ربة أو قد تكون نتيجة ذنب ارتكبه هو أو أبيه أو أخيه الأكبر أو جده أو أخته الكبرى أو أحد أفراد عائلته وحتى قبيلته. أو قد يكون السبب أيضاً بأنه خرق تحريماً لمدينته أو تلفظ فالاً سيئاً ضد مدينته أو أنه قد نام في فراش شخص ملعون أو جلس بكرسي شخص ملعون أو على مائدة شخص ملعون أو شرب من كوب شخص ملعون[1]. وحتى بناء البيوت يجب أن تتم حسب طقوس سحرية لإكماله. وجميع المباني العامة والمقدسة وضعت في أسسها أشياء، وفي العصور اللاحقة صار وضع مثل هذه يصحبه تقديم أضاحي. قد وضعت تحت أبواب البيوت الحروز وتماثيل الأرباب وحيوانات وعفاريت لحماية أصحابها من أرواح الشر، وضعت كلها بحضور الآشييو الذي يقرأ عادة عليها التعويذة الصحيحة. فعندما تكمل البناية يأتي الآشييو ويضع شكلاً من الطين يمثل رب الطابوق مع أشياء على قارب صغير يحمله ويقرأ التعويذة (رب الطابوق أنشدك، بالسماء والأرض أنشدك، أنشدك بحق آلالا وبيليلي، أنشدك بلخمو ولا خامو، أنشدك بأرباب السماء، أنشدك بأرباب الأرض، أنشدك بأيسو، أنشدك بالأرباب التي تسكن دوكو (الجبل المشرق) هلا تمزق، تخرج وتذهب وتضعف وترحل من هنا، أنشدك أن لا ترجع)[2].

فاعتقد العراقي القديم بوجود العفاريت الكثيرة الطيبة منها والخبيثة. والأخيرة هم أولاد أرباب الشر الذين دحرهم مردوخ بينما الطيبون فقد نسلوا من الأرباب التي لا تزال تعيده والجن الطيبة معروفة متميزة بأجنحتها والثيران المجنحة أو أنها غير منظورة. وعرفوا أيضاً باسم ثلث عشتار أو ثلثي عشتار أي برقم ٥ أو ١٠ لأن رقم الربة عشتار ١٥. وأن الجن الخبيثة أكثر بكثير عدداً من تلك الطيبة. واعتبرت الطيبة أولاد آنو أو انيل وأمهم ربة العالم السفلي وحتى أولاد أيا من دامكينا. وعرفوا أيضاً باسم طحال أيا. وقد صوروا هذه العفاريت كمخيفة وكوحوش ذات أشكال غريبة غير اعتيادية. وهم في جماعات منهم الاوتوككو الأشرار المعروفين أيضاً بالسبعة والذين يختلف عددهم أحياناً حيث ورد في النص (سبعة أنهم سبعة، في الأعماق أنهم سبعة، في السماء أنهم سبعة، موضوعين في الأعماق أنهم سبعة، ليسوا بذكور أو إناث، رياح عاتية هم،

---

(1) Ibid, pp. 318 – 320.
(2) Bruno Meissner, Babyloniens und Assyrians (Heidelberg 1924), II, pp. 235 – 236.

ليس لهم زوجات ولا ينجبون أطفالاً، لا يعرفون الرحمة والشفقة ولا يسمعون التماساً ولا دعاء. إنهم خيول ربيت في الجبال، معادين إلى أيا، إنهم حاملي عرش الأرباب ولعرقلة الطريق يرمون أنفسهم في الطريق أنهم أشراراً أشرار أنهم سبعة عددهم سبعة مرتين سبعة» وتقرأ أحياناً عن كونهم قبيلة ويضموا حولهم عفاريت كثار منها الأشباح (الاطيمبو) والنارمارتو (عفريت لمرض)، ويكون نباحهم في بعض الأحيان أشد من عضتهم. يتمكنون من دخول البيوت والصفير به والكلام وقلب أثاثه على بعضها وحتى يذهبوا إلى الاصطبلات لقتل الحيوانات وأذاها. يدخلون البيوت مهما كانت محكمة القفل ويجعلوا أفرادها تتخاصم. وهناك السبعة الآخرون الذين بالاشتراك مع العفريتة انية آنو الذين يمنعون الأطفال من الولادة في الوقت المعين أو يقتلوا الطفل الحديث الولادة. وهناك العين الحاسدة التي لا يصيب الرخاء أحد أو أمر تحت تأثيرها. فقد يقف تأثيرها المطر في السماء ولا ينمو الحشيش ولا تتكاثر الحيوانات في الاصطبل. ونوع آخر من العفاريت الخبيثة هم الأشباح (الأطيمبو) وهم أرواح أولئك الذين لم يعيشوا بسعادة في هذه الحياة أو ماتوا موتاً عنيفاً وهم كثيرون تقرأ عنهم في نص (ذاك الذي ترك جسمه في السهل، وذاك الذي لم يدفن، وتلك التي ماتت عذراء أو في مهدها أو التي مات طفلها أو ذاك الذي وقع النخلة أو غرق). أو الذين لم يدفنوا دفناً صحيحاً حسب الأصول أو الذين لم يجلب لهم أهلهم وأصدقائهم منذ موتهم العطايا الجنائزية[1].

والعفاريت أعطيت أسماء كثيرة وهي في أحوال متعددة تحمل معاني القوة أو المسك أمثال الأوتوككو. آلة، الشيدو، العاللو. أو أنها تحمل اسماً وصفياً مثل الأخنحازو (الماسك) والرابيصو (المنتظر) واللاباسو (الداحر) والليلو والأنثى الليتو (الروح الليلية) وأعطوا أوصافاً مختلفة أمثال القساة، لمتعطشين للريح، الطائرين في الفضاء. ومنهم الأدمو والتي هي في الواقع أرواح الموتى اللواتي تركت أجسامهم الأصلية حالاً بعد الموت وبدأت في إنزال الأذى بالأحياء والإضرار بهم. ثم النامارتو عفريت الطاعون والأمراض الخبيثة ومبعوث الإله من كمال إله الموت والعالم السفلي. وغيرهم الأوتوكو التي تعيش في المقابر والصحاري والجبال. والعاللو وهي العفاريت غير المتميزة الجنس والتي تقطن الخرائب والمحلات الخالية غير المأهولة، والرابيصو التي تختفي أثناء النهار وتخرج ليلاً لإرهاب الناس. والأساكو التي تتغلغل في أجسام الناس، والأخازو واللابرتو واللاباسو التي تهاجم الأطفال على الأكثر. وهناك مخلوقات

---

(1) Contenau, Every Day… op. cit. pp. 254 – 255.

مركبة نصفها بشر والنصف الآخر شيطان مثل الليلو ذكور دونما زوجات فنراهم على الدوام يطاردن النساء ويلحقون الأذى بهن ويزرعون الفزع في قلوبهن. ويقابل هؤلاء الأردات ليلي وهم من النساء دونما أزواج لذا أصبحوا في ملاحقة مستمرة للرجال من أجل الظفر بهم وإشباع رغبتهن منهم. ومن العفاريت الطيعو، الذي يسبب أمراض الرأس والحمى. والتعاويذ ضد هذه العفاريت كما صنفت وسميت من قبل الباحثين المحدثين تقع في أصناف أهمها الشوريو والمقلو المستندتان على الحرق والأخرى الأوتوككي ليمنوتي والأشاككي مارصوتي (مرض أشاككي) وسلسلة لا بارتو.

وإن طقس الإله أيا يدور حول استعمال الماء في شتى الأصناف. ثم حرق شكلاً يمثل العفريت مع قراءة تعويذة أمثال (أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكالهم، أشكال الأوتككو والشيدو والرابيصو والأتيمو واللابارتو واللاباسو والاحنخازو والليلو والليليت ورفيقة ليلو. وجميع الشر الذي يملك الرجال. أو جناذب ودخانكم يرتفع إلى السماء وأعضاؤكم سيشمها إله الشمس وهلا يحطم قوتكم مردوخ الساحر الكبير ابن أيا)[1].

ثم يتحولوا إلى الساحر والساحرة (في هذا اليوم تقدم لمساعدتي، أخمد المضطرب وأقهر الشر. وكما أن هذه الأشكال ترفرف وتذوب وتتلاشى. هلا ترفرف وتذوب ويتلاشى الساحر والساحرة)[2]. ولهذا فإن الماء والنار يشكلون العنصرين الرئيسيين لطرد العفاريت. ففي طقس أيا السالف الذكر يأخذ الساحر ماء من دجلة أو الفرات ويرشه على جسم زبونه مع قراءة (بماء طاهر نظيف، وبماء صافي لامع سبع مرات وسبع مرات، رش وطهر ونظف، هلا ترحل الرابيصو الشريرة، هلا يتحى جانباً. هلا تبقى في جسمي الشيدو الطيبة واللاماس الطيبة. أؤكد بالأرض)[3] ويعملوا الأشعال كما أسلفنا القول من القامة أو الطين أو العجين. أو البرونز. وتشتمل طقوس الحرق أيضاً حرق مواداً أمثاله تمر، بصل، صوف وبذور أو رميها في النار مع قراءة صيغة سحرية مثل (ومثل البصل المقشر والمرمي في النار، المستهلك في النار المشتعلة، لا يزرع في البستان، في الأخدود والحفرة لا توضع، وجذرها لا تثبت في الأرض وساقها لا ينمو ولا يرى الشمس ولا تأتي إلى مائدة رب أو ملك، هلا تؤلم وتؤدي ونفذت اللعنة، مرض، أوجاع، ذنب، أخطاء، تعدي. المرض في جسمي وجلدي وعضلاتي يقشر مثل

---

(1) Maqlu, Tablet I, 135-143.
(2) Maqlu, Tablet II, 132 – 135.
(3) Paul Haupt, Akkadische und Sumarische Keilinschrif- texte (Leipzig, 1892), p. 90.

هذه البصلة ويحرق اليوم في النار المستعملة، هلا كل العقدة وهلا أرى الضوء[1]. هذا وترمي أحياناً الأشعال في الماء بعد قراءة صيغ سحرية عليها. وأحياناً يقيد الشكل من الأيدي والأقدام وتوخز عيونه وتملأ باللعاب ويخرج لسانه أو يربط ويغطي فمه أو يملئ سماً أو تراباً أو يشفوا جسمه[2].

وأحياناً يدهن الساحر جسم زبونه بالزيت وتتلى عليه صيغة سحرية مثل (زيت نقي، زيت لامع، زيت مشرق، زيت يجعل الأرباب مشرقة، زيت يلطف عضلات الإنسان، زيت تعويذة أيا مع زيت تعويذة مردوخ، أصب عليك مع الزيت المشافي الممنوح من قبل أيا لتخفيف الآلام، أمسحك أعطيك زيت الحياة، وبواسطة تعويذة أيا، رب أربو، سأطرد منك المرض المصاب أنت به[3]. هذا وإلى جانب التمائم التي ذكرناها والتي هي على شكل أحجار وصخور توضع بحلقة وتربط إلى الأيدي والأقدام، هناك خيوط يغزلونها من خرفان صغيرة ويعقدونها ويربطونها بالمراس أو الرقبة أو الأيدي أو أعضاء جسم المريض وحتى حوالي فراشه[4].

وربما يكون أساس تفكير العراقي واعتقاده هذا عدم ثبات بيئته وتغيرات محيطه العنيفة المستديمة والفجائية أحياناً. فالفيضانات الخطيرة المدمرة والحرارة الشديدة التي تبدأ منذ أوائل مايس وتنتهي بأواسط تشرين الأول والرياح العاصفة الرملية تشكل بعض ما قدمته بثبته إليه. إلى جانب شكوى الزراع من ضعف قوة الأرض الإنتاجية وعملهم على ترك نصف أراضيهم بوراً على الأقل كل سنة أو طلبهم مناطق جديدة تجنباً لأملاح التربة (الشورة). فالعراقي القديم ليس كأخيه المصري الذي أمده محيطه بشعور قوي بالطمأنينة والرضا وعلمه النظام وأشعره بالسعادة. فقد كان المصري القديم يعرف بالضبط مقدرات طبيعته فيعلم متى يفيض النيل ومتى تهبُّ ريح الخماسين القوية فانتظمت لذلك أوقات حصاده وزرعه. ولكن العراقي القديم لم يجد أي سبب يحمله على الثقة بالطبيعة التي هي بنظره مليئة بقوى مدمرة مهلكة لم تنج منها حتى تربة حقله. فليس من المدهش إذن أن نجده خائفاً من القوى غير المنظورة التي اهتم كثيراً بإرضائها وعمل على تجنبها بشتى الوسائل خاصة عن طريق السحر والشعوذة وجعلته مولعاً أيما ولع بالفألة والعرافة. فلم تترك عناصر الشر حتى القمر

(1) Shurpu Series, Tablet V-VI, 60- 72.
(2) Maqlu Series, Tablet III, 89- 103 and Tablet VII, 97-107.
(3) Maqlu Series, Tablet VII, 31 – 38.
(4) Jastrow, The Civilisation… op cit. pp. 253 – 254.

الذي ينظره رباً من الأرباب حيث تصور العراقي القديم الخسوف نتيجة القرار من قبل بعض العناصر الشريرة حيث ورد في النص (لقد اخترقت الأرباب السبعة الشريرة طوق السماء وتجمعت بغضب حول هلال الإله سن)[١].

ولكن قوى الشر في العالم بأجمعها في نظر العراقي القديم، تظهر في شخص الشريرة تيامات. ولو أن تيامات نفسها في الأصل ربة أنجبت الكثير من الآلهة العظمى القديمة فقد ارتبطت بالشر وأصبحت المخلوق الإلهي الذي يتجسم فيها الشر، شيطانة حقاً أرادت الموت والفناء للكل حتى للشبان من الآلهة، والذين هم أحفادها من أجل راحتها وسلامة الأقربين لها ليس إلا ولكن الإله الشاب، مردوخ جرأ على النزال معها والحرب مع أعوانها وجنودها ولأجل أمه تتصدى تيامات للتحدي الجديد هذا وتهديدات مردوخ المستمرة لها يذكر النص (فقد أحضرت الأفعى والتنين والأسد ذو الرأس البشري والسبع الضخم والكلب المسعور والإنسان العقرب والعفاريت الضخمة بشكل الأسود والذبابة التنين والحصان برأس وصدر إنسان وهم حاملين أسلحة لا تترك أحد (دون أذى) ولا تهاب المعامع[٢] ورغم كل ذلك فقد استطاع مردوخ، الذي حصل على منازلته أمر المجلس الإلهي (بوخور اياني) وتشجيع والده أنيل له، دحرها وقطع جسمها إلى نصفين خالقاً من أحدها السماء ومن الآخر الأرض وصانعاً من دمها البشر. فعلى أساس ما جاء في هذه الأسطورة (الانوما ايليش ـ من هو في العلى أو قصة الخليقة البابلية) فإن المادة الأصلية التي خُلِق منها الإنسان هي جزء من شيطان خطر. فلما كان البشر قد خلقوا من دم تيامات والتي وإن كانت أم الأرباب ولكنها شيطانة نفسها مليئة بالكراهية وحب الانتقام والعطش للقتل وسفك الدماء فإنهم بذلك مخلوقات يجري الشر في عروقهم. ويمكن النظر إلى تيامات أيضاً كإله مغضوب عليه واندحارها أمام مردوخ ربما يفسر في حقيقة كون الشر مقدر من الأرباب العظام من ناحية وأنه بذات الوقت عنصر زائل في النهاية لا محالة. وأن انتصار مردوخ كان ماحقاً اكتسب شهرة واسعة جعلته يمجد سنوياً في عيد الاكيتو (زاك موك) المشهور الذي يتفق والأيام الأولى من شهر نيسانو (آذار ـ نيسان) في تقويمهم.

---

(١) الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى... المار ذكره ص١٨ ـ ص٢٠.

(2) T.B Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, (New Jersey, 1955), Story of Creation p. 62 Tablet I, Lines 139 – 134, Georg Barton, «Tianat», Joas, Vol, XV (1893), PP. 1-27.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى... المار ذكره، ص٢٠.

وإن تعاظم اسم مردوخ وقوته، حسب ما تذكر الأسطورة، يرجع سببه إلى ما حققه من نصر في معركته مع تيامات الذي حفظ بها جميع الأرباب الآخرين من الخطر وجعلته بطل الحق والمدافع الحقيقي وخالق البشر. وقد يعمدوا أحياناً خلال هذا العيد لاختيار وتنصيب ملك عوض (شاريوخي) تعطي له جميع سلطات وقوى الملك الحقيقي وصلاحياته من يوم واحد إلى مائة يوم ثم يقتل في آخر النهار ويدفن عند غروب الشمس في احتفالات ضخمة بعد تشييع فخم[1]. وهذه العادة في نظرهم تجبر جميع القوى الشريرة والأرواح الشيطانية على عدم الإضرار بالملك الحقيقي طيلة أيام السنة الجديدة ويلجئوا إليها أيضاً إذا ما ظهرت هناك علامة فسرها الكهنة بخطر محدق بالملك الحاكم تتطلب تقديم فدية بشرية له بهذه الوسيلة.

فالرؤوس الكبرى للشر في نظر العراقي القديم سواء أكانت تيامات نفسها مبدئياً أو الشياطين السبعة هم أرباب قبل كل شيء. فمصدر الشر آلهة معينة إذن لا يمكن رد أوامرها وهي ذات قوى خارقة والعفاريت والأرواح الشريرة تتمكن حسب رأي العراقي القديم في أي وقت من إنزال الأذى بالناس والحاق الضرر بهم كإصابتهم بأمراض متنوعة وإحلال الرزايا فيهم وإنبات الخوف في قلوبهم وهد سعادتهم. وتتمكن الأرباب التي لا تستقر على رأي واحد ثابت من أن ترسل الكثير من العلامات والإشارات والحوادث الطبيعية وحتى البشرية لتنذر الناس عن كوارث وشيكة الوقوع. أمثال البرق والبرد والصقيع والمطر وحتى تكسر أثاث البيت ولدغة النحل وسقوط فرد من العائلة من محل مرتفع الخ. وأطلقوا على كل هذه الأصوات (الاشايوت) يمكن تفسيرها بسهولة من قبل الاشايو.

أما العرافة فقد برز العراقيون القدماء بروزاً ملحوظاً واستنسخت نصوصهم في شوشة ونوزي وحاتتوشا وقطنه وخاصور وما إلى ذلك وترجمت إلى اللغات المعروفة آنذاك أمثال العيلامية والحيثية. والعرافة تمثل طريقة فنية للاتصال بالقوى الميتافيزيقية التي لها الأثر الكبير في صنع التاريخ سواء جماعة أو الفرد، وذلك عن طريق وسائط متنوعة، وهذه العَرافة كانت تختلف من وقت لآخر وحتى من منطقة لثانية. علماً بأن هناك ما هو خاص بالملك فقط والفقير وما إلى ذلك. وما هذه الأنواع كما سنرى. ملاحظة الدخان المتصاعد من المبخرة ودوائر الزيت عند صبّه في الماء ورمي القرعة مثلاً

---

(1) Sami Said Ahmed, Southern Mesopotamin in the Tire of Ashurbanibal, (The Hague-Paris, 1968) pp. 71 FF.

أن القرعة قد استعملت في العصر البابلي القديم لتقسيم حصص مقاطعة بين الورثة من الأولاد[١].

فأقدم النصوص العراقية الخاصة بالسحر والعرافة وصلتنا من العصر السومري حاملة عناوين أمثال (إذا كانت مدينة على ارتفاع معين) و(عندما الاله آنو وانيل) و(إذا خرب أو بنى إيقفور إيبوش). وقد صور أوتو نابيشتوم متّبعاً العرافة وكيف أن ملك سيار السومري أنمين دورانكي قد اعتقد بأنه حصل على فنون الفأل ومعرفة المستقبل من الأرباب[٢]، فالعرافة بواسطة صب الزيت بالماء معروف منذ زمن أوروكاجينا، أما الفأل عن طريق مخص كبير الحيوان المضحي فإنه كان معروف على حد رأيهم منذ زمن الملك أنميلو أننا من ملوك ما قبل الطوفان[٣]. ولم يكن بجسم الملك انمين دورانكي أي نقص فلهذا من الأمور الهامة في العراق القديم أن يكن العَرّاف (البارد) خالياً من كل عيب جسماني حيث ورد في النص (العراف الذي من أب غير نقي ونفسه غير كامل الأعضاء أو الملامح كأن تكن عيونه غير سليمة أو أحد أسنانه مكسور أو غير كامل الأصابع أو ذا شكل مريض أو بدمله، لا يمكن أن يكون حافظاً لأوامر شماش وأادا (أرباب العرافة). وعليه أن يمر بمدة طويلة من الدراسة والتحضر وأن يكون حالق الرأس تماماً أو بشعر خفيف جداً حيث ورد في النص (الحلاق قد أكمل عليه عمله) وكانوا مرتبطين بالقصر وفي أية لحظة يستدعون إليه وكان عليهم تقديم القسم حيث نعرف عن وضعه في نوع من الشبكة[٤].

وعرف الباروتي (العرافين) في لكش منذ أزمنة بعيدة وهم منقسمون إلى أقسام متعددة حسب الأنواع المختلفة للظواهر التي يلاحظونها. ففي زمن أورنانشة تسمع بأن رأس البارو (PA. Azo) قد استنجد بأنكي لأن يحصل على وحي منه حول بناء معبد كرزو. ونعرف أيضاً أن في العهد الذي سبق أوروكاجينا إذا أراد الرجل أن يسقط قطرة من الزيت في ماء لمعرفة إرادة الأرباب فيجب عليه أن يدفع خمس شقلات من الفضة إلى الاشتاكو وشقل واحد إلى الحاكم وشقل آخر إلى الايكاللو الذي كرس نفسه لهذه المهمة. ونعرف بأن الملوك كانوا يشاورهم حتى في الأمور التافهة أحياناً. فعمو لهتانا مثلاً قد أخذ نصحهم مرة في إرسال إرسالية من الحنطة. ومهنة البارو وراثية

(1) A. Leo Oppenheim, Ancient Mesopotamia, (Chicago, 1964) pp. 206 – 208.
(2) H. Zimmern, Beitrage zur kenntnis der Babylonisegen Religion (Leipzig, 1901) p. 116, No. 24, lines 1, 23.
(3) E. O. James, The Ancient Gods, (N. Y., 1960) p. 232.
(4) Contenau, Every Day… op. cit. p. 281.

لأنه يجب أن يكون (من نسل كاهن وخارج من كاهن طاهر). وعليه أن يلبس الملابس النظيفة في وقت أخذه العرافة ونعرف من الرقم البدائية الأولى ومن صور الأختام الأسطوانية بأنهم كانوا يؤدون واجبهم عراة الجسم.

فمن الطرق التي اتبعوها هي تلك الخاصة بفحص كبد الحيوان الهضمي. فاعتبروا الكبد مركز الحياة والتي فيها يرى العَرّاف إرادات الأرباب كالمرآة. ويجب أن تكون الضحية لهذا الغرض دونما ثمة عيب. وعند العمل يقبل الإله نصيحة ويضع الموقد وعلى المنضدة خلف الموقد أربع اواعي من زيت السمسم و٣٦ رغيف وخليط من العسل والزبد والملح. وبعد رش الموقد يمسك الكاهن بالشخص المضحي من يده ويقرأ الدعاء التالي (فلان هلا يقدم لك الأضحية في الصباح، هلا يقدم نفسه أمام عظمتك الملكية، هلا يكن مسراً لعظمتك بفضل النعجة المتألفة من جلد أمل وأقسام تامة). ثم يأخذ الكاهن حصة الإله وهي الساق اليمنى والكلي وقطعة من اللحم. وفي المتحف البريطاني كبد من الطين مقسم إلى خمسين قسماً توازي العلامات المختلفة[1]. فبمطابقة الأرباب مع الحيوانات يجعل الحيوان المضحي له قدسية ويكتب الصفات المرتبطة بالرب فتصبح روحي الاثنين متطابقة. فبملاحظة الحيوان من المحتمل أن نلاحظ خطط الأرباب للمستقبل على الأرض. وهنا يمسح البارو جسمه بالدهن ويلبس الأردية الخاصة ويرتل الأدعية إلى شماش وأداد. فإذا كانت جميع العلامات طيبة ففي هذا الكفاية وإذا كانت العلامات مشكوك فيها فيضمن خروف آخر. وإذا استمرت العلامات النجسة فيذبح آنذاك خروف ثالث. وإن انتفاخ الجانب الأيمن من الكبد علامة طيبة، وإذا كانت المرارة ممسكة بالكبد فمعناه (أن العدو قد أمسك به) وإذا كان الأنبوب الكبدي طويل فمعناه حياة طويلة أو عهد طويل[2]. حيث عرف البارو العراقي القديم أقسام الكبد أمثال قصبه الأعلى والأسفل وائدتيه وأنبوب المثانة والمرارة وأنبوب الكبد وباب الكبد. أجزاء الكبد بأسماء مبتدعة لمشابهتها الأشياء التي سميت بها مثل الإصبع والطريق والفم والقصر والباب والعرش الخ. فالعلاقات على الجانب الأيمن طيبة وعلى الأيسر نحسة، بينما المثانة المنتفخة معناه زيادة القوة

(1) Delaporte, Mesopotamia, (London, 1925) pp. 152 – 154.
(2) Sami S. Ahmad, Characteristics of Ancient Mesopotamain Religions Thought Ametzqr, vol. 79 (1967) p. 127.

لأنه يجب أن يكون (من نسل كاهن وخارج من كاهن طاهر). وعليه أن يلبس الملابس النظيفة في وقت أخذه العرافة ونعرف من الرقم البدائية الأولى ومن صور الأختام الأسطوانية بأنهم كانوا يؤدون واجبهم عراة الجسم.

فمن الطرق التي اتبعوها هي تلك الخاصة بفحص كبد الحيوان الهضمي. فاعتبروا الكبد مركز الحياة والتي فيها يرى العَرّاف إرادات الأرباب كالمرآة. ويجب أن تكون الضحية لهذا الغرض دونما ثمة عيب. وعند العمل يقبل الإله نصيحة ويضع الموقد وعلى المنضدة خلف الموقد أربع اواعي من زيت السمسم و٣٦ رغيف وخليط من العسل والزيد والملح. وبعد رش الموقد يمسك الكاهن بالشخص المضحي من يده ويقرأ الدعاء التالي (فلان هلا يقدم لك الأضحية في الصباح، هلا يقدم نفسه أمام عظمتك الملكية، هلا يكن مسراً لعظمتك بفضل النعجة المتألفة من جلد أمل وأقسام تامة). ثم يأخذ الكاهن حصة الإله وهي الساق اليمنى والكلي وقطعة من اللحم. وفي المتحف البريطاني كبد من الطين مقسم إلى خمسين قسماً توازي العلامات المختلفة[1]. فبمطابقة الأرباب مع الحيوانات يجعل الحيوان المضحي له قدسية ويكتب الصفات المرتبطة بالرب فتصبح روحي الاثنين متطابقة. فبملاحظة الحيوان من المحتمل أن نلاحظ خطط الأرباب للمستقبل على الأرض. وهنا يمسح البارو جسمه بالدهن ويلبس الأردية الخاصة ويرتل الأدعية إلى شماش وأداد. فإذا كانت جميع العلامات طيبة ففي هذا الكفاية وإذا كانت العلامات مشكوك فيها فيضمن خروف آخر. وإذا استمرت العلامات النجسة فيذبح آنذاك خروف ثالث. وإن انتفاخ الجانب الأيمن من الكبد علامة طيبة، وإذا كانت المرارة ممسكة بالكبد فمعناه (أن العدو قد أمسك به) وإذا كان الأنبوب الكبدي طويل فمعناه حياة طويلة أو عهد طويل[2]. حيث عرف البارو العراقي القديم أقسام الكبد أمثال قصبه الأعلى والأسفل وائدتيه وأنبوب المثانة والمرارة وأنبوب الكبد وباب الكبد. أجزاء الكبد بأسماء مبتدعة لمشابهتها الأشياء التي سميت بها مثل الإصبع والطريق والفم والقصر والباب والعرش الخ. فالعلاقات على الجانب الأيمن طيبة وعلى الأيسر نحسة، بينما المثانة المنتفخة معناه زيادة القوة

(1) Delaporte, Mesopotamia, (London, 1925) pp. 152 – 154.
(2) Sami S. Ahmad, Characteristics of Ancient Mesopotamain Religions Thought Ametzqr, vol. 79 (1967) p. 127.

وانخفاض أنبوب الكبد وهبوط في القوة[1]. وتنص التعليمات بأن (إذا كانت العلاقات الطيبة كثيرة والنحسة قليلة فإن النتيجة طيبة). وقد وصلتنا واحدة لأسر حدوث يسأل فيها عن صلاحية زواج ابنته من بارتاتوا ملك السيثيين وكانت نتيجة الفحص الأول غير طيبة ولكن الثانية كانت طيبة وبذلك زوج ابنته[2].(٤٢) ووردنا أول نص من نصوص فحص الكبد من العصر الكاشي وتلك لحمورابي دونما شروح وكلها تلك من مكتبة آشور بانيبال والعصر البابلي الجيد جاءت مليئة بالشروح. وإن الظواهر الهرمية في الكبد سميت بأصابع الكبد كأن تقرأ (عندما يكون اصبع الكبد مثل رأس الأسد فإن الخدم سوف يطردون الأمير) و(إذا كان إصبع الكبد مثل أذن الأسد فإن الأمير سوف لا يكون له منافسين) و(إذا كان إصبع الكبد مثل رأس الخروف فسوف يكون الأمير ناجحاً)[3] (٤٣) وكانوا قبل الدخول في معركة أو وضع أساس لعب أو قصر أو عقد معاهدة مع دولة أخرى أو في حالة أزمة أو وباء فآنذاك يؤمر الكهنة بفحص كبد خروف مضحى[4].

ثم الفأل المستند على تصرفات وطيران الطيور والكواسر الأخرى، كأن نقرأ (إذا مر النسر من جانب الملك الأيمن إلى الأيسر فإن الملك سوف ينتصر أينما ذهب). وقد وصلتنا الكثير من هذه في نصوص قوينجق، وهناك نص في المتحف البريطاني نرى منه أن هناك ستة أنواع من الطيور تحمل التنبأ وهي طير المالك الحزين IGirn وطير اليسوككو وطير الجبل (إصصور شيدي) والنسر (إيرو) ونسر الصيد (كاسسوسو) وطير مكسور اسمه: (إذا بنى مالك الحزين عشاً.. فإن الشخص سوف يكون فقيراً... إذا رأى الناس طير جبل لم يره أحد من قبل في سوق المدينة فإن موجة عالية سوف تقدم... إذا صارت النسور تحوم باستمرار في المدينة فإن المدينة سوف تحاصر، وإذا طارت النسور على طريق الجيش فسوف يحدث انحدار له. إذا أمسك نسر بحمامة في شباك بيت رجل فإن الشر سوف يدخل ذلك الدار، إذا أمسك نسر بسمكة أو بطير ثم انطلق بعيداً ثم أكل فريسته أمام رجل فإن هذا الرجل سوف يتعرض إلى خسارة، وإذا أكل نسر حمامة فوق سقف بيت رجل ثم ينذ منها، فإن الرجل سوف يزداد ثراءه....

---

(1) Morris Jastrow, Die Religion Babyloniens und Assyrien (Giessen, 1905 – 12), pp. 213 FF. Morris Jastrow, «The Liver As The Seat of The Soul», in Studies in the History of Religions, Presented to C.H. Toy (New York, 1912) pp. 143 – 168.
(2) Melssner, Babylonien (Heidelberg, 1925), II, pp. 270 – 1.
(3) Ibid, p. 273.
(4) Jastrow, The Civilisation… op. cit. pp. 255 – 256.

وإذا حلقت نسور كثيرة في المدينة بنفس الوقت فإن المدينة سوف تهجر)[1] وإن مراقب الطيور (داجيل إصصوري) كان عرافاً[2] لآرائه وزنها. وقد وصلتنا نصوص كثيرة مأخوذة من مراقبة الطيور أثناء طيرانها عثر عليها في حران (سلطان تبه).

وهناك حيوانات أخرى غير الطيور استمد من تصرفاتها مختلف أنواع الفأله، مثل الحية تبه، خاصة حركاتها في شهر نيسان (إذا سقطت حية خلف إنسان في اليوم الأول - ١٣ نيسان فإن صديقه سيكون عدوه)[3] و(إذا لمحت أمضى رجل في بداية السنة، في اليوم الأول من نيسان أو اليوم الأول من أيار وخلال النهار أو في الليل فإن هذا الرجل سوف يموت في نفس السنة. إذا لمحته الأفعى في اليوم الأول حتى اليوم الخامس عشر من شهر أيار فإن أيامه تصبح قصيرة وسوف يلاقي أذى. إذا سقطت أفعى خلف أو أمام رجل في شهر حزيران فستحدث له خسارة. إذا صادف رجل أمضى في شهر شباط خلال فصل البرد، فإن الناس سيبيعون أطفالهم وأملاكهم من أجل الفضة. إذا صادف رجل أفعى في شهر آذار فإن الظلمات سيغمرها الضوء)[4]. و(إذا هاجمت حية إنسان وأمسكت به وعضته فإن عدو هذا الشخص سيصيبه الأذى. إذا مرت حية من جانب الإنسان الأيمن إلى الأيسر فسوف يكون له اسم طيب. وإذا مرت حية من جانب الإنسان الأيسر إلى الأيمن فسوف يكون له اسم سيء. إذا ظهرت حية في مكان يقف به امرأة وزوجها يتكلمان فإنهما سوف يتطلقان، إذا استمرت حية تحفر في بيت إنسان، فإن ذلك البيت سوف يتهدم أو يخرب).

ويستمر نفس النص بذكر علامات فأل أسردت من حركات حيوانات أخرى غيرها أمثال الكلب والنحل والحصان والثور والعقرب والثعلب وأبو عرس (إذا قتلت عقرب حية في بيت إنسان، فإن أولاد صاحب البيت سوف يقتلوه وسوف يموت. إذا قتل أبو عرس حية في بيت إنسان فإن سوف يقتلوه وسوف يموت. إذا قتل أبو عرس حية في بيت إنسان فإن هذا معناه وصول شعير وفضه. إذا سارت عقرب في فراش رجل فإنه هذا معناه وصول شعير وفضه. إذا سارت عقرب في فراش رجل فإنه سوف يثرى. إذا وقفت عقربة على رأس فراش رجل مريض فإن مرضه سوف يتركه. إذا وطأ إنسان دونما

(1) David Weberg, An Old Babylonian Forunners to Shumma Alu, Huca, vol. XL-XLI (1969 – 1970), pp. 87 – 94.
(2) Erica Reiner, «Fortune Telling/in/Mescpotamia», JNES, vol. 19, (1960) pp. 28 FF.
(3) Hooke, op. cit. p. 88.
(٤) الدكتور وليد الجادر، نظرات في مباحث ومؤلفات، سومر مجلد ٢٦ (١٩٧٠)، ص٤٠٩.

شعور على أم بريص وقتلها فإنه سوف ينتصر على أعدائه. إذا كانت النمل كثيرة عند مدخل البوابة الكبيرة فإن مرضه سوف يتركه. إذا وطأ إنسان دونماً شعور على أم بريص فإن مرضه سوف يتركه. إذا كانت النمل كثيرة عند مدخل البوابة الكبيرة فإن هذه معناه سقوط المدينة. إذا كان النمل يقتل بعضه البعض، عاملاً معركة تعدم للعدو وسيكون فشل لجيش عظيم. إذا كانت هناك كثرة في النمل الأسود المحتج بمعناه كثرة مطر وفيضانات. إذا كان القرن الأيسر لجاموس يبرز باستقامة أكثر من الأيمن فإن الاسطبل سوف يصبح واسعاً. إذا كانت هناك دموع تخرج من عيني الجاموس فإن الشر سوف يصل صاحب الجاموس. إذا ركب حماراً إنسان فمعناه إن ذاك الرجل سوف يصل صاحب الجاموس. إذا ركب حماراً إنسان فمعناه إن ذاك الرجل سوف يباع أو ستصيبه أيام صعبة.. إذا دخل حصان بيت رجل وعض حماره أو رجلاً فإن صاحب الدار سوف يموت وأثاث بيوته يتناثر... إذا ركض ثعلب في الساحة العامة، فإن تلك المدينة سوف تتخرب، إذا صار الخنزير يصر بأسنانه فإن تلك المدينة سوف تتبعثر، إذا حملت أنثى الخنزير ولدت ثلاث برؤوس بيضاء وذيول سوداء فإن أثاث منزل ذلك الرجل سوف يرهن على فضة. إذا. رفع كلب أبيض ذيله على رجل فإن ذلك الرجل سوف يصادف أوقات صعبة، وإذا بال كلب أحمر على رجل فإن ذلك الرجل سوف يسعد. وإذا اعتلى كلب على كلب آخر فإن النساء سوف يكن سحاقيات... إذا كان السمك كثير في الماء فإن البلاد سوف تحيا بسلام..)[1].

وفي نص آخر تقرأ عن إشارات سحرية أخرى تحملها الحيوانات والحشرات...الخ، (إذا دخل كلب أحمر إلى المعبد فإن الآلهة ستهجره، إذا وجد كلب مضطجع على عرش الملك فالقصر سوف يحترق، إذا دخل كلب أبيض المعبد فإن المعبد سوف يبقى عامراً لمدة طويلة، إذا دخل كلب أصفر قصر الملك فالقصر سوف يهدم)[2].

والطريقة الأخرى التي يلجئ لها البارو هي للزيت في وعاء للماء يحمله في حضنه كيما يعرف منها إرادة الأرباب سواء بالنسبة للبلاد أو الفرد وذلك بمراقبته لحركات الزيت بالماء سواء في علاقته مع السطح أو مع حافة الوعاء. وقد وصلتنا ثلاث رقم من العصر البابلي القديم يظهر إنها لم تستنسخ ثانية بل أقتطف منها في نص آشوري[3] فإذا كونت دائرة كاملة مثلاً وتحركت نحو الشرق فهو فأل حسن وإذا انكسرت

(1) Saggs, The Greatness.. op. cit. pp. 322 – 324.

(٢) الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى... المار ذكره، ص٢٣.

(3) Oppenheim, Ancient Mesopotamia... op. cit. p. 212.

فسيء[١]. وفي أحد النصوص من سلالة بابل الأولى نقرأ (إذا كون الزيت حلقة واتجهت نحو الشرق وبقيت غير مكسورة - فإذا كانت المسألة متعلقة بسفر فإني سوف أذهب بها وآكل جزء (آخذ حصة من الريح) وبالنسبة لمريض فسوف يشفى) و(عندما تتكون حلقتين، وأخرى صغيرة فإن الزوجة ستلد ولدا وسوف يشفى المريض، وعندما ينتشر الزيت ويملئ الكوب فإن المريض سيموت وسينتهي السفر بموت)[٢].

وإن معلوماتنا مع الآسف عن فن العرافة المستندة على حركات الدخان المتصاعد من مبخرة يضعها البارو في حضنه قليلة جداً لا تلقى ضوء كافياً على أصوله وتعاليمه. فقد وردتنا عنه نص قديم من نعز وآخر يعود سلالة بابل الأولى.

ثم طريقة الفأل بفحص أعضاء البدن الداخلية الأخرى مثل الرئتين والقصبات الهوائية والأمعاء والمثانة والمرارة والكلى. وتسمى طريقة إخراج والأحشاء للفحص باسم الأحشاء المطوية (إيرري ساخيروتي). فمن شكل ولون وعدد الأحشاء وحالة القلب يستنتج العراف نتائجه وأحياناً تظهر الأحشاء وكأنها وجه مكفهر ويطلق عليها آنذاك اسم وجه خومبايا. ونقرأ مثلاً (عندما تضم الأحشاء المرارة فإنها علامة فأل ظهرت لسرجون الذي على قوة هذا الوحي أخضع عيلامو وأحاطهم وقطع تجهيزاتهم[٣]. وفي نص حول الكلية تقرأ (عندما تكون الكلية اليمنى مخرية فإن الأمير سيموت) و(عندما تكون الكلية اليسرى مخرية فإن أميرة العدو ستموت)[٤].

وإلى جانب هذه العلامات التي تظهر عند الولادة، فإن كان هناك شكل غريب في الرأس فيقولون إن المرأة ولدت أسداً. وهذا يقترح فكرة القوة وهي علامة طيبة للبيت والأرض. وإذا كان رأس مولود يشبه ذاك لحمار أو خروف فهو علامة طيبة، أما إذا كان يشبه ذاك لكلب فعلامة غير طيبة[٥]. وإذا كان للمولود أقدام بطة فسوف يصبح قوياً أي إن قدميه عريضة ومليئة طينا تحمله من الأرض[٦]. وقد أطلق على هذه النصوص الفألية اسم شوما إزبو على اسم أول عبارة فيها. وإن الأربع رقم الأولى من هذه السلسلة تسطر إلى جانب المستمدة من الأطفال المشوهين أخرا من ولادة أكثر مولود واحد أو حوادث عند الولادة وبعض أشعال الأفراد المجزة أمثال العميان والطرش

---

(1) Sami S. Ahmed, Characteristies... op. eit. P. 127.
(2) Melssner, Babylonien... op. eit., II, 275 FF.
(3) Melssner, Babylonien... op. eit. II, p. 275.
(4) Hooke, op. eit. P. 92.
(5) Delaporte, op. eit. P. 154.
(6) F. R. Kraus, Die Physiognimisehen Omina der Babylonier (Leipzig, 1935) p. 63.

والمقعدين، أو أكثر التجار أو الطباخين أو العرافين بالمدينة وفي واحدة يذكر وجود نساء في المدينة بلحى مثل الرجال[1].

وردتنا مجموعة من نصوص الفأل المستمدة من البيوت حيث نقرأ (إذا كان تأسيس البيت في شهر نيسان فإن هذا البيت لن يجلب الفرح لصاحبه. إذا كان تأسيس البيت في شهر نيسان فإن هذا البيت لن يجلب الفرح لصاحبه. إذا كان تأسيس البيت في النصف الثاني من شهر نيسان كان حوادث الموت تكون متتالية فيه. إذا كان تأسيس البيت في شهر أيار فسوف تحدث كوارث فيه. إذا كان تأسيس البيت في شهر حزيران فسوف يعظم صاحبه. إذا كان تأسيس البيت في شهر تموز فسيكون نصيبه الكمال. إذا كان تأسيس البيت في شهر آب فسيكون لصاحب البيت أطفال. إذا كان تأسيس البيت في شهر أيلول فإن الربة عشتار سوف تمهله في سلب ثروته. إذا كان تأسيس البيت في النصف الثاني من شهر أيلول فإنه سوف يتهدم. إذا كان البيت في شهر تشرين الأول فإن له صاحب البيت لن يكلف عن حراسته. إذا كان تأسيس البيت في شهر تشرين الثاني فإن استثمر أمواله سوف ينجح. إذا كان تأسيس البيت في شهر كانون الثاني فإن صاحب البيت سوف يمرض ويكون عليل الصحة. إذا كان تأسيس البيت في شهر شباط فإن البيت سيظل بلا سقف. إذا كان تأسيس البيت في شهر آذار فسوف يحرز صاحبه انتصارا. إذا كان تأسيس البيت في نهاية شهر أذار فسوف يكون صاحب البيت سعيدا جداً[2] علماً بأن شهر نيسان خاص بالإله أنو وانيل، أيار خاص بالإله أيا وشهر حزيران خاص بسن وشهر تموز خاص بنينورتا، وشهر تشرين الأول خاص بشملش وتشرين الثاني خاص للإله مردوخ، وشهر كانون أول خاص بزكال وشهر كانون ثاني شهر الإله بايسوكال وزير الإله آنو وشهر آذار شهر الآلهة السبعة العظام أما شهر آذار شهر الآلهة السبعة العظام أما شهر آذار الاضافي فهو شهر الإله آشور.

ونجد في سلسلة أنوما أنا بيت مارحي أشيبو يليكو عددا من نصوص الفأل المأخوذه على الشخص المريض منها (اذا رأى الآشيبو) في الطريق إلى المريض جرة موضوعاً فهذا فأل يهب. وإذا وجد منقلة فإن المريض سيموت. إذا رأي خنزير أسود فإن المريض سيموت، إذا رأى خنزير أبيض فسوف يعيش المريض. وإذا رأى خنزير بذيل واقف فإن المريض لا يخاف شيء إذا رأى رجل أعمى فإن مرضه سوف يزيد، إذا سار

(1) Oppenheim, Ancient Mesopotamia... op. eit. Pp. 222 – 223.

(٢) الدكتور الجادر، نظرات... المار ذكره، ص٤٠٨ ـ ص٤٠٩.

صقر إلى جانبه الأيمن فإن المريض سيشفى. إذا كان نسر يسير على جانبه الأيسر فإن المريض سيمون. إذا نبح الذئب إلى يسار الرجل فإن المريض سيشفى وإذا الذئب عند الفجر إلى يمين الرجل فإن المريض سيموت. إذا وقفت حية على فراش المريض فإنه سوف يشفى. إذا وقعت حية على فراش المريض في اليوم الثالث فسوف يموت. إذا وقعت حية على المريض نفسه فإن مرضه سوف يطول ولكنه سيشفى[1].

وهناك نصوص فأل مستمدة من أمور كثيرة غير ما ذكرنا أمثال تلك المستندة على ملاحظة خيول عربات الملك لمختلف أنواع الفأل الخاصة بالبيت المالك.

التنجيم: بالواقع أن التنجيم والتبوء عن المستقبل أتى متأخراً في تاريخ العراق القديم ولو أن البروج اليونانية الأثني عشر ما هي إلا تحوير للرموز البابلية الأولى. فأقدم خارطة لبروج السماء Horoscope ترجع إلى حوالي سنة ٤١١ ق.م. وربما تعود مجموعة عندما آنو وانيل إلى العصر السومري بدليل ذكرها تقسيم العالم إلى أربع أقسام (أكد، عيلام، سوبارتو وعيلام) والذي لا نجده في العصور التالية وذكرها لملوك أمثال ريموش وابي سي والحيثين والأخلامو، علماً بأن إضافات قد لحقت بها في العصور التالية. فكانت الزقورات تستخدم في العابد لملاحظة الكواكب، وكان في المعابد أيضاً غرفة خاصة للنجمين تُسمى بيت تامارتي (بيت المراقبة) حيث تقرأ مثلاً (في اليوم ٢٩ من الشهر راقبنا القمر أنه يوم تلبد بالغيوم لم تر القمر فيه. وإن المقالة السابقة (أنوما آنو انيل) جاءت في أربعة فصول خصصت إلى الحركات الفلكية والشمس والزهرة (فينوس، عتار) وأداد. وتشرح معنى حركة النجوم ومواضعها في السماء والاضطرابات الفضائية[2].

وطابقوا المشتري مع مردوخ والزهرة مع عشتار ومارس مع مزكال والمريخ مع نابو وزحل مع الإله ننورتا، واعتبروا بعضها نحس وآخر حسن الطالع فالمريخ يرمز للذكاء وزحل حسن الطالع ومارس سيء الطالع وما إلى ذلك[3]. فالأبراج الأثنى عشر لها أسماءها فالحمل (Kn, Sarikkn, Inmisara) كو، ساريككا، إنمي سارا) والثور (Te-Te, Gud-Anna) والجوزاء (تواما) والسركان (يوموككو، ألمول) والأسد (آرو، اورماخ، أوركولا) والعذراء (شيرو، ديلكان) والميزان (زيبانيتو) والعقرب (أقرابو)،

(1) F. W. Goors, A Babylonian Omen Text, AJSL, vol. 43, (1927) pp. 22 FF.
(2) Rene Taton Ed. A General History… op. eit. Pp. 71 – 72.
(3) Sami S. Ahmed, Characteristice… op. eit. P. 127.

القوس (با، بابيلكاك) والجدي (أنزو) والدلو(كو، كو أننا) والحوت (نونو، نون شامي(؟)[١].

فالقمر غالباً، أول الكواكب التي راقبها العراقي القديم لقرية من الأرض وتغيراته الملحوظة والإعتيادية علاقة في ذلك. فهناك الكثير من نصوص الفأل المستندة على القمر وحركاته وإشعاله وخسوفه وعلاقته الشمس...الخ. ومنها:

إذا ظهر القمر في اليوم٢٧ كما في اليوم الأول فهو شؤم على علام. وفي اليوم ٢٨ فهو شؤم على عمورو.

إذا ظهر الشمس والقمر سوية في اليوم ١٢ فمعناه، نهاية حكم السلالة، خراب للرجال وأن السارق سوف يقطع الرأس.

إذا ظهر الشمس والقمر سوية في اليوم ١٣ فمعناه فمعناه عدم استقرار والتجارة سوف لا تزدهر في البلاد.

إذا ظهر الشمس والقمر سويه في اليوم ١٤ فمعناه رجاء والبلاد سوف تكون سعيدة وتنظر الأرباب لأكد بسعادة والنهوض يستبشر الناس وتنام القطعان بسلام في حقول بلاد أكد[٢].

وعندما يكون القرن الأيمن من القمر عند ظهوره طويلاً وقرنه الأيسر قصيراً فإن الملك سوف يغزو بلادا أخرى.

وعندما يكون القمر كبيرا عند ظهوره فإن خسوفا سوف يحدث وإذا كان لامعاً جداً عند شروقه فإن محاصيل البلد سوف تنتعش.

وعندما يظهر القمر في اليوم من تموز فسوف يحدث خراباً في البلدان.

وعندما تكون (شاورو) لامعة جداً فإن الملك أكد سوف تنتهي أعماله.

وعندما يكون القمر كاملاً عند شروقه فإن الملك سوف يزداد علوا. وعندما ظهر القمر في الأول من كساليف فإن ملك أكد سوف يدمر الأراضي.

عندما يختفي القمر فسوف يقع شر على البلاد.

عندما يكون القمر غير مرأي مع وجود هلالين (ظاهرين منه) فستكون عداوات في البلاد.

---

(1) R. Campbell Thomson, The Reports of The Magicians and Astrologers of Nineveh and Babylon in the British Museum (London, 1900) p. xxiii.

(2) Melssner, Babylonien... op. cit. II, pp. 248 – 249.

عندما تقف الشمس ضمن هالة القمر فسوف تتكلم البلاد جميعها الصدق. وعندما تحيط الهالة القمر والسرطان يقف ضمنها فسوف يطول عمر ملك أكد.

عندما تحيط هالة بالقمر وفي وسطها المشترى فسوف تغزو البلاد جيوش أخاررو.

عندما تحيط هالة وفي وسطها زحل ويكون كلام الصدق في البلاد.

عندما تحيط هالة بالقمر وفي منجم وسطها فإن جيوش الملك سوف تحاصر.

إذا أحاطت هالة كبيرة بالملك فإن طرب عظيم سجل بالبلاد.

عندما يظهر القمر في اليوم الذي تتوقعه فسوف تتخفض (أسعار الأسواق).

إذا ظهر القمر والشمس في يوم ١٣ فسوف تكون البلاد في هدوء أما في اليوم ١٥ فإن عدد قديم سوف يشهر سلاحه ضد البلاد.

عندما يكون ظهور القمر مصحوباً بهبوب ريح جنوبية فسوف يكون ذبح ٤ أخاررو.

عندما لا يرى الشمس مع القمر في يوم ١٤ أو١٥ شباط فمعناه فيضان عظيم. وعندما لا نرى القمر مع الشمس في ١٤ آذار فخراب الأور[1]. وخسوف القمر فأل سيء (لقد عين أنيل كل من سن وشماش وعشتار ليسيروا السموات بالطريق الصحيح ولكن الشياطين السبعة أحاطوا القمر وبذلك جروا عليه الخسوف. فرأى انليل كرب سن فأرسل رسوله نوسكو لأخبار أيا بذلك فعرف بالموضوع. وعندما سمع أيا بذلك في المحيط امتلأ فمه حزنا. وعض شفتيه). ويعتبر خسوف القمر خير مناسبة للقيام بطقوس لحماية المدينة من الشرور المتصلة بهذه الظاهرة. وفي يوم خسوف القمر يضع كهنة معابد تيرانا مذبحا (كاراككو) في باب معبد أربابهم. وعندما يتلاشى ضوء القمر يصيحون بأن لا يقترب القتل والثورة والمصائب والخسوف إلى الوركاء. وكان الكهنة في يوم خسوف القمر يخرجون الآلات الموسيقية من المعبد وذلك لزرع الأمان وعدم الخوف والقلق في نفوس الناس خلال تلك الأزقة والكلام غير الأعتيادي. ويدقوا على الطبل الصغير (ليليسو) ومن الآلات التي يخرجوها ألبوق (الخالخا لاتو) والعود المقدس (ايرشيما). وألوان القمر في الخسوف مهمة وتكون مصادر للفأل.

ووردتنا الكثير من الفؤول المستندة على القمر في الرسائل الملكية من العصر الآشوري المتأخر. فظهور القمر بأول الشهر عندما يكون النهار طويل هو فأل طيب

---

(1) R. Campbell Thompson, The Reports... op. eit. Texts No. 30, 31, 38, 43, 48, 85, 86, 90, 91, 99, 100, 101, 112, 119, 120, 156, 157, 166, 170, 171.

عندما يظهر القمر باليوم الأول فإن البلاد سيكون مسروراً. وعندما يكون اليوم بالنسبة لقياسه طويلاً فسيكون هناك حكم طويل وعندما يكون القمر عند بزوغه كأن يحمل تاجا فإن الملك سوف يصل عنفوان مجده[1]. وظهور القمر في نيسان مع الزهرة اعتبر فألا طيبا أيضاً (عندما تظهر الزهرة في بلاد بابل مع القمر في شهر نيسان او أي يوم لا يتقرب فيه فإنه بنفس الوقت فال حسن)[2]. وفي رسالة أخرى تقرأ (إذا ظهر القمر وكان العقرب قرب قرنه الأيمن فإن الجراد سوف يعبث طوال السنة ويأكل محصول الحصاد وسوف يقتل ملك علام وينتهي حكمه ويأتي عدوه ضده وينهب بلده وسوف يقع في يد الملك صولجان عظيم ويطول حكمه وإذا اعتدى عليه عدو فسوف يقهر)[3].

وترينا الفؤول من الرسائل الآشورية كون التفاؤلات من الشمس كلها معادية فالكسوف شر وخروج ما يشبه الدخان من الشمس عند شروقها بالربيع نذير شر حيث إن أداد سوف يفرق البلاد وعندما تصعد الشمس في مدارها فمعناه الحرب[4].

وتقرأ أيضاً في نصوص أخرى مع أن إحاطة الشمس بهالة معناه سقوط المطر وعندما تقف الشمس في محل القمر فإن الملك سوف يستقر على عرشه[5].

ثم التفاؤلات المأخوذة من حركات الكواكب المختلفة حيث تقرأ مثلاً (عندما يقترب العقرب من أمام القمر ويقف فإن الملك سيطول عمره وإن عدوه سوف تقدم عليه. وعندما يظهر المريخ لمدة شهر فمعناه فيضان ومطر. وعندما يظهر المريخ في شهر أيلول فسوف تنشط حركة السوق وتصعد أسعار المحصولات. وعندما يقترب مارس من القمر ويقف فإن القمر سوف يسبب شر إلى سكان البلاد. عندما يقترب مارس من العقرب فسوف يموت الأمير بلدغة عقرب ويأخذ إليه العرش بعده[6].

وفي الرسائل من العصر الآشوري المتأخر نقرأ عن علامات فأل طيبة تتحصل من مركز المشتري عند ظهورها في طريق آنو وانليل، وبرسالة تقرأ عن مقابلة المشتري

---

(1) Leroy Waterman, The Royal Correspondance of The Assyrian Empire (Ann Arbor,) vols. 1-4, Letter No. 1373.
(2) Ibid, Letter No. 1383.
(3) Ibid, Letter No. 1214.
(4) Ibid, No. 1435, 405, 1391.
(5) R. Campbell Thompscn, The Reports… op. eit. Pp. No. 173 and 176
(6) Ibid, No. 213, 222, 234, 239

للكسوف الشمسي وكونه فأل طيب للملك ويتوقف الباطل في البلاد، وعندما يكون المشتري خلف القمر فسوف يكون هناك عداء في الأرض[١].

وتقرأ عن النقمة لظهور المريخ (إن ظهور المريخ سوف يتم قريباً، ستأتي نقمة عظيمة إن الإله اداد قد فتح فمه)[٢] ولعب زحل دورا ثانوياً رؤية الزهرة، أما بشارة خير على الدوام وإذا كانت الزهرة مرتبطة مع ظهور القمر في نيسان فهو فأل طيب أيضاً[٣].

والتفاؤلات المأخوذة من الرعد والبرق والمطر والرياح. (فإذا أسمع الإله أداد صوته للكل في عيد نيسان فإن العدو سوف يوقف أما إذا كان بتموز فإن الزراعة سوف تزدهر)[٤]. فأهمية الرعد تعتمد على الشهر الذي سمعت فيه (إذا سمع الإله أداد صوته في شهر آذار فإن البلاد سوف تثور على الملك وعندما ترعد مثل الكلب الكبير فإن الشييون سوف يهجمون). وعن البرق (إذا كان هناك برق ليلاً في الجنوب فإن أداد يسبب فيضانات أما إذا كانت بالليل في الشمال فإن اداد سوف يسبب فيضانات في بلاد الكوتيين). وأهمية المطر تعتمد على يوم حدوثه من الشهر، وظهور قوس قزح في المدينة فُسِّر كفأل طيب على المدينة نفسها والملك والنبلاء[٥]. وتقرأ عن العواصف إنها مقرونة بالتفاؤلات الحسنة على الدوام[٦] وفسرت الريح الجنوبية كفأل حسن لأنها فعلاً تحمل دوما المطر في العراق بينما فسرت ريح الشمال كفأل سيء لأنها جافة في العراق[٧] واعتبرت الزلازل تفاؤلات سيئة نحسة حيث تقرأ (عندما تهز الأرض طول النهار فسيكون خراب للأرض وينهب العدو الأرض. وعندما تكون هناك هزة أرضية في نيسان فتتكون هناك ثورة ضد الملك وعندما تكون هناك هزة أرضية في نيسان فتتكون هناك ثورة ضد الملك وعندما تكون هزة العدو سوف يهجم ويجلس على العرش أمير جديد)[٨]. و(عندما تحفز الأرض طول النهار فإن الأمير سوف يحمل بعيداً)[٩]. واعتبروا ولادة الخنثى (السينيشتو اوو زاكارو) فأل سيء ليودي بالقبض على الملك[١٠].

---

(1) Waterman, op. eit. Letters, No. 744, 46, 565
(2) Ibid, No. 657
(3) Ibid, No. 1383
(4) Meissner, Babylonien und... op. eit. II, pp. 258 FF
(5) Hooke, op. eit. P. 97.
(6) R. Campbell Thompson, The Repport... op. eit. No. 250.
(7) Waterman, op. eit. No. 1237.
(8) R. Campbell Thompson, The Reparts... op. eit. No. 263, 265, 267.
(9) Waterman, op. eit. No. 34.
(10) R. Campbell Tompson, The Reports... op. eit. No. 276.

واعتبروا بعض الأيام نحسة واخرى طيبة حيث نقرأ في إحدى الرسائل المرسلة إلى الملك الآشوري ما نصه (عن الأيام الحسنة التي تكلم عنها سيدي الملك هي اليوم العاشر، الخامس عشر، السادس عشر، الثامن عشر، العشرون، الثاني والعشرون، الأربع والعشرون، السادس والعشرون كلها ثمانية أيام في شهر أيار وأنها حسنة للسؤال وعبادة الأرباب، ومنها اليوم العاشر طيب للمحاكمة والخامس عشر للحرب والسادس عشر لراحة القلب والثامن عشر لمعرفة المستقبل وليقتل ثعباناً في اليوم العشرون واليوم الثاني والعشرون طيباً للسفر والرابع عشر لالتماس الإله والطلب منه[1].

واعتبروا شهر أيلول حسناً واليوم الثاني منه يوماً طيباً لأخذ الفأل حيث كانوا يراقبون الطيور من على سطح المعبد[2].

الذنب:

ونقرأ في النصوص الطقوسية كالأدعية والرقي والتي منها سلسلة الشوريو بأن مختلف الأسباب لدخول المرض إلى الإنسان وغضب الأرباب هم نتائج ذنب الشخص. ففي نص تقرأ عن أسباب الذنب التي وضعت على شكل أسئلة (هل أنه أذنب ضد الإله، هل أن جريمة ضد ربه هل هو عمل خاطئ ضد سيده، أو كره ضد أخيه الأكبر أو ازدرى أباً وأماً، أو أهان أخته الكبرى، هل أعطى قليلاً تملك كثيراً، هل قال لا لنعم، نعم للا؟ هل استعمل أوزاناً مزيفة؟ أو أخذ ما ليس له دون أخذ حقه؟ هل وضع حداً مزيفاً أو أزاد حداً.. هل استحوذ على زوجة جار له؟ هل سرق لباس جاره؟ هل أنه صريح بكلامه ولكنه كاذب في قلبه؟ هل يقول نعم في فمه ولا في قلبه) وتذهب القائمة إلى تعداد أكثر من مائة ذنب دعي مردوخ لتخليص صاحب الدعاء منها. وهذه دون شك ما اعتبره العراقي القديم ذنوباً ولكنها ربما وصفت في عصور متأخرة عندما ظهرت هناك مبادئ عليا للحق والباطل. ولكن المزج بين المبادئ الخلقية والطقوس المقدسة هي ميزة بابلية وآشورية. فالدعاء إلى عشتار والتي يسأل المتعبد فيها الربه لأن (تعفو عن ذنبي... وأعمالي المخجلة وذنبي وتصفح لي عن ذنبي وتتقبل دعائي) وينتهي بصب الماء الطاهر وحرق الأعشاب الذكية الرائحة وبعض الأضاحي. ثم الدعاء (الذي اقترفته حوله إلى طيب، والاعتداء الذي عملته أجعل الريح لتحمله بعيداً، لقد نزعت عني ذنوبي كما أخلع الرداء، يا ربي إن ذنوبي سبع مرات سبعة انزع عني ذنوبي).

---

(1) Waterman, No. 1140.
(2) Ibid, No. 1278.

واعتقد العراقيون القدماء باحتمال ترك الأرباب المدن (كما يعتقد الصابئة في العراق اليوم يترك الأرباب الماء خلال أيام عيد الكرصة لذا يغدو الماء غير صالح لأي استعمال لخلوه من عنصر الطهارة) نتيجة اقتراف مكانها ذنوباً لذا فتعلن حالة الحزن العام بطقوسه المعروفة منذ أقدم الأزمان وفرض على الناس فيها أحياناً الصوم وطقوس السحر الحزينة[1] ويتكلم الملك في مثل هذه المناسبة عادة وينطق الحزن بلسان شعبه على الكثير من الأدعية والتعاويذ والالتزامات المرفقة. وفي الكثير من الأحيان نسمع الفرد بدعائه يستنجد لأن يعرف ذنوبه (لا أعرف الذنب الذي ارتكبته ولا الخطأ الذي اقترفته) ويظهر منها بأن أقل الأشياء التي قد لا يعرفها الشخص ربما تجد عليه غضب الرب. ونقرأ أيضاً من قصة أيوب البابلي بأن ما قد يكون خيراً في عين الإنسان ربما يكون شراً في نظر الله وبالعكس. وهذه تؤيد القول بكثرة الأمور التي قد تجلب غضب وسخط الأرباب على الفرد[2].

وبوسط ما تصور الإنسان نفسه محاطاً بشتى أنواع القوى المؤذية التي تهاجمه بنتيجة اقترافه شتى أنواع الذنوب فقد حمى نفسه لنظام يكن من الطقوس والتطهير والغفران والسحر والعرافة مركزة كما أسلفنا حول مدينة اريدو وربها أيا، المدينة الطيبة كما عرفها البابلي حيث مركز وهي أيا وحيث الشجرة كيشانو المقدسة في ذلك الربع الطاهر (الانكوررا) كما أوحي لأداء الإنسان الأول وملك أريدو الكاهن. ومن مياه هذه المدينة تكونت السيبتو (Siptu) أي لعنة الكفارة والتي أهم رقية في السحر[3].

وإن الإله الحامي في نظر العراقي القديم هو المسؤول عن الذنوب التي يرتكبها الفرد. فكاتب لكش عندما يندب خراب مدينته وانكسار اروكاجينا تقرأ قوله (ليس هناك من ذنب ارتكبه أوروكاجينا، هلا تتحمل الربة نيسابا ذنب لوكال زاكيزي على رأسها). وعندما يغضب الرب الحامي عن عبده ينسحب عن حمايته، بالطبع نتيجة اقتراف الفرد ذنباً، وآنذاك تنقض عليه العفاريت. حيث اعتقدوا بأن الرب يعيش طيلة مدة حمايته لعبده في جسمه. وتقرأ (فالذي لا إله له تدخل جسمه العفاريت جالبة معها الآلام والأحزان) (إن الذي لا إله له فإن وجه الرأس يغطيه كالرداء عند

(1) Morris Jastrow, Aspects of Religions Belief and Practice in Babylonia and Assyria (London, 1911) pp. 319 FF.
(2) H. Zimmern, Die Keilinsehriftliche und das Alte Testament (Leipzig, 1903) pp. 609 FF.
(3) James, op. eit. Pp. 268 – 270.

سيره في الشارع)، ولأجل أن يرجع إلى حالته الأولى الاعتيادية فيكون ذلك عن طريق السحر والأضاحي وطقوس التطهير[1].

الأحلام:

اعتقد العراقي القديم بأن ما يراه الشخص في حلمه عبارة عن حدث سيقع عليه. وعلى الفرد أن يجتهد بالحصول على من يفسر ذلك الحلم له. والمفسر للحلم آنذاك يجب أن يكون ذا اتصال بالأرباب نفسها عن طريق الكهنة ذوي الاختصاص (السقالو. السقاليتو). أو كما في حالة كلكامش إلهاً آخر يعرف نوايا إخوانه الأرباب وأسرار المستقبل. والأحلام ترسل من الآلهة نفسها الذي يتمكن من أن يرد شرورها بالالتماس إلى الأرباب نفسها بالدعاء الخاص. ومن الأدعية المعروفة في العراق القديم بهذا الخصوص الدعاء التالي الذي يخاطب به الشخص الحالم إلهه قائلاً: (وعن الحلم الذي تعرفه أنت ولا أعرفه أنا، فإن كان طيباً فلا تحرمني من طيبه وإن كان سيئاً فلا تجعل شره يصلني). وكثيراً ما كانوا ينظرون إلى الأحلام كحوادث حقيقية واقعة ولنا من الفلكي البابلي بيل ادانو Bel-Idannu من العصر الأخميني خير مثل حيث دون رؤيته بأحلامه لنجوم وكواكب مختلفة خمسة مرات خلال ثلاثة أشهر (مع تواريخهم) كحقائق ثابتة. وهناك نص من العصر الكاشي عثر عليه في مدينة نفر يحوي على سلسلة من الخيرات لوحظت جميعها في الأحلام.

فالأحلام التي أتتنا من العراق القديم بصورة عامة سواء مفسرة أم لا، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف هي:

١ ـ أحلام تظهر بها الأرباب إرادتها والتي تحتاج أو قد لا تحتاج إلى تفسير.

٢ ـ أحلام تعكس لنا وضع الشخص الحالم العقلي وسلامته الروحية والجسمية.

٣ ـ أحلام تنبؤية.

وإن غالبية الأحلام التي وردت إلينا هي من النوع الأول والتي قسمت إلى نوعين إخبارية ورمزية. ونلحظ بأن الأحلام الإخبارية (سواء كإنذار أو أمر إلهي) قد وضعت في عبارات مفهومة واضحة لا تحتاج معها إلى أي تفسير. فينادي الإله الشخص الحالم باسمه (حيث يكون واقفاً عند راسه جميل الشكل وبحجم غير طبيعي) ويملي رسالته عليه. أما العملية الرمزية بحد ذاتها فهي وظيفة تدل على صلة مع العالم الخارجي حيث إن حدود الإنسان التفكيرية دائبة الحركة تمتد إلى ما هو أعمق من ظاهر غلافه

(1) Delaporte, op. eit. P. 167.

الخارجي. ونجد في ملحمة كلكامش التأكيد على إطاعة الوصايا والرسائل التي تحملها مثل هذه الأحلام. فعدم اهتمام كلكامش لإنذار أتاه في حلمه مرة يعود إلى إقناع انكيدو له بذلك. وعندما أصر أنكيدو على كلكامش بعدم الالتفات لإنذارات الرب الجبل نزل على أنكيدو نفسه العقاب بأن أصيب بمرض غامض أدى أخيراً إلى وفاته. فرويت لنا الكثير من الأحلام من العراق القديم حلها الملوك والأمراء وبعض الأفراد التي ظهر صدمتها فيما بعد حسب رواياتهم، فأتى الإله أيا إلى اوتونايشتوم في نومه وأخبره بنبأ تصميم الأرباب على وجوب معاقبة البشر بطوفان وأعطاه الأوامر في بناء الفلك وساعة فوران التنور. وقبل أن يقابل كلكامش صديقه أنكيدو كما تروي الملحمة كان قد رأى حلماً فسرته إليه أمه الربة ننسون بقرب تعرفه على صديق سيكون عزيز عليه. فقد رأى سقوط شهاب من السماء عليه ثقل عليه رفعه وعندما اجتمع الناس من اوروك حوله انحنى هو عليه ورفعه وجعله نظيراً له).

وفي حلم ثان رأى كلكامش أن قد عثر على فأس غريبة المنظر في أوروك. وفسرته له أمه بقرب تعرفه على رجل سيكون له صديقاً يعينه بالضيق. ففي البداية نرى الأحلام في ملحمة كلكامش تفسرها أم كلكامش من بعدها يحللها له أنكيدو وبعد موت الأخير صار كلكامش نفسه يفسر أحلامه[1].

فتتميز الأحلام بتكوين لا شعوري للحلم واستخدام شعوري للغرض الذي يقصده الحلم حسب التفسير. وهي دون شك تحمل قارئها على تصديق أحداث لا تعود بالواقع إلى الحياة اليومية المألوفة. فليس من المعقول لبطل الوركاء وهو القوي الشجاع، حسب ما تصفه الملحمة، أن يتحداه بربريا ساذجاً ومن ثم يرتبط به مدى الحياة. ولهذا الارتباط أهمية ولأجل أن يجعله مقبولاً استخدم الكاتب وسيلة الحلم. وجعلت الأحلام العلاقة بين كلكامش وأنكيدو محتملة. ولكن عندما فقد كلكامش أنكيدو وصلت الأحلام إلى الحد الذي كشفت به عن العالم الآخر. ولهذا فإنها ليست فقط قد تنبأت بالموت ولكن كشف العالم الأسفل. فشخصيات ملحمة كلكامش حسب ما يظهر تكشف عن خبرة حلمية صحيحة. فالجبل الذي تهاوى وظلام النهار وشخصيات العالم السفلي هي في الواقع رؤى يمكن أن تظهر للحالمين[2].

---

(١) طه باقر، ملحمة كلكامش، سلسلة الثقافة العامة رقم ٨ (بغداد ١٩٧١) ص١٢٨، ص٦١ - ص٦٣، ص٨٥، ص١٠٢، ص١٠٤.

(2) Raymond de Becker, The Understanding of Dreams and Their Influence Upon History of Man, Translated By Michael Heron (New York, 1964) pp. 107 – 108.

وأخبرنا كابيتي ايلاني مردوخ (موا) (١٧٢٨ ـ ١٦٥٨ ق.م) بأن الإله إيشوم قد أفصح له عن قصيدته بايرا[١].

وأخبرنا جودية بأنه استلم الأمر بإعادة بناء الاي ـ نيننو، المعبد الرئيسي في لكش، في حلم وبعد أن قدم الأضاحي إلى نينكرزو والرية، تومدوك ونينا خاطب الأخيرة بدعاء منه (... أيتها الأم، مفسرة الأحلام، ففي منتصف حلمي، رأيت شخصاً، تصل قامته السماء والأرض وعلى رأسه التاج، أنه إله وعلى جانبه الطير الإلهي الامكيك، وعند قدميه الصاعقة وعن يمينه ويساره يجلس أسد، أمرني إن أبني بيتي. لم أعرفه ولكن الشمس خرجت من الأرض، وطلعت منها امرأة في يدها القلم ولوح نجمة السماوات الطيبة... وظهر رجل آخر يحمل في يده لوح من اللازورد، واضعاً خطة معبد وضع (بعدها) أمامي...). وكان تفسيرها عن كونه الإله الذي تصل قامته السموات والأرض هو نينكرزو، والشمس الخارجة هو نينكيش زيدا وحاملة القلم نيسابا والأخير هو الإله نيندوب[٢]. ومن قبل نقرأ عن حلم أياننا توم أنسي لكش عند هجوم جيوش مدينة اومما على مدينته. فقد وقف الإله نينكرزو في الحلم عند رأسه وأخبره من أن الإله بيار سوف يسير إلى جانبه وأوعده بالنصر[٣]. وكان حكام المدن الخاضعة لمدينة ماري يكتبون إلى عاهلهم ما يرويه الأفراد لهم من أحلامهم مما يعتقدون بارتباطه بمستقبل المملكة. ثم حلم كوممايا Kummaya ذلك الأمير الآشوري الذي وصف لنا ما رآه في رحلته التي قام بها أثناء نومه إلى عالم الأموات. فقد رأى ملك الموت برأس تنين ـ أفعوان بيدين بشريتين. وشاهد فركال على عرش ملكي وتشفع له عند الأخير الإله ايشوم فركال الشفيع[٤].

ووصلتنا من العصر الآشوري المتأخر نصوصاً تدون الكثير من الأحلام المهمة. ففي رسالة بكت ماردو رشوم ـ اوصور إلى الملك آشور بانياب ما نصه (في حلم قال الإله آشور إلى (سخاريب) جد سيدي الملك، أيها الحكيم، الملك، سيد الملوك، نسل الحكيم وادايا. لقد فقت في معرفتك أيسو وجميع المهرة. وعندما ذهب والد سيدي الملك (اسرحدون) إلى مصر. رأى (في الحلم) لمنطقة حران معبداً من خشب الأرز وفيه الإله سن متكئاً على عصا بتاجين على رأسه وأمامه الإله نوسكو. فدخل سيدي الملك

---

(1) Nels M. Baikey, A Babylonian Philosophy of History, Osiris, vol. IX (1950), pp. 109 FF.
(2) Francois Thurcan – Dangin, Les Inseriptions de Sumer et d'Akkad, (Paris, 1905) pp. 137 FF
(3) Ibid, p. 27
(٤) الدكتور فيصل الوائلي، من أدب العراق القديم، سومر، مجلد ٢٣ (١٩٦٧) ص٩٦ ـ ص٩٩.

ووضع (الإله) التاج على رأسه وقال له ستذهب إلى الأقطار، و(ستغزو)[1]. وأخبرنا الملك بنونيد بأنه قد رأى حلماً ظهر له به الأرباب مردوخ وسن، أخبره الأول أن يهيء الطابوق ليبني معبد حران ويعيد سن إلى عرشه السابق.

أو حلم إله نفسه مثل حلم دموزي[2]. وفسرت أخته كشتين أننا Geshtin Anna حلماً له كفأل يعلمه عن قرب موته ونصحته بأن يجتهد على إخفاء نفسه من العفاريت[3].

ومن أرباب الأحلام في العراق القديم كان الإله زاقيقو Zaqiqu والربة مامو Mamo أو ماخير Makhir وهي الربة التي كان لها مزار في بلاوات. ثم زاكار Zakar الذي اعتبر رسول الإله سن. وقد أطلق على شماش اسم رب الأحلام (بيل بيري Bel Biri).

ووصلنا رقيم حوى تفسير ليضع أحلام نستنتج منها بأن كايت الرقيم (إن كان هو المفسر) قد فسر العكس مما هو تعارف عليه كتفسير للظواهر التي يراها الحالم. فالمعروف على سبيل المثال أن الحجة اليمنى كانت هي الحسنة ويكون فألها بذلك حسناً وكذلك الجهة العليا ولذلك صرنا نسمع في التفسير اعتباره الجهة اليسرى التي رآها العالم حسنة والسفلى هي الطيبة حيث نقرأ (إذا نظر نحو يساره فإنه سوف يدحر العدو، إذا رجفت عينه اليمنى فسوف يظهر عليه المرض، إذا رجفت عينه اليسرى فسوف يفرح فؤاده، إذا عض لسانه من اليمين فسوف يعارض بعداوة وإذا عض لسانه من اليسار فسوف ينشرح فؤاده. إذا عض شفته العليا سوف يكتظم. إذا عض شفته السفلى سوف ينشرح[4]. والمعروف أن الأرض اعتبرت عند العراقيين القدماء مصدر الظلمة والسماء مصدر النور ولكن صارت رؤية الأرض في الحلم الذي رواه. الرقيم حسناً (على العكس) والسماء طيباً (إذا نظر إلى السماء سوف يأتي له كرب. إذا نظر إلى الأرض سوف يحصل له سرور) ونقرأ في نفس الرقيم ما قد نستنتج منه اعتماد المفسر على الارتباط المنطقي حيث ورد (إذا مسكه رجلاً أحدباً فإن لعنته سوف تنصب عليه. إذا مسكه رجلاً أحدباً من أنفه وكاد أن يخنقه فسوف يأتي له عار[5]. فالأحدب

(1) Hooke, op. eit. Pp. 86 – 87
(2) Th. Jacobsen, The Dumuzi Dream, JNES, vol. XII (1953), pp. 165 – 166
(3) Bendt Alster, Who is Dumuzi's Friend (Ku-Li)?, Acta Orientalia, vol. XXXIII, (1971) p. 335-336
(4) Steven Langden, A Babylonian Tablet on the Interpretation of Dreams, Museum Journal, vol. VIII (June, 1917) p. 119 FF.

(٥) نفس المصدر ص١٢٠.

نظر إليه في الغالب كرجل لم تمنحه الأرباب شكلاً مقبولاً وهيئة حسنة فلهذا صارت مسكته في الحلم تجلب لعنة الآلهة وسخطها. ونقرأ أيضاً (إذا كان يحمل بيرة في الشارع فإن قلبه سوف ينشرح. إذا كان يحمل ماء في الشارع فإن ذنوبه سوف تكفر) [(١)]. فشرب البيرة يجلب الانشراح والماء دون شك نظر إليه كعنصر بل ومقدس. و(إذا كان ماسك قوساً في يده فلسوف يحصل على غنمة) فالقوس هو آلة حرب فمن الطبيعي أن نجده مقروناً في الحلم تبعاً للارتباط المنطقي مع الغنيمة. وفي الشطر التالي نجد مزجاً بين الارتباط المنطقي والعكسي حيث جاء (إذا كان ماسكاً بقوس، في يده ثم سقط منه على الأرض فسوف يحصل على غنيمة له شخصياً)[(٢)]. وقد أتحفنا الأستاذ أ.ليو اوينهايم بترجمة لكتاب الأحلام الآشوري الذي يعود زمنه إلى العصر المتأخر. فإذا قرأنا الأحلام المدرجة في الكتاب نجد ما هو شاذ وغريب بينها. فألواح كتاب الأحلام الآشوري الإحدى عشرة وربما الاثني عشرة كانت جزء من مجموعات مكتبة الملك آشور بانيبال. وهي مكونة من حوالي ثمانين قطعة تدور حول تفسير الأحلام. وإن الأول والأخير من هذه الألواح تشمل على أدعية وتعاويذ وطقوس الغرض منها طرد عناصر الضر والشرور والمذكورة في الألواح المتبقية أي من اثنين إلى تسعة. أما الألواح التسعة السالفة الذكر والتي ينقصها اللوح السادس الآن فقد أعطيت عناوين مختلفة مثل الإله زقيقي رب الألواح للوح الأول و(إذا صنع رجل في حلمه باباً) للوح الثالث و(إذا كان رجلاً مرتدياً الفضة) للوح الرابع و(إذا رأى رجلاً في حلمه الإله انليل) للوح الثامن و(إذا دخل رجل من البوابة الرئيسية لمدينته) للوح التاسع و(إذا نام رجل على جانبه الأيسر وكان حلماً مشوشاً) للوح العاشر و(إذا كانت أحلام الرجل مرتبكة) للوح الحادي عشر[(٣)].

ففي القسم الأول من اللوح الثالث نقرأ عن البناء والعمل في الحياة اليومية. فرؤية رجل لنفسه أن يضع باباً ما كرسياً، سريراً، مصطبة، منضدة أو قارباً فإن تفسيرها أن عفريتاً سيتجه إليه. وإذا رأى في حلمه أنه يعمل بشغل ليلي فإن إلهه الحامي سوف يجرده من ثروته، أو سراجاً فإن ثروته ستتضاءل أو في عمل قامع ختم الكاهن الأعلى

---

(١) نفس المصدر ص١٢١ خط ٦٧.

(٢) نفسه.

(3) A. Leo Oppenheim, The Interpretations of Dreams in Ancient Near East With a Translation of an Assyrian Dream Book, (Philadelphia, 1956), p. 262.

الأسطواني فإن ابنه سيموت[1]. ويمكن أن تؤخذ هذه كشكل نموذجي لتفسير الأحلام الأولية وذلك لوجود التكرار الكثير والنمطية في التنبؤات مع ظهور عبارات متعارف عليها. وهذه جعلت الأستاذ اوبنهايم يستنتج السبب بقلة الاهتمام في تفسير الأحلام عند الناس آنذاك نظراً لاعتمادهم الأكبر على العرافة ونتائجها. ويظهر من النص الفائت أن المؤلف قد رتّب الحرف في تسلسل منطقي حيث إن تفاسير الأحلام فيها كانت سقيمة وتختلف درجة تعاستها من واحد لآخر من ناحية ولابد وأن تكون حرفاً ذات منزلة واطئة اجتماعياً. وفي اللوح السابع نقرأ رؤية الرجل لنفسه في الحلم (إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي و(شملت) الحائط والطريق فإنه سوف يرزق بأولاد. أما إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي وسجد أمامها إجلالاً فإنه سوف يرزق بولد وسيكون هذا الولد ملكاً وإذا تبول على حائط (... مكسور...) فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا تبول على قصب صغير فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا (... مكسور...) بولته يقدمه فسوف يموت ابنه الكبير. وإذا غسل يديه في بولته فسوف يكون تمتعه قليلاً. وإذا وجه الرجل بولته نحو السماء فإن هذا الرجل سوف يرزق بولد يكون له شأن كبير ولكن أيامه ستكون معدودات وإذا تبول الرجل في النهر فإن محصوله سيكون كثيراً. إذا تبول الرجل في بئر فإنه سوف يخسر ممتلكاته. إذا تبول رجل في قناة للري فإن الإله أداد سوف يغرق محصوله. وإذا بول الرجل على ربه الحامي أو ربته الحامية فإنه سوف يجد ممتلكاته المفقودة. إذا شرب رجل بول زوجته فإن هذا الرجل سوف يتمتع بالرخاء)[2] وفي هذه التفاسير نجد تأكيداً لنظرية سيجموند فرويد في الرمزية العالمية Universal Symobolism فبصورة لا شعورية ربط العراقي القديم بين البول (الحيامن) وإنتاج الأطفال. وبهذا فإنها توافق تماماً نظرية فرويد في اتجاهات الطفل الجنسية الأولى Infantile Sexuality: فكميات كثيرة من البول معناها إن الرجل الحالم سوف يحصل على ولد أو أولاد كثيرون، والشيء المهم أيضاً هو رمزية الإنحناء أمام البول احتراماً حيث ترمز بوضوح إلى الرغبة والحاجة إلى الأطفال وخاصة الذكور منهم. وإن قلة البول كما يدل عليه رمز القصب الصغير يدل على العقم. والبول بذاته يدل على رمزياً على تدنيس وتلويث النفس، وبذلك يفسر كفأل غير حسن (وعلى الأخص في وفاة الابن الأكبر وحدوث قحط أو جوع) وتوجيه البول نحو السماء ينتج في صيرورة الابن ذا قيمة وأهمية

(1) Ibid, p. 263.
(2) Ibid, pp. 264 – 265.

الأسطواني فإن ابنه سيموت[1]. ويمكن أن تؤخذ هذه كشكل نموذجي لتفسير الأحلام الأولية وذلك لوجود التكرار الكثير والنمطية في التنبؤات مع ظهور عبارات متعارف عليها. وهذه جعلت الأستاذ اوبنهايم يستنتج السبب بقلة الاهتمام في تفسير الأحلام عند الناس آنذاك نظراً لاعتمادهم الأكبر على العرافة ونتائجها. ويظهر من النص الفائت أن المؤلف قد رتّب الحرف في تسلسل منطقي حيث إن تفاسير الأحلام فيها كانت سقيمة وتختلف درجة تعاستها من واحد لآخر من ناحية ولابد وأن تكون حرفاً ذات منزلة واطئة اجتماعياً. وفي اللوح السابع نقرأ رؤية الرجل لنفسه في الحلم (إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي و(شملت) الحائط والطريق فإنه سوف يرزق بأولاد. أما إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي وسجد أمامها إجلالاً فإنه سوف يرزق بولد وسيكون هذا الولد ملكاً وإذا تبول على حائط (... مكسور...) فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا تبول على قصب صغير فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا (... مكسور...) بولته يقدمه فسوف يموت ابنه الكبير. وإذا غسل يديه في بولته فسوف يكون تمتعه قليلاً. وإذا وجه الرجل بولته نحو السماء فإن هذا الرجل سوف يرزق بولد يكون له شأن كبير ولكن أيامه ستكون معدودات وإذا تبول الرجل في النهر فإن محصوله سيكون كثيراً. إذا تبول الرجل في بئر فإنه سوف يخسر ممتلكاته. إذا تبول رجل في قناة للري فإن الإله أداد سوف يغرق محصوله. وإذا بول الرجل على ربه الحامي أو ربته الحامية فإنه سوف يجد ممتلكاته المفقودة. إذا شرب رجل بول زوجته فإن هذا الرجل سوف يتمتع بالرخاء)[2] وفي هذه التفاسير نجد تأكيداً لنظرية سيجموند فرويد في الرمزية العالمية Universal Symobolism فبصورة لا شعورية ربط العراقي القديم بين البول (الحيامن) وإنتاج الأطفال. وبهذا فإنها توافق تماماً نظرية فرويد في اتجاهات الطفل الجنسية الأولى Infantile Sexuality: فكميات كثيرة من البول معناها إن الرجل الحالم سوف يحصل على ولد أو أولاد كثيرون، والشيء المهم أيضاً هو رمزية الإنحناء أمام البول احتراماً حيث ترمز بوضوح إلى الرغبة والحاجة إلى الأطفال وخاصة الذكور منهم. وإن قلة البول كما يدل عليه رمز القصب الصغير يدل على العقم. والبول بذاته يدل على رمزياً على تدنيس وتلويث النفس، وبذلك يفسر كفأل غير حسن (وعلى الأخص في وفاة الابن الأكبر وحدوث قحط أو جوع) وتوجيه البول نحو السماء ينتج في صيروره الابن ذا قيمة وأهمية

(1) Ibid, p. 263.
(2) Ibid, pp. 264 – 265.

والسبب في ذلك يعود بالطبع إلى ارتباط السماء مع الأرباب حيث كان الإعتقاد القديم بأن الآلهة تسكن هناك. ولكن حياته سوف تصبح قصيرة بتقدير الآلهة نفسها وذلك يعود ربما للوقاحة البالغة التي بينها في عمله هذا والذي ربما أراد من ورائه الإتصال جنسياً مع بعض الربات. وإن وطأ الحالم بولته معناه احتقاره لها ورؤيا دالة على خسارته لا عز ابنائه وهو الابن الأكبر بالطبع. وإذا ما غسل يديه في بولته، ذلك الغسل الذي سيؤدي إلى نتيجة مشابهة إلا وهي تمتعه القليل بالحياة. والعبارات الأربع التي تلي هذه مهمة أيضاً. فهنا نلحظ حظا سعيداً يأتي بعد التلقيح الرمزي لكثيرين آخرين (البول في ماء جاري مثل النهر). ولكن الحظ التعس يتأتى بعد البول في ماء البئر حيث سوف يضيع لكون البئر مقفلاً. أما إذا بول في قناة اروائية وهي بالطبع صغيرة بطيئة الجريان في الغالب فإن خسارته سوف لا تشمل كل ممتلكاته كما في حالة البئر بل محددة على محصوله لتلك السنة بالذات فقط. وإن صب بول الرجل الحاكم على الرب الحامي له علاقة مع تضحية النفس وهي أعلى تضحية يمكن أن يقدمها إنسان إلى ربه الشخصي وبذلك فسرت بعثوره على ما فقده من ممتلكات. أما العبارة الأخيرة فواضحة ففي شربه بول الزوجة سوف يؤمن للرجل التمتع بذرية تؤمن له حياته في الكبر والشيخوخة. هذا وان البول والتبول هما رمزيان للغاية.

ونقرأ في الرقيم الثامن العبارة التالية (إذا رأى رجل في حلمه الإله انليل فإنه سوف يتمتع لعمر طويل[1]. وهذه ربما تمثل نعمة خاصة مسددة إلى رجل نقي متدين تؤمن له طول العمر. وتقرأ في الرقيم التاسع (إذا رأى إنسان نفسه في الحلم ذاهب إلى مدينة تعز فمعناه حزن أو صحة لمدة سنة ولباسل فمعناه تحسرات أو صحة لمدة سنة أو لهيت فإنه سيكون ذا عمر طويل وتكثر أملاكه)[2] فهذا الرقيم كما يظهر مخصص للأسفار. فهناك تناقض واضح في العبارتين الأوليتين بين الحزن والصحة والتحسر والعافية وربما ترجع إلى افتخار الكاهن واعتزازه أو تعصبه حيث جعل السفرة لتلك المدينة يغطي أما حظا سعيداً أو شنيعاً معتمدة على كون الشخص المسافر من مدينته التي أتى منها هو أم لا. والأخيرة ترمز بالطبع إلى مسافة بعيدة بالنسبة للكاتب لأن هيت بعيدة عن كل من الجنوب أو الشمال إن كان الرقيم قد كتب في واحدة منهما. فالبعد في المسافة هنا يرمز إلى طول العمر حيث إن الحياة ما هي رحلة.

(1) Ibid, p. 266.
(2) Ibid p. 267.

وذكر أوينهايم ثلاثة رقم أخرى غير مرتبطة كلياً مع كتاب الأحلام الآشوري ولكنها تبحث في نفس الموضوع[1]. وهذه تلائم الطبيعة الأساسية لكتاب الأحلام إلا وهي التكاثر البشري. فبصورة عامة نرى أن أكل لحوم الحيوانات الوحشية ينتج حظا سيئا كما يولد الأخير أيضاً اللحوم غير المألوفة ولحوم الأناس الغرباء. وأكل لحم الأصدقاء (ماعدا أكل لحم اليد) يشير بصورة عامة إلى حظ سعيد وخير سيجلبه الحلم. فالعراقي القديم بذلك سيأخذ لنفسه حسن سريرة وطيب صديقة ثم يعكسها إلى العالم. وأكل الإنسان إلى لحم يده قد يجلب حظا تعسا لأن اليد عضو على غاية الأهمية للإنسان وهو في حلمه ينوي إنزال الأذى بها أو لأن اليد هو العضو غير الملحوظ من الجسم الذي تظهر عليه انفعالاته بسرعة. فعلى سبيل المثال إذا اختلف رجل مع أخر فإن اليد هي التي تضرب أي إنها الجزء من البدن الذي يورط صاحبه في النزاع أولا فيكسر الصداقة ويجلب الحظ السيء[2]. ويظهر التناقض في (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل عضوه التناسلي فإنه ابنه سوف يموت) و(إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل عضو صديقه التناسلي فمعناه إنه سيرزق بولد)[3]. وبالنسبة إلى فرويد فالأكل عموماً له علاقة باتصال جنسي محرم (مع أخت أو أم أو بنت أو بنت أخ الخ) وبذلك يكون أكل الإنسان لعضوه التناسلي مجلبة لسوء حظ إليه بينما أكل الشخص لعضو صديقه التناسلي لا يحمل بين طياته اتصال جنسي محرم وبذلك يكون مجلبة لحسن حظ. ونفس التفسير يصدق على (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل لحم قدمه فمعناه إن ابنه الأكبر سوف يموت)[4]. فالعراقي القديم حسب ما تُظهر هذه الأحلام وتنسياتها، ادرك بصورة لا شعورية خطر عدم النسل واتخذ الاحتياطات (أيضاً بصورة لاشعورية) لتجنبها. وبالواقع من الصعب جداً الافتراض بأن أكل لحوم البشر قد حدث فعلاً في العراق القديم.

وهناك عبارتان تتعلقان بأكل الغائط وكيف انه ذو حدين يجلب سوء الطالع حينا وحسنه حيناً أخر باختلاف الأشخاص. (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل غائط صديقه فتفسير ممتلكاته سوف تزيد ويكون حسن الحظ وسيقول عن ثروته أين سأضعها؟ إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل براز الحيوانات الوحشية فسيكون

(1) Ibid, 269.
(2) Ibid 270 – 271.
(3) Ibid, p. 271.
(4) Ibid.

ثريا)[1] فبراز البشر عند الأقوام البدائية يقرن دائماً مع الثروة وكأنها شيء قد أنتج من قبل الفرد ونتيجة لجهود بذلها إلى جانب ذلك فإن التغوط بذاته عمل مريح ملذ للنفس الأمر الذي يجب أن يكون مقرونا مع حسن الحظ.

وإذا ما أتينا على العبارات المتعلقة بالأختام الأسطوانية بكتاب الأحلام الأشوري هذا[2] فنرى في تفسير الأحلام إن إعطاء شخص لختم اسطواني إلى آخر له علاقة بإنجاب الأطفال، ولهذا تفسيران. فالختم الاسطواني مهم في الكشف عن الهوية وبذلك يمثل الحظ المباشر الذي يربط الأب مع الابن. أو إن هذه الأختام ربما كانت قد انتقلت من الأب إلى الابن في حالة الوفاة ساندة بذلك التفسير التعريفي (الكشف عن الهوية). وربما تكون العلاقة بين الختم الاسطواني والأطفال متأتية من تشابهها مع عضو الأخصاب عند الرجل. وبذلك تكون ممثلة للعلاقة وعملية التخصيب المباشر وفكرة إنجاب الأطفال. ومن المهم إن نذكر بأن أكثر الرموز المستخدمة في الأختام كالأسود والسهام والأرباب لها تعابير صريحة وواضحة للقوة والأخصاب والنشاط. وهناك فقرات تتعلق بالتسليم (إذا رأى رجل نفسه في الحلم وقد اعطي لحم خنزير يعني سوء الصحة)[3]. حيث أن الخنزير نفسه معروف كحيوان قذر يأكل كلما يجد وربما أنهم عن خبرة (ولو أنه ليس لنا دليل على ذلك) قد عرفوا بأن أكل لحم الخنزير قد يعرض الإنسان إلى أمراض. أما إذا كان اللحم المعطى غير مطبوخ فمعناه أن الحيوان نفسه سوف يهاجم الرجل الحاكم أو يلم به مرض أو يموت. ونعرف عن مهاجمة الخنزير الوحشي للكثيرين من الناس وخاصة في مناطق الأهوار والزراعة الكثيفة وقتله إياهم في تلك العصور.

ثم تقرأ (إذا رأى رجل في حلمه أن شخصاً قد أعطاه شحم أسد فسوف لا يتمكن أحد من المنافسة. وهنا أيضاً عندما تحاول تطبيق قانون التأثير يبرز للحلم معناه فالأسد معروف بالقوة وخوف الحيوانات الأخرى منه وحتى البشر، فبذلك يكون أخذ الشخص الحالم لدهنه يعني أخذه لقوة الأسد وصفات ذلك الحيوانات الأخرى الأمر سيجعله قوياً لا يتمكن أحد من منافسته.

وفي عبارات الفأل نقرأ: (إذا رأى رجل في حلمه إن رجلاً آخر يسلمه عجلة فتفسيره بأن سوف يرزق بتوأمين. وإذا كان درعا من الجلد بأن كآبته سوف تنفرج.

---

(1) Ibid, p. 273.
(2) Ibid, pp. 276 – 277.
(3) Ibid, p. 278.

وإذا كان منغزا فتفسيره بأن سوف لا ينافسه أحد. وإذا كان مزلاج باب فتفسيره بأن سوف لا تفضح أسراره[1]. فالعجلة بلا شك تأتي في زوجين اثنين على الدوام وبذلك اقترنت هنا بولادة التوائم، أما الدرع فمعناه الوقاية والحماية من أي خطر فسيكون بذلك قوياً لا يقوى أحد على منافسته والتغلب عليه. أما المنغز فهو أداة دفاعية وبذلك له علاقة بتقوية الإنسان لنفسه بالوقت الذي يستعمل مزلاج الباب لغلقها فلا يتمكن بعد ذلك أحد من فتحها بسهولة وبفعل قانون التشابه.

وفي مكان آخر نقرأ (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يعطي كأساً فارغاً فمعناه بأنه سوف يصبح فقيراً. وإذا كان مملوء فمعناه بأنه سوف يصبح ذا اسم مشهور ونسل كثير... وإذا رأى رجل في حلمه أن أحد يعطيه رهن أسد فالمعنى بأنه سيكون إنساناً كاملاً، وإذا كان دهن بغل فالمعنى بأنه سوف لا يكون إنساناً كاملاً. وإذا رأى أن أحداً يعطيه ماء فان عمره سوف يطول... وإذا كانت بيرة فمعناه سوف ينسى... وإذا كان خمرا فمعناه أن عمره سيكون قصيراً)[2] فتسلم الحالم للكأس الفارغ معناه تقبله الفقر وبذلك سيكون متجهاً نحوه وإذا كان الكأس مملوء فسيكون طريقه نحو الثراء وهنا يتوضح قانون التشابه. ولما كان البغل حيواناً عقيماً فلا تتوقع أن يكون تفسير الحلم الكمال بالنسبة للشخص الحالم. أما البول والماء منهما من رموز الخصب والتكاثر فلا بد أن يكون تفسير الحلم مقترن بطول العمر وكثرة الأطفال أو زيادة المال بالنسبة للحالم. وكما أن الفرد أثناء شربه للبيرة ينسى او يتناسى مشاكله وآلامه وقد يصيب فرح وقتي، فقد قرن الحلم بين النسيان وشرب البيرة. أما الخمرة فلكونها لا تجعل شاربها ثملاً إلى ما لا نهاية ومفعولها يتلاشى بعد مدة من الزمن تقصر أو تطول بالنسبة للكمية التي شربها الشخص وبذلك يكون تفسير الخمرة وشربها هنا سرعة زوال وقرب نهاية العمر.

وإن ألواح التعويذة هي الأولى والعاشرة والحادية عشرة[3]. وهناك أدلة على أن الألواح الثلاثة كانت بالأصل مجموعة منفصلة عنوانها (تحويل الأحلام السيئة إلى حسنة) وهي مرتبطة مع نصوص لفأل من كتاب الأحلام لعلاقتها به. وتشمل هذه النصوص على دعوات وسحر وطرد شرور استعملت في مناشدة الأرباب لنعم وفضائل ومن هذه الدعوات نقرأ بنص (إذا رأى رجلاً حلماً سيئاً فيجب ولأجل أن لا تصيبه

---

(1) Ibid, p. 279.
(2) Ibid, pp. 279 – 2.
(3) Ibid, p. 295.

نتائجه السيئة أن ليقول لنفسه قبل أن يضع قدمه على الأرض (في الصباح) أن الحلم الذي رأيته كان طيباً، حقاً طيباً أمام الإله سن وشماش وبذلك سينقل ذلك ويضع آجر من النوع الجيد واحدة لنفسه وحتى لا يقرب منه شر الحلم (الذي رآه). وفي نص نقرأ شعيرة لأجل التخلص من نتائج الأحلام السيئة والتي عليه بموجبها أن يقرأ هذا الدعاء وهو مرفوع اليدين أمام الإله شماش و«سوف يحصل على ما يريد» (شماش أنت الحاكم احكم في قضيتي، أنت الذي تصدر الأحكام، أصدر حكمك في دعوتي، بدل حلمي الذي رأيته إلى حلم طيب، هلا أسير في الطريق المستقيم، هلا أحصل على مساعد، يا شماش، هلا يكون حلمي طيباً طول النهار، يا شماش هلا يكون حلمي طيباً طول الشهر). ونجد تعاليماً في هذا الباب في الرقيم المسمى (إذا رأى رجلاً حلماً سيئاً وأراد أن لا يتأثر بنتائجه السيئة) نقرأ فيه (إذا رأى رجلاً حلماً سيئاً في الليل فيجب أن يأخذ... (مكسور)... ويلطخ به كل جسمه (وهو متجه) نحو الشرق... وعلى قطعة من الفخار ثم يقول إلى القطعة، أيتها القطعة هي تركيبك قد امتزج تركيبي، في تركيبك قد امتزج تركيبي، ثم عليه أن يخبر قطعة الفخار (يشاور) كل الحلم الذي رآه ثم يرميها في الماء ويقول (وكما أطلق هذه القطعة في الماء وتتحطم وتتلاشى جميع أجزاؤها، هلا تكون جميع نتائج الحلم الشريرة التي رأيتها. تختفي وتذوب وتبتعد عن يدي مسافة ستين ساعة مضاعفة. وهكذا ما يجب أن يقوله إلى القطعة التي يرميها في الماء وآنذاك سوف يذهب عنه الشر)[1].

فهذه الدعوات هي بالواقع ستائر وتعاويذ الغاية منها طرد نتائج الأحلام الشريرة واستحصال أحلام حسنة بدلها. ومن هذه الأمثلة الثلاثة التي ذكرناها، أعلاه فالأولى تطرد شر حلم سيء وذلك عن طريق محاولة إقناع الأرباب بأن الحلم كان طيباً لا سوء فيه. وهو بهذه الوسيلة يحاول تظليل الآلهة. وهذه الطريقة بالواقع معروفة في مختلف الأديان البدائية. أما الطريقة الثانية فهي نتاج عقلية أكثر تعقيداً كما يظهر وتحوي التماساً إلى الإله لأن يحكم ويغيره إلى حلم حسن. أما في الثالثة فنجد طريقة جديدة فعوضاً عن محاولة الشخص التهرب من نتائج حلمه السيئ المخيفة. فإنه قد وجه شر الحلم إلى قطعة من طين الأرض يرميها لتذوب في الماء ومعها شرور الحلم الذي يقاسيها الحالم وبذلك يكون قد خلص نفسه حسب اعتقاده من النتائج. ووصلتنا من العراق القديم أدعية يتوسل بها المقيد إلى الأرباب كما ترسل له أحلاماً طيبة أمثال (يا رب

(1) Ibid, p. 300 – 302.

القمر الجديد الذي لا يوازيه أحد في القوة والذي لا يتمكن أحد أن يحصل مشورته، لقد قدمت لك سائلاً طاهراً كتضحية ليلية، قدمت لك شراباً طاهراً، انحني عليك، أقف أمامك، استرشدك، وجه أفكارك الحسنة والعادلة نحوي حتى يصطلح معي ربي وربتي اللذين غضبن علي منذ أيام في الحق والعدل وسيكون الحظ الحسن نصيبي وطريقي مستقيماً ويرسل لي زاكار رب الأحلام في منتصف الليل كيما يغفر لي ذنوبي). (اكشف نفسك لي ودعني أرى حلماً طيباً، هلا يكون الحلم الذي سأحلمه طيباً، هلا يكون الحلم الذي سأحلمه صحيحاً. هلا تقف مامو ربة الأحلام عند فراشي، دعني أدخل ايزاكيلا بيت الحياة)[1]. فالأحلام هذه قد تحملنا على ضرورة النظر العراقي القديم نظرة أكثر تعقيداً. فهو شخص كانت للرمزية في المعاني والاستعمالات بالنسبة إليه مكان لا يستهان به. فأحلامه تبين بكل وضوح استعماله الرمزية اللاشعورية فيها وتنوع خبراته في تفسيرها.

(1) H. F. Lutz, «An Omem Text Referring to the Action of A Dreamer», IJSL, vol. XXXV (1919) p. 145.

السحر وعلاقته بالدين عند الشعوب البدائية

❖ السيد محمد بدوي

مقدمة

كانت مسألة العلاقة بين السحر والدين من أهم المسائل التي شغلت أذهان الباحثين الإجتماعيين منذ أن خطت الأبحاث الإجتماعية خطواتها الأولى في دراسة الشعوب البدائية. فأثار العلامة فريزر frazer هذه المسألة في مؤلفاته الضخمة التي تعد من أهم المراجع وأدسمها في دراسة الشعوب البدائية[١] وحاول أن يحدد بالدقة ماهية هذه العلاقة ومدي تأثير السحر في مظاهر الحياة الاجمّاعية. ثم جاء بعده كودرنجتون Godrington[٢] ودرس فكرة الـ «مانا» Le mana أو القوة السحرية عند الشعوب البدائية. ومنذ ذلك الحين ظلت هذه المسألة مثار النقاش والجدل لا بين علماء الإجتماع فحسب بل وأيضاً بين المؤرخين ورجال القانون والفلاسفة وعلماء اللاهوت فاهتمت كل طائفة من هؤلاء ببحث ناحية خاصة من المسألة. ووجه علماء المدرسة الفرنسية من أنصار دوركيم اهتماماً خاصاً لدراسة مسألة السحر بوجه عام وإلى تحديد مدي تأثير العقيدة السحرية على الناحية التشريعية بوجه خاص. ومن علماء هذه المدرسة الذين اشتغلوا بهذه المسألة Mauss[٣] وهوفلان Huvelin[٤] كما ساهم في بحثها أيضاً العلامة ليفى برول Levy-bruhi تعرض لها من نواحي مختلفة في كتبه عن العقلية البدائية[٥] ولكن على الرغم من كثرة هذه الأبحاث والتفسيرات المختلفة التي استعان فيها أصحاب بالتعليل المنطقي إلى جانب ما جمعوه من الوثائق والمعلومات عن حياة الشعوب البدائية فإن المسألة الرئيسية وهي تحديد العلاقة الحقيقية بين السحر والدين ومعرفة الوطنية التي يؤديها السحر في حياة

---

(١) أهم مؤلفات فريزر هي: The Golden Bough 3eme edit. en 7 vol.1911-15

The nagie Origins of Royalty 1905.
La Tache de payche,trad. Francaise 1909.

(٢) وصف كودرنجتون عقيدة المانا في كتابه: The Melanesians 1891: Godrington

(٣)راجع مقال موسى وهربوت في المجلة الفرنسية لعلم الاجمّاع

Mauss: Esquise d une theorie generale de la magie (en collaboration avee Hubert) Annee Sociologique 1902-1903.

(4) Huvelin:la naqie et le Droit individuel (Annee Soe. 1906).

(5) Levy-Bruhl: La mytbologie primitire, paris 1936 l'Eaperience mystigue et les symbols chez primitifs, paris Al Can 1938.

المجتمعات البدائية من حيث علاقته بنشأة الفن والعلم والأخلاق والتشريع كل هذه المسائل ظلّت موضع خلاف بين الباحثين ولم يصلوا فيها بعد إلى رأي نهائي.

فمنهم من يقول بأن السحر نشأ عن الدين بعد أن أفسد بعض عناصره الأخلاقية وحولها إلى ناحية الشر ومن أنصار هذا المذهب ألييه Allier[1]. أو أنه نتيجة لبزوغ فكرة الفردية بعد أن كان الطابع الجمعي يسيطر على المجتمعات البدائية وأيد هذه الفكرة دور كيم[2] وهوفلان. ومنهم من يعتقد على العكس بأن الدين هو الذي خرج عن السحر ومن هؤلاء العلامة فريزر. كما أن هناك طائفة ثالثة وعلى رأسها ليفي برول تعتقد أن محاولة فصل السحر عن الدين أو القول بسبق أحدهما على الآخر إن هي إلا محاولة عقيمة فالسحر والدين مظهران لفكرة واحدة أو ظاهرة خاصة تميزت بها عقلية الشعوب البدائية وسماها ليفي برول «ظاهرة ما قبل التدين Pre-religion»[3]. وسنحاول في هذا البحث أن ندرس أهم النظريات في هذا الموضوع دراسة نقدية لنخلص منها إلى إثبات حقيقة أخرى: وهي أن السحر والدين ظاهرتان لاصلة لأحداهما بالأخرى من حيث الأصل وأن كلا منهما تقوم على أسس نفسية تختلف عن الأخرى. وقبل أن نخوض في بحث الموضوع نحب أن ننبه الأذهان إلى أن كلمة (سحر) في العربية يقابلها في اللغات الأوربية لفظتا Sorcellerie, magie كما أن كلمة «ساحر» يقابلها لفظتا Sorcier magician، وتعبّر لفظة Sorcellerie بوجه خاص عما يسمونه أحياناً السحر الأسود La magie noire الذي يكون مقصده الوحيد أحداث الضرر ببعض الأفراد. أما السحر بوجه عام فهو وظيفة اجتماعية تتلخص في القيام بشعائر خاصة لجلب الخير للمجتمع أو درء الخطر عنه كالشعائر التي تقام لجلب المطر حين يعم الجدب أو لدفع خطر عدو أو لشفاء مريض الخ...

نظرية جيمس فريزر:

تسمى هذه النظرية بالنظرية العقلية Théorie intellectualiste وذلك لأن فريزر أراد أن يفسر ظاهرة السحر عند البدائيين بالرجوع إلى أسس عقلية لا دخل للعاطفة

---

(1) Allier:Magie et Religion 1936 PP. 22 et suiv.

(2) Durkheim: Les formes eLe mentaires de la vie ReLigieuse 1912.

(٣) وقد نحا ليفي برول هذا النحو فيما يتعلق بالتفكير أو التعليل المنطقي فوصف العقلية البدائية بأنها. "Prélogique" راجع كتابه: La mentalite primitire.

المجتمعات البدائية من حيث علاقته بنشأة الفن والعلم والأخلاق والتشريع كل هذه المسائل ظلّت موضع خلاف بين الباحثين ولم يصلوا فيها بعد إلى رأي نهائي.

فمنهم من يقول بأن السحر نشأ عن الدين بعد أن أفسد بعض عناصره الأخلاقية وحولها إلى ناحية الشر ومن أنصار هذا المذهب أليبه Allier[1]. أو أنه نتيجة لبزوغ فكرة الفردية بعد أن كان الطابع الجمعي يسيطر على المجتمعات البدائية وأيد هذه الفكرة دور كيم[2] وهوفلان. ومنهم من يعتقد على العكس بأن الدين هو الذي خرج عن السحر ومن هؤلاء العلامة فريزر. كما أن هناك طائفة ثالثة وعلى رأسها ليفى برول تعتقد أن محاولة فصل السحر عن الدين أو القول بسبق أحدهما على الآخر إن هي إلا محاولة عقيمة فالسحر والدين مظهران لفكرة واحدة أو ظاهرة خاصة تميزت بها عقلية الشعوب البدائية وسماها ليفى برول «ظاهرة ما قبل التدين Pre-religion»[3]. وسنحاول في هذا البحث أن ندرس أهم النظريات في هذا الموضوع دراسة نقدية لنتخلص منها إلى إثبات حقيقة أخرى: وهي أن السحر والدين ظاهرتان لاصلة لأحداهما بالأخرى من حيث الأصل وأن كلا منهما تقوم على أسس نفسية تختلف عن الأخرى. وقبل أن نخوض في بحث الموضوع نحب أن ننبه الأذهان إلى أن كلمة (سحر) في العربية يقابلها في اللغات الأوربية لفظتا magie ,Sorcellerie كما أن كلمة «ساحر» يقابلها لفظتا Sorcier magician، وتعبّر لفظة Sorcellerie بوجه خاص عما يسمونه أحياناً السحر الأسود La magie noire الذي يكون مقصده الوحيد أحداث الضرر ببعض الأفراد. أما السحر بوجه عام فهو وظيفة اجتماعية تتلخص في القيام بشعائر خاصة لجلب الخير للمجتمع أو درء الخطر عنه كالشعائر التي تقام لجلب المطر حين يعم الجدب أو لدفع خطر عدو أو لشفاء مريض الخ...

نظرية جيمس فريزر:

تسمى هذه النظرية بالنظرية العقلية Théorie intellectualiste وذلك لأن فريزر أراد أن يفسر ظاهرة السحر عند البدائيين بالرجوع إلى أسس عقلية لا دخل للعاطفة

---

(1) Allier:Magie et Religion 1936 PP. 22 et suiv.

(2) Durkheim: Les formes eLe mentaires de la vie ReLigieuse 1912.

(٣) وقد نحا ليفى برول هذا النحو فيما يتعلق بالتفكير أو التعليل المنطقي فوصف العقلية البدائية بأنها "Prélogique" راجع كتابه: La mentalite primitire.

فيها. فنسب إلى البدائيين أنهم توصلوا إلى أدراك انتظام الظواهر الطبيعية وتتابعها في تسلسل لاشذوذ فيه.

ثم قال بأنهم فسروا هذا الانتظام بنوع من التأثير العاطفي بين الأشياء Sympathie[1]. ثم قال السحر بعد ذلك على تطبيق قوانين هذا التأثير العاطفي: وهي قانون المشابهة Loi de simileite وقانون الإتصال Loi de Contiguite «فالشبيه يؤثر في الشبيه، والأشياء التي كانت بينها صلة ثم انقطعت يظل يؤثر بعضها في البعض كما لو كان الإتصال بينها مازال قائماً. كما أن التأثير ينتقل من قريب إلى قريبه ومن الصورة إلى ما ترمز إليه ومن الجزء إلى الكل»[2].

فالسحر في نظر فريزر تطبيق وهمي لترابط المعاني عن طريق المشابهة والإتصال. هو علم sciense سابق لأوانه ولكنه علم يقوم على البهتان أو إذا شئت فإنه فنّ عقيم أو نوع من الخرافة يستغلها المكرة وذووا الدهاء من أهل القبيلة للتسلط على عقول الأفراد واخضاعهم لسلطانهم. ولكن هذه الخرافة كانت في نظر فريزر ذات نتائج بعيدة المدى فعنها خرج العلم والفن كما أنها أصل العقيدة الدينية. أما كيف نشأ العلم عن السحر فإن فريزر يوضح ذلك بقوله إن السحر دون الحاجة إلى تدخل عامل روحي أو مادي. وهذا المبدأ هو بعينه المبدأ الذي يقوم عليه العلم الحديث: مبدأ النظام ووحدة القوانين الطبيعية. فالساحر مقتنع تمام الاقتناع بأن العلة الواحدة لا يمكن أن تصدر عنها إلا نتيجة واحدة وهو لا يمارس فنه إلا إذا سار وفق قوانين الطبيعة على قدر فهمه لها. ولا يتوسل إلى كائن آخر أقوى منه أو أكثر سلطاناً كما يفعل الكاهن أمام معبوده ولا يحني هامته أمام جبروت الآلهة. هذا التشابه بين المبدأ الذي يقوم عليه السحر والمبدأ الذي يقوم عليه العلم هو الذي حدا بفريزر إلى القول بأن العلم وليد السحر فكلاهما ينظر إلى ما يحدث في الطبيعة لا على أنه وليد الصدف أو الأهواء الشخصية بل على أنه ناتج عن قوانين ثابتة تتابع في نظام آلي[3].

ولما كانت حياة القبيلة البدائية لا تستطيع أن تقوم بغير أداء بعض الشعائر السحرية من حين لآخر، فقد أصبحت طبقة السحرة في مركز ممتاز، واقتصرت هذه المهنة بطبيعة الحال على أكثر أفراد القبيلة ذكاء وأشدهم دهاء. وكان تحررهم من القيام بأعباء الحياة المادية مما ساعد كثيرا على تفرغهم لبعض الأبحاث العلمية. هؤلاء

---

(1) Rameu dor(trad. Frans. De Golden Bough) p.5 et suiv
(2) Oriqines Magiyue de la Royaute(trad.frad.frane) PP.35-38.
(3) Rameau dor I.p 64-65.

السحرة أمثال صانع المطر والطبيب المشعوذ والساحر الزراعي والساحر المتنبئ هؤلاء جميعاً هم أسلاف أطبائنا وجراحينا بل ومخترعينا في الوقت الحاضر[1]. فالسحر ولو أنه وليد الجهل والوهم إلا أنه أبو الحقيقة والحرية فقد ساعد كثيراً على تحرير الإنسان من عبودية التقاليد.

أما عن علاقة السحر بالدين ـ وهو موضوع بحثنا ـ فإن فريزر ينوه في بادئ الأمر بما بين الظاهرتين من تنافر في المظهر الخارجي. فأهم ما يميز الدين على حد قوله «الضراعة والتوسل من جانب الإنسان نحو قوة عليا يعتقد أنها تسيطر على شؤون الطبيعة وعلى حياته. وهذه الصفة وحدها قد تكون كافية لتظهر لنا تعارض الدين مع السحر والعلم على السواء[2]. فموقف الساحر هو موقف الأمر المتحكم. أما رجل الدين فإنه يضرع ويتوسل وذلك لأن الأول يشعر أنه يواجه قوى قد تكون مماثلة له في طبيعتها أو أقل منه على حين أن الثاني مقتنع تماماً بأنه يتوجه نحو قوة عليا خارجة عنه transcendante وتتحكم في مصيره.

هذا التعارض بين موقفي الدين والسحر يفسر لنا العداء المستحكم الذي كان ينشب في مختلف العصور بين السحرة والكهنة. فإن غطرسة السحرة واستخفافهم بالقوي التي تسيطر على الطبيعة جلبت عليهم سخط رجال الدين الذين كانوا يقارنون هذا التحدي بخضوعهم وضعهم أمام الشعور بعظمة الآلهة.

ومما زاد هذا الشعور بالسخط ما كانوا يشاهدونه من ثراء السحرة وتمتعهم بالجاه والسلطان دون عناء على حين أنهم كانوا يقضون العمر في التقشف وتعذيب النفس ويقطعون مرحلة طويلة شاقة في سبيل الوصول إلى رضا الله والدخول في رحمته.

ولكن فريزر يعود فيؤكد لنا أنه بالرغم من هذا الخلاف الظاهري بين السحر والدين فإن السحر هو الظاهرة الاجتماعية التي سبقت الدين من حيث الظهور وهو الأساس الذي نشأت عنه العقيدة الدينية. فقد نشأ الدين من أخطاء السحر وفشله في كثير من محاولاته. إذ ظل الإنسان مدة طويلة يعتقد أنه يستطيع بنوع من الخيال والاقتناع العقلي أن يكيف الأشياء كيف يشاء وأن يتحكم في القوى الطبيعية كما يتحكم في حركاته وسكناته ولكنه ما لبث أن اصطدم بمقاومة الظواهر الطبيعية كما يتحكم في حركاته وسكناته ولكنه ما لبث أن اصطدم بمقاومة الظواهر

(1) Origine maqiqué.. PP.93-95.
(2) Rameau d or PP. 66-67.

الطبيعية له وعدم سيرها طوع بنانه. فعزى ذلك إلى وجود قوى خفية خارجة عنه أطلق عليها اسم «الآلهة» ونسب إليها القوة والعظمة والمقدرة. ثم اضطرته هذه الصفات إلى أن يقف منها موقف الخضوع والخشوع وإلى أن يتزلف إليها بالقرابين والصلوات والأدعية. ويدعم فريزر نظريته هذه بأسباب ثلاث:

(١) إن السحر بشعائره وطرقه واحد أينما وجد. واحد من حيث مبدؤه ومن حيث تطبيقاته العملية على حيث اختلفت الديانات حسب المجتمعات التي نشأت فيها والعصور التي ظهرت فيها.فكلية السحر Universalité وخصوصية الدين Particularisation سببها أن السحر هو الطبقة الأكثر عمقاً أو الجذور الأصيلة التي تفرعت عنها الديانات.

(٢) تتميز الظواهر السحرية بأنها بسيطة أولية على حين أن العقائد الدينية وما يتبعها من شعائر وطقوس تمتاز بطابع التعقيد الذي يرتكز في غالب الأمر على تقدم الفكر. فقد اكتشف الإنسان بعد ممارسة السحر أزماناً أن السحر قد يخفق في كثير من الأحيان وحينئذ بدأ يشعر بضعفه وجهله وبقوته المحدودة. فمهد هذا الشعور لظهور الديانات التي ما لبثت أن تغلبت على السحر وظهرت عليه.

(٣) نلاحظ في بعض الديانات اختلاط شعائرها ببعض عناصر السحر كأن تحتوي هذه الشعائر مثلاً على صيغة الرجاء والأمر معاً. ولا بد أن يكون ذلك قد حدث في عصر الانتقال من السحر إلى الدين فتعلقت بعض عناصر السحر بالعقائد الدينية وأصبحت جزءاً منها. وأعظم مظهر لذلك الامتزاج ظهور الرجال الآلهة في كثير من المدنيات الغابرة Les hommes- Dieux حيث كان الحاكم يجمع بين صفات الساحر والإله والملك[1].

أظهرت لنا الدراسات الحديثة وخصوصاً دراسات ليفي برول خطأ فريزر الأساسي من حيث المنهج méthodologique فقد بنى نظريته وما علق بها من تفسيرات مختلفة على مبادئ عقلية أو مقولات Gatégories تختص بها عقلية الشعوب المتحضرة وأراد تطبيق هذه المبادئ على العقلية البدائية. فنراه يتحدث عن التشابه similitude والإتصال contiguité، والتناسق Ordre، العلية Causalite دون أن يفرق بين ما قد يفهمه البدائي عن هذه المقولات وبين فكرة المتحضر عنها في الوقت الحاضر. ولذلك فإنه قد

(1) Ibid. PP.84-136.

نزع عن السحر كل عنصر عاطفي على حين أن أهم ما يميز العقلية البدائية خضوعها لنوع من القوة الخفية لا تخضع لسلطان الروح Pensée mystique[1].

فالبدائي يعتقد أن هناك قوي خفية تؤثر في الأشياء تأثيراً لا تدركه الحواس ولكنه مع ذلك حقيقي ويعتقد كذلك أن هناك صلة خفية بين الأشياء وأن الشيء يمكن أن يكون هو وشيئاً آخر في وقت واحد[2].

كما أظهرت لنا دراسات موس وهوبرت عن موقف الساحر ووصفهما المسهب للشعائر والأفعال السحرية[3] خطأ فريزر في اعتقاده أن الساحر شخص ماكر يستغل سذاجة الأفراد أي أنه يعتمد أولاً وقبل كل شيء على عقله في التأثير عليهم. فالحقيقة التي أثبتها البحث واثبتتها المشاهدة أن الساحر يكون أثناء تأدية عمله في حالة ذهول وغيبوبة كالتي يقع فيها المتصوف حين تنتابه نوبة الإشراق فيغيب عن وعيه ولا يشعر بالمؤثرات الخارجية ويأتي بحركات غير إرادية. وهذه الحالة التي تعتريه Etat d'extase، de catalepsie تنتقل عن طريق التأثير وبفعل البخور والطبول والرقصات التي تصاحب العمليات السحرية - إلى من حوله من مريديه.

فتنتابهم النوبة التي تنتابه وهذا شرط أساسي لنجاح عملية السحر.

ثم إن العمليات السحرية ليست من البساطة كما يدعي فريزر بل هي على العكس شديدة التعقيد وتستلزم لأدائها شروطاً كثيرة منها ما يتعلق بالمكان الذي يراعى فيه أن يكون نائياً عن المساكن كالمقابر والكهوف والمستنقعات والغابات حيث تتخذ الأرواح والشياطين مقامها المختار. ومنها ما يتعلق بالزمان الذي يجب أن يحدد بعناية فائقة من يحث الساعة واليوم والشهر وفصل السنة ويستدعي ذلك طبعاً إلماماً تاماً بحالة الكواكب وأوضاعها حتي ليقال إن بعض السحرة الهنود يعتقدون أن من الشعائر السحرية مالا تؤاتي الظروف لأدائه إلا مرة واحدة كل خمسة وأربعين سنة. ومنها أخيراً ما يتعلق باختيار أدوات السحر نفسها وكيفية تحضيرها. فالساحر الذي يريد أن يشفي مريضاً يذهب لجمع أعشابه في ليلة قمراء أو عند شروق الشمس ويجمعها بنظام خاص مستعملاً في ذلك إبهامه وسبابته دون الأصابع الأخرى ويراعى ألا

---

(١) راجع كتابه عن العقلية البدائية La Mentalité primitive

(٢) أطلق ليفي برول على هذا النوع الأخير من التفكير البدائي اسم «قانون المشاركة» Loi de participation. وهو يناقض المبدأ المعروف في المنطق باسم «مبدأ الهوية» Principe d'Identité.

(٣) انظر: L'Annee Sociologique 1902-03, PP.20-85.

يمر ظله حين يسير على الأرض التي يختارها لجمع أعشابه إلى غير ذلك من الظروف والملابسات التي لا يتسع هذا المقال لسردها.

على أن مضمون السحر ذاته وما يحتويه من رموز واستدعاء قوى خفية كل ذلك يخرج به عن صفة البساطة فهو ليس إذن كما يدعي فريزر عملية عقلية أو منطقية ولكنه صور رمزية وانفعالات ونزوع إلى نوع من الاتصال الروحي، حالة من حالات الضمير الجمعي لا يمكن تفسيرها تفسيراً عقلياً وإنما يفسرها تحليل نفسية المجتمع ومعتقداته.

وقد وصل كودرنجتون Codrington من بحثه في هذه الناحية إلى اكتشاف فكرة ال (مانا) Mana التي تخضع لها الظاهرة السحرية عند الشعوب الأولية.

عقيدة ال (مانا) واتصالها بظاهرة السحر:

نظرية كودرنجتون: عكف كودرنجتون على دراسة حضارة الشعوب الميلانيزية وهداه بحثه إلى اكتشاف عقيدة ال(مانا) التي تسيطر على عقلية هذه الشعوب[1] وقد عرّف هذه العقيدة بما يلي:

" يعتقد سكان ميلانيزيا في وجود قوة متميزة تماماً عن القوة المادية. وهذه القوة تؤثّر بطرق شتى إما لجلب الخير أو لجلب الشر. وهي تسهّل كل شيء لمن يستطيع امتلاك زمامها ووضعها تحت سيطرته. هذه القوة هي (المانا): تأثيرها لا مادي ويمكن أن يُقال أنه خارق للطبيعة surnaturel ولكن نتائجه تظهر على شكل مادي فتمنح القوة الجسمية أو الجاه أو السلطان. وهذه القوة لا تكمن في شيء بذاته بل يمكن لمن يعرف سرها أن يجعلها تسري في كل شيء فهي العنصر الفعّال الذي يمكّن الفرد من السيطرة على قوة الطبيعة وتوجيهها كيف يشاء. إذا امتلكها الإنسان استطاع جلب المطر أو الصحو، الهدوء أو العاصفة. كما أنه يستطيع أن يشفي مريضاً أو يجلب المرض لسليم وأن يتنبأ بالمستقبل ويجلب السعادة لشخص أو يبعد عنه الشقاء. والاعتقاد في هذه القوة هو أساس السحر والشعوذة، فالسحر والمطببون والعرافة كل هؤلاء لا بد لهم من امتلاك هذه القوة"[2].

يتضح لنا من هذا التعريف أن كودرنجتون يرى أن ال (المانا) هي القوة السحرية، وهو يُطلق عليها فعلاً في كتابه هذا الاسم "Magical power " وهذه القوة ولو

---

(١) شرح كودرنجتون هذا الاكتشاف في كتابه 1899 The Melanesians الذي ظهر بعد كتاب فريزر The Golden Bough بسنوات قليلة.

(2) The Melanesians , pp. 191 et suiv.

أنها خارقة للطبيعة surnaturelle إلاّ أنها كامنة في الأشياء immanent أي أنها تتغلغل في كل شيء وتتحد به (وفي هذا ما يُميّزها عن القوة العلوية الخارجة " La force transcendante " وفي استطاعة الإنسان أو الجماعة أن يُسيطروا عليها ويستغلوها لقضاء مصالحهم.

هذا التمييز هو الخطوة الكبرى في سبيل الاتجاه نحو التفرقة بين ظاهرة الدين وظاهرة السحر. وقد سار ليمان Lehmann، مالينوفسكي Malinowski في هذا الاتجاه حتى وصلا بعد تحليل عقيدة ال(مانا) إلى إثبات هذه الحقيقة: وهي أن السحر والدين ظاهرتان متباينتان لا صلة بينهما من حيث الأصل، بل إن كُلاً منهما تقوم على أسس نفسية مختلفة.

ليمان يواصل البحث في عقيدة ال (مانا):

بعد أن وضع كودرنجتون أساس التفكير في عقيدة ال(مانا) عند سكان ميلانيزيا جاء بعده ليمان Lehmann أحد تلاميذ العلاّمة الألماني Wundt فواصل البحث في هذه الناحية وأخرج لنا وصفاً دقيقاً شاملاً لجميع مظاهر تلك العقيدة[1]. لاحظ ليمان عندما تعرض للبحث في النواحي التطبيقية لهذه العقيدة أن هذا اللفظ (مانا) له معان كثيرة من الناحية اللغوية الصرفة[2]. فمعناه (أولاً) في اللغة الميلانيزية يفكر، يحب، يرغب كما أنه يعني موضوع الشيء الذي نفكر فيه أو نحبه أو نرغبه ـ ثم هو يعني (ثانياً) النجاح والسعادة ـ (ثالثاً) القوة الخارقة للطبيعة التي تقود إلى النجاح والسعادة والتي نبحث عنها ونرغبها ـ (رابعاً) المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها شخص ما ومبلغ نفوذه في المجتمع ـ (وأخيراً) التأثير الخفي الذي ينتج عن ممارسة قوى غير طبيعية.

ويعتقد ليمان أن هذا المعنى الأخير هو المعنى الأصيل لكلمة (مانا) وعنه تفرعت المعاني الأخرى لأن استعمال كلمة (مانا) كصفة أو اسم ناتج عن المصدر «التأثير الخارق للعادة الذي يؤدي إلى نجاح مباشر Das potenzierte ubernaturliche Konnen». ويهمنا أن نسجل هنا أن الـ(مانا) كقوة سحرية تستدعي بذل أقصى قدر من الجهد في سبيل النجاح، أي أن العنصر الأساسي فيها هو النشاط الإنساني (وفي ذلك تمييز آخر لها عن أساس العقيدة الدينية). وقد توصل ليمان بعد ذلك إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الـ(مانا):

---

(1) Lehmann: Le Manu 2éme. 1922.

(٢) أشار هوبرت وموس إلى بعض هذه المعاني في بحثهما المشار إليه آنفاً. انظر L'Année Sociologique 1902

(آ): نوع يعمل في محيط الإنسان كقوة تؤثر في العلاقات بين الأفراد والجماعات، ويطلق عليها السكان الأصليون اسم «مانا تنجاتا Mana Tangata». وهذه القوة قد تصيب الفرد أو الجماعة على السواء. فالمحاربون الذين يصيبون النجاح والفوز في القتال يتمتعون بنصيب من قوة الـ(مانا) الفردية. وقد وُصف تي كاوتي أحد الأبطال الذين قادوا الثورة ضد الإنجليز بين قبائل الماهوري Les Maoris بأنه (مانا تنجاتا) أي الرجل الذي يتمتع بقوة لا مثيل لها. وقد تصيب هذه القوة أفراداً من أحط الطبقات فلا يلبث أن يتحقق سريانها إليهم بالنجاح الباهر الذي يكلل أعمالهم وبارتفاعهم إلى أسمى مكانة في المجتمع. ويحدث الانتقال من الفكرة الفردية إلى الفكرة الجمعية لهذه الكلمة حين يُقصد بها السلطان والمكانة الاجتماعية اللتان تضفيان على الفرد قوة يستطيع بها التأثير على سائر أفراد المجتمع. فيقال مثلاً إن هذا الرئيس أو ذاك القائد الحربي يؤثر بما وهب من (مانا) على عدد من العشائر في نطاق معين من الأرض، وهذا يعني أن مجموعة من الرجال الذين يعيشون داخل هذا النطاق يخضعون لسلطته وينفذون أوامره. ويفقد القائد طبعاً هذه القوة وما يترتب عليها من سُلطة ونفوذ حين يُمنى بالهزيمة في الحرب أو يفشل في أداء مهمة يتعين عليه أداؤها. وقد يفقد الرئيس أيضاً صفته كممثل لهذه الـ(مانا) الجمعية بتأثير عمل سحري يقوم به شخص آخر لانتزاع هذه الصفة منه. وقد ينشب الكفاح بين ساحرين أو مجموعة من السحرة حتى يستطيع أحدهم أن يثبت بهزيمته للآخرين أنه يتمتع بأعظم درجة من قوة الـ(مانا) ويقضي بذلك على ما كان أنداده يتمتعون به منها (pp. 33 et Suiv.).

كل هذه الأمثلة تظهر لنا بوضوح أن الـ(مانا تنجاتا) قوة تتصل اتصالاً وثيقاً بالإنسان وأنها مألوفة لديه يستطيع أن يحصل عليها ويضاعفها بمجهوده الخاص كما أنه قد يضعفها أو يفقدها إذا تراخى ذلك المجهود. وهي لذلك قوة أرضية لا صلة لها بحرمة الدين وقداسته. ويدخل تأثيرها في كل ما يقوم به الفرد أو الجماعة من عمل. وقد لاحظ ليمان ـ كما لاحظ من قبله كودرنجتون ـ الدور الذي تلعبه عقيدة الـ(مانا) في المجهود الصناعي والحربي لسكان ميلانيزيا وخصوصاً في صيد اللآلئ. فالصياد الذي يغوص بمهارة إلى قاعة البحر ويعود سريعاً محملاً بصيده يتمتع بحظ وافر من قوة الـ(مانا) ويكون ذلك خير عون له في عمله يقيه شر المخاطر.

وقد جاءت بعد ذلك دراسات مالينوفسكي عن العلاقة بين العمل والسحر مؤيدة لتلك الملاحظة. إذ يقول[1] «إن السحر والعمل عند القبائل البدائية يسيران جنباً إلى جنب ولا يستغني أحدهما عن الآخر. فالبدائيون يعتقدون أن ما يقومون به من عمل لا ينجح إلا بفضل السحر، كما أن السحر لا معنى له في نظرهم إلا إذا كان عوناً على العمل»[2]. ويقول في موضع آخر «ولا يمكن أبداً أن نشبه الساحر بكاهن يتزعم حفلة دينية، ولكن الوصف الذي ينطبق عليه هو أنه صانع تخصص في حرفة ما تعين على أداء الحرف الأخرى»[3]. فالسحر إذن لازم لأداء أي عمل وينتظر البدائي منه ما ينتظر المتحضر اليوم من الحظ السعيد أو المصادفة الحسنة. والقيام بعملية سحرية معناه ـ إذا ترجمنا ذلك بلغة المتحضر ـ وضع الحظ في جانبه ولذلك يُستعان بالسحر خاصة عند الأقدام على عمل يستدعي المخاطرة ويلوح فيه جانب الخطر[4].

(ب): أما النوع الثاني من الـ(مانا) فإنه خاص بالحيوان والطير والأشياء الجامدة. ويتصل هذا النوع بما يعتقده البدائيون من وجود قوة خفية منتشرة في الطبيعة مستقلة عن إرادة الإنسان وتؤثر في الأشياء دون تدخله. وقد استنتج ليمان من هذا الاعتقاد أن الـ(مانا) ليست صفة عارضة يُكسبها الساحر لما يزاوله من الأعمال بل إنها في الواقع قوة حقيقية منتشرة في كل شيء، وإن كان الإنسان لا يدري كنهها ولا يستطيع تعليلها. وتعمل هذه القوة في محيط الحيوان والنبات والجماد دون أن يكون للإنسان دخل في ذلك. ويعتقد سكان ميلانيزيا أن بعض الطيور يختص بقوة عظيمة من الـ(مانا) وأن الإنسان قد يستطيع في بعض الأحيان وبعد بذل مجهود شاق أن يتحكم في هذه الـ(مانا) ويستخدمها في أغراضه ومصالحه (وفي هذا ما يفسر استخدام بعض الحيوانات أو بعض أنواع الأحجار في الشعائر السحرية).

(جـ): وهناك نوع ثالث من الـ(مانا) تختص به الأرواح والآلهة ويسمى «مانا أتوا» Mana atua. ويجب أن نلاحظ جيداً أن هذه القوة تعمل فقط في محيط الآلهة، أي في كفاحها بين بعضها البعض، ولكن لا شأن لها بالعلاقات بين الآلهة والإنسان، لأن

---

(١) انظر كتاب مالينوفسكي Malinofeski: Argonauts of the Western Pacific.

(2) Ibid. p. 414.

(3) Ibid. p. 142.

(٤) انظر أيضاً كتاب مالينوفسكي Myths in Primitive Psychology 1926 (p. 107 – 117).

صحح ليفي برول نتائج هذا البحث فيما يختص باقتصار السحر على العمل الخطر في كتابه:
Experience mystique et les Symboles chez les primitivfs 1938.

الآلهة في علاقاتها مع الإنسان لا تحتاج لمزيد من القوة وصفتها الذاتية تكفي لإخضاعه والتحكم فيه.

خلاصة البحث: يتضح مما قدمنا من وصف عقيدة الـ(مانا) واتصالها بالظاهرة السحرية أن هذه الظاهرة لا تتصل من قريب ولا من بعيد بالعقيدة الدينية. فالسحر يقوم على القوة الخفية التي يُعتقد أنها تسري في المحيط الأرضي، أما الدين فإنه يقوم على فكرة التقديس La notion du sacre.

ونحن إذا أنعمنا النظر فيما كتب موس وهوبرت عن السحر وعلاقته بالدين، وجدنا أنهما يميلان للفصل بين هاتين الظاهرتين، وإن تكن هناك اعتبارات أخرى تتعلق بمبدئها الفلسفي جعلتهما يلتمسان طريقاً آخر لإيجاد صلة بين الظاهرتين من حيث الأصل. إذ نجدهما يقولان في معرض المقارنة بين السحر والدين «إن الشعائر الدينية تتصف بطابع القدسية والالزام، وانها عامة يشترك فيها الجميع وتقام في أوقات ومناسبة منتظمة. وعلى النقيض من هذه الشعائر توجد شعائر أخرى لا تؤدي إلا في الخفاء، وذلك لأن الجميع حرَّمها وفرض العقوبة على من يمارسها وهي شعائر السحر الأسود Les maléfices التي يَقصد من ورائها الهدم وجلب الشر. ولكن هذين القطبين المتناقضين، قطب التضحية وقطب الشر، يفسحان المجال بينهما الطائفة من الظواهر التي قد يصعب تحديد طابعها الخاص لأول وهلة. وهذه هي الظواهر السحرية المباحة التي تقصد في مجموعها إلى الناحية العملية أو الفنية كالتطبيب أو جلب المطر أو زيادة خصوبة الأرض الخ...»[1].

ترينا هذه الفقرة بوضوح تردد العالمين موس وهوبرت في وصل السحر بالدين أو فصله عنه. وقد اتجها آخر الأمر إلى البحث عن أصل واحد للعقيدتين ووجدا أن فكرة الـ (مانا) هي ذلك الأصل، ولكنهم قسموها إلى قسمين: نوع مقدس mana sacré هو أصل ديني، ونوع غير مقدس هو أصل السحر. فكل ما هو مقدس أو ديني يرجع في نظرهم إلى فكرة الـ (مانا)، ولكن ليس معنى ذلك أن كل (مانا) ترتفع إلى مرتبة التقديس. وقد اتجه موس وهوبرت هذا الاتجاه لأسباب تتعلق بمنهج المدرسة السيولوجية الفرنسية، هذا المنهج الذي يقوم على اعتبار كل ظاهرة اجتماعية سواء أكانت دينية أو سحرية ناتجة عن الضمير الجمعي أو عن القوة الجمعية.

---

(١) راجع المقال المشار إليه آنفاً L'Année Sociologique 1902, p. 19.

ويميل الفيلسوف برجسن أيضاً لفصل السحر عن الدين، ويظهر ذلك جلياً في بعض الفقرات من كتابة «مصدري الدين والأخلاق»[1]، فقد قسم في هذا الكتاب ظاهرة التدين نوعين: الديانة الاستكانية التي تقوم على غريزة حب البقاء والكفاح في الحياة، والديانة الديناميكية التي تقوم على الحدس والفناء في عالم الروح L'intuition mystique. وربط السحر بالنوع الأول أي بالديانة الاستكانية لاتحادهما في الهدف وهو «دفاع الغريزة الطبيعي ضد ما قد يحدثه عمل العقل من خيبة أمل في نفس الإنسان» (ص ١٢٧). ولكن العلاقة بين السحر والدين تقتصر في نظرة على الأساس النفسي الذي أوجد كليهما وفيما عدا ذلك لا يجد مجالاً للتساؤل «فيما إذا كان السحر قد تفرع عن الدين أو إذا كان الدين قد تفرع عن السحر. فكلتا الظاهرتين معاصرة للأخرى» (ص١٨٥). وهو يرى أن السحر متأصل في الإنسان inné وأنه المظهر الخارجي للرغبات التي يختلج بها صدره (ص١٧٧)، ويمكن إرجاعه في النهاية إلى عنصرين أساسيين:

(١) الرغبة في التأثير على الأشياء المحيطة حتى ما لا يمكن أن تصل إليه يد الإنسان.

(٢) الاعتقاد بأن الأشياء يسرى فيها ما نستطيع أن تطلق عليه اسم «العاصرة الانسانية Le fluide humain.

«وفكرة العصارة الإنسانية هذه أو بمعنى آخر فكرة الـ (مانا)، إنما هي فكرة سحرية صرفة لا علاقة للدين بها (ص١٨٣) وذلك لأن «الدين قوامه معبودات مقدسة تسمو على قوة الإنسان، على حين أن السحر يرتكز على قوة خفية منبثة في العالم المادي ويستطيع الإنسان أن يتحكم فيها ويسيرها لأغراضه الشخصية» (ص١٧٤، ١٨٣). والسحر يدعي لنفسه الغلبة على قوة الطبيعة، على حين أن الدين يطلب رضا الآلهة. كما أن السحر يتميز بصفة الأنانية على حين أن الدين يقوم على إنكار الذات.

والنتيجة التي نصل إليها من هذا البحث، أن السحر يقوم على فكرة الـ (مانا) اعتقاد الإنسان بوجود قوة خفية كامنة في الأشياء force immanente وهذه القوة تتصل بجميع أعمال الإنسان وتأتلف معه لتعاون في حياته وخصوصها في الناحية العملية منها وفي هذا ما يُميزها عن العقيدة الدينية التي تقوم على أساس التقديس أو العبادة، والتقديس لا يكون إلاّ لقوة عليا.. خارجة عن محيط الإنسان.

---

(1) Bergson: Les deur soures de la marale et de la religiom.

وتعمل قوة الـ(المانا) على الأخص في نطاق كائنات من مستوى وجودي واحد du méme rang ontologique على حين أن أهم مظاهر العقيدة الدينية وجود كائن أعلى يختص بالنفوذ العلوي وكائن أسفل يتصف بالخضوع وطلب الرضا والعفو والغفران.

وانتفاء صفة العلوية عن الـ(مانا) يجعل من الممكن الاستحواذ عليها وتسخيرها بواسطة الإنسان، وليست العمليات السحرية إلاّ وسيلة للاتصال بهذه القوة وتسخيرها. ويمكن تشبيه الساحر في اتصاله بهذه القوة الخفية بما ورد في فلسفة أفلاطون عن الكائنات المؤلّهة Les démiurges التي تشترك في تنظيم العالم. ولكن ليس معنى ذلك أن الساحر يخلق هذه القوة خلقاً، فإنها موجودة في الأشياء في حالة سبات d'une facon latente ويقتصر عمل الساحر على تحريكها وإيقاظها من مكمنها.

وقد نتج عن فكرة ال(مانا) وما يتعلق بها من ممارسة العمليات السحرية تقوية الروح المعنوية في الإنسان أو الجماعة وشعورهم بقوتهم وبنتيجة مجهودهم الذاتي. فتولد عن ذلك نوع من الاعتداد بالنفس مما ساعد كثيراً على تقدم النشاط الإنساني واتجاهه نحو الاستنباط والإبداع، ومن السهل أن نتبين أن هذا الاتجاه لا تساعد عليه نزعة التدين، لأن الدين فوق ما يستلزم من خضوع وخشوع أمام قوة عليا من شأنه أن يُشعر الإنسان بضعفه وقصوره واحتياجه دائماً إلى عون يأتيه من فوق عن طريق الآلهة.

السحر والدين إذن ظاهرتان لا تتصل أحدهما بالأخرى لا من حيث النشأة ولا من حيث الأسس النفسية التي تفسر كلاً منهما. فأساس السحر هو تلك الرغبة المُلحَّة عند الإنسان التي تدفعه للعمل وبذل الجهد حتى يستطيع أن يتحكم في ظواهر الطبيعة، وهذه الرغبة قد تكون مصحوبة بشيء من الوجل أو التهيّب la crainte حين يُقدم الإنسان على مواجهة قوى لا يزال سرّها مغلقاً عليه. أما أساس الدين فهو ذلك الشعور بالضعف وبقلة الإنسان وبحاجته للمعونة وما يترتب على ذلك من موقف الانتظار وطلب الرحمة، ويصحب ذلك الشعور نوع من الفزع angoisse حينما يجد الإنسان نفسه وحيداً لا حول له ولا قوة، ولا يُخرجه من ذلك الفزع إلاّ أن يبتهل إلى قوة عليا ترسل إليه السلام والطمأنينة.

سحر بابل

❖ عبد الباقي أحمد سلامة

هاروت وماروت

اسمان أعجميان كطالوت وجالوت.

قيل: هما ملكان[1].. وقيل ملكان[2].. وقيل: هما من الجن.. وقيل: من الإنس.

ويؤيد الرأي الأول: ما روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدى والكلبي، ما معناه: أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام، وذلك في زمن إدريس عليه السلام، عيرتهم الملائكة، فقال الله تعالى: أما أنكم لو كنتم مكانهم. وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعلمتم مثل أعمالهم. فقالوا: سبحانك. ما كان ينبغي لنا ذلك. قال فاختاروا ملكين من خياركم. فاختاروا هاروت وماروت فانزلهما إلى الأرض فركب فيهما الشهوة فما مر بهما شهر حتى فتنا بامرأة اسمها بالنبطية (بيدخت) وبالفارسية (ناهيل) وبالعربية (الزهرة) اختصمت إليهما. وراوداها عن نفسها. فأبت إلا أن يدخلا في دينها. ويشربا الخمر. ويقتلا النفس التي حرم الله. فأجاباها وشربا الخمر وألما بها. فرآهما رجل فقتلاه. وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء. فعلماها. فتكلمت به فعرجت. فمسخت كوكباً. وخُيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فاختاروا عذاب الدنيا. فهما يعذبان ببابل. في سرب من الأرض. وقيل: معلقتان بين السماء والأرض. يعلمان الناس السحر.

قال الفخر الرازي: لهم في الزهرة قولان:

الأول: لما ابتلى الله الملكين بشهوة بني آدم، أمر الله الكوكب الذي يقال له (الزهرة) وفلكها أن اهبطا إلى الأرض فكان ما كان، ثم ارتفعت الزهرة وفلكها إلى موضعهما من السماء، موبخين لهما على ما شاهداه منهما.

الثاني: أن المرأة فاجرة من أهل الأرض وواقعاها وعلّماها الاسم الأعظم وعرجت إلى السماء، ونسخت كوكباً.

---

(١) بفتح الأول والثاني.

(٢) بفتح الأول وكسر الثاني.

وهذه الرواية: يقول عنها الفخر الرازي: فاسدة غير مقبولة لأنه ليس في كتاب الله ما يدل على ذلك. ولأن الأدلة قائمة على عصمة الملائكة، وتخييرهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاسد، والأولى تخييرهم بين التوبة والعذاب. ومن العجب أنهم يعلمون السحر وهم يعذبون. ثم يقول: والسبب في إنزالهما وجوه: كثرت السحرة في ذلك الزمان، وادعوا النبوة وعلم الغيب فبعث الله الملكين ليعلما الناس السحر ليتمكنوا من معارضة مدعي النبوة.

العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر يتوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السحر، فبعث الله الملكين لتعريف ماهية السحر لتظهر حقيقة المعجزة. أن الله بعثهما ليعلموا السحر الذي يفرق بين أعداء الله، ويؤلف بين أوليائه.

أن تحصيل العلم بكل شيء حسن، ولما كان السحر منهياً عنه وجب أن يكون متصوراً كان عند الجن أنواع من السحر لا يعرفها البشر، فلابد أن يتعلمها البشر ليعارضوها.

قد يكون ذلك تشديداً في التكليف، فإذا تعلموه، ثم منعوه، استوجب ذلك الثواب الزائد، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(١)].

فهذه وجوه لا يبعد أن ينزل الله الملكين من أجلها، والله أعلم[(٢)]

ويقول الفخر أيضاً:

اعلم أنه تعالى شرح حالهما {وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر} أي هذا الذي نصفه لك، وإن كان الغرض منه تمييز الفرق بين السحر والمعجز، لكنه يمكنك أن تتوصل به إلى المفاسد والمعاصي، ونحن بعثنا فتنة، ليتميز المطيع من العاصي، فإياك بعد الوقوف عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه[(٣)].

---

(١) سورة البقرة /٢٤٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٣ ص ٢٢٠.

(٣) المصدر السابق.

ويقول القرطبي: هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره: " يشير إلى أن ما روي عن الزهرة صاحبة هاروت وماروت " لا يصح منه شيء، فتدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[3].

وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة، ويخلق فيهم الشهوات، إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم، لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع، ولم يصح.

ومما يدل على عدم صحته: أن الله خلق النجوم وهذه الكواكب – ومنها الزهرة – حين خلق السماء، ففي الخبر (أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة: زحل والمشتري وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر) فثبت بهذا أن الزهرة كانت قبل خلق آدم[4].

ويرجّح القرطبيَ أن "ما" في قوله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ نافية، وليست مفعولة معطوفة على السحر، فتقدير المعنى: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، أي على لسان الملكين جبريل وميكائيل، من أمر السحر شيء، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ وخص هاروت وماروت بالذكر، بعد دخولهما في عموم الشياطين لزيادة تمردهما.

وقال: هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى سواه، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك[5].

---

(١) سورة التحريم /٦/.

(٢) سورة الأنبياء /٢٦ – ٢٧/.

(٣) سورة الأنبياء /٢٠/.

(٤) تفسير القرطبي ج٢ ص ٥٢ ـ ٥٠ بتصرف.

(٥) تفسير القرطبي ج٢ ص ٥٢ ـ ٥٠ بتصرف.

وروى ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفي، في قوله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ يقول: لم ينزل الله السحر.

وأوّلَ ابن جرير الآية كتأويل القرطبي، إلا أنه قال ـ بعد ما ذكر أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر، وأن الله برأ سليمان منه، وأخبر أن السحر من عمل الشيطان ـ قال: إن الذين يعلمونهم ذلك رجلان، هما هاروت وماروت، فهما على هذا التأويل ترجمة عن الناس.

وروى ابن أبي حاتم: أن الآية قرئت { وما أنزل على الملكين داود وسليمان } قال أبو العالية: لم ينزل عليهما السحر، أي أن "ما" نافية هنا أيضاً.

وشرع ابن جرير في رد هذا القول، وأن "ما" بمعنى الذي، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر، اختباراً لعباده، وامتحاناً، بعد أن بَيّن لهم النهي عنه على ألسنة الرسل، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك.

وروى ابن أبي حاتم عن الضحاك: أنهما علجان من أهل بابل، وجعل الإنزال بمعنى الخلق، لا بمعنى الإيحاء، مثل:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾[1].

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾[2].

وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، أنزلهما الله إلى الأرض، وكان من أمرهما ما كان، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، رواه أحمد في مسنده، وقد سبق في علم الله لهما ذلك، فيكون تخصيصاً لهما، فلا تعارض، كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق.

روى الإمام أحمد في مسنده، عن نافع عن ابن عمر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أن آدم لما أهبط إلى الأرض، قالت الملائكة: أي رب:

---

(١) سورة الحديد /٢٥/.

(٢) سورة الزمر /٦/.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، فنظر كيف يعملان، قالوا: ربنا، هاروت وماروت.

فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر.... إلى آخر ما مر ذكره، مع اختلاف في اللفظ وزيادة ونقص. وعن سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الأحبار، به، وإسناده أصح[2]. والآثار الواردة بمثل ذلك عن الصحابة والتابعين كثيرة.

ومن ذلك ما رواه ابن ابي حاتم عن ابن عمر بإسناد جيد، وفيه: أنهما أقرَّا لها بدينها المجوسية واتياها، وصعدا بها إلى السماء بحسب شرطها، وهناك اختطفت منهما، وقطعت أجنحتهما، وسقطا نادمين يبكيان.

وفي الأرض نبي (لعله إدريس) فأتياه ليطلب لهما التوبة، فأجيب بتخييرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا فجعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة بالنار، عاليهما سافلهما. قال ابن كثير[3]: بعد أن ذكر عديداً من الأحاديث والآثار:

وقد رأى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى والحسن وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم. وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين.

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا أطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن الكريم على ما أراد الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال.

وقد ذكر الفخر الرازي[4] أن الحسن والضحاك وابن عباس قرأوا "ملكين" بالكسر، واحتج هؤلاء بوجوده.

---

(١) سورة البقرة / ٣٠.

(٢) يراجع تفسير ابن كثير ج١ ص ١٣٧ – ١٣٨.

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤١.

(٤) تفسير الفخر ج٣ ص ٢١٨ – ٢١٩.

١- لا يليق بالملائكة تعليم السحر.

٢- كيف يجوز إنزال ملكين مع قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾[١].

٣- لو أنزل ملكين فأما أن ينزلا في صورة البشر فيحصل التلبيس على الناس، وأما في صورة الملك، فيقدح في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٢].

وأجاب الفخر: بما تقدم في سبب إنزالهما[٣] وبأن قراءة ملكين (بفتح اللام) متواترة، ونزلا في صورة رجلين، ولم يحصل لبس، كما كان ينزل جبريل في صورة دحية الكلبي[٤].

إنما نحن فتنة!

هذا هو لميثاق الذي أخذه الله على الملكين، عندما أنزلهما بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولا له. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

هذا قول الحسن، وقال قتادة مثله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أن السحر من الكفر، فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا، فإذا أباه عاين الشيطان، فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعاً في السماء فيقول: يا حسرتاه، يا ويله ماذا صنع؟

وعن السدى: إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه وقالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فإذا أبى قالا له: ائت هذا الرماد فبل عليه، فإذا بال عليه خرج منه تنور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء، وذلك غضب الله، فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر (أعاذنا الله منه).

---

(١) سورة الأنعام /٨/.

(٢) سورة الأنعام /٩/.

(٣) قبل ثلاث صفحات.

(٤) يلاحظ أن الآيتين رقم ٣ – ٤ ذكرهما الفخر هكذا، ولكنهما يحتاجان لإعادة ترتيبهما.

تسمية السحر كفراً

من السحر ما هو حرام وكبيرة وليس بكفر ومنه كفر.

فالكفر منه: ما يقوله الفلاسفة والصابئة، وما كان عليه الكلدانيون في بابل من اعتقاد تأثير الكواكب، وتصرفها، وعبادة الناس لها، واتخاذ تماثيل لها.

أما ما كان على سبيل الشعوذة أو استخدام التراكيب الهندسية، أو الاستعانة بخواص الأطعمة أو ما شابه ذلك فليس بكفر.

وقد سمى الله تعالى السحر كفراً في قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ بقول السحر، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ به وبتعليمه.

فالمراد نفي السحر عن سليمان وإثباته للشياطين، ويكون المراد منه: السحر بمكفر، وهو الشائع في بابل، وحرص عليه اليهود، وعلمته الشياطين للناس بقصد إضلالهم.

ومن هذا ما قيل: لا يجترئ على السحر إلا كافر (عن ابن جريج)[١] وسيأتي تفصيل القول في "حكم الساحر" إن شاء الله.

ماذا يتعلم الساحر؟

يقول تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ هل هذا كل ما يتعلمون؟ فلا يقدرون على شيء سواه؟

قال القرطبي: ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الساحر ليس يقدر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفرقة بين المرء وزوجه، لأن الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر، والغاية في تعلمه، فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره[٢].

أو يتعلمون فنوناً كثيرة، أقواها هو ما يستطيعون به التفريق بين المرء وزوجه؟ فالعلاقة بين الزوجين أقوى العلاقات ثبوتاً واستقراراً، وهي قائمة على السكن والمودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣].

فإذا استطاع الساحر - تلميذ الشيطان - أن يفعل ذلك يكون قد أتى الأمر العظيم والدرجة العليا التي ينال بها تقدير الأب الأكبر عنده (إبليس اللعين).

---

(١) يراجع تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٣.

(٢) تفسير القرطبي ج٢ ص ٥٥.

(٣) سورة الروم /٢١/.

روى مسلم في صحيحه عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إن الشيطان ليضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: مازلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيقر به ويدينه ويلتزمه ويقول: نعم أنت[1].

قال الفخر الرازي[2]: لم يذكر الله تعالى ذلك لأن الذي يتعلمون ليس إلا هذا القدر، لكن ذكر هذه الصورة تنبيهاً على سائر الصور، فإن استكانة المرء إلى زوجته وركونه إليها معروف زائد على كل مودة، فنبه الله تعالى بذكر ذلك على أن السحر إذا أمكن به هذا الأمر على شدته فغيره به أولى.

ضرر السحر بإذن الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ تحدثت الآية الكريمة عن ضررين يقعان بسبب السحر. نوع يقع على الساحر ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وسيأتي. ونوع يقع على المسحور ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فسرها سفيان الثوري: إلا بقضاء الله. وقال محمد بن اسحق: إلا بتخلية الله بينه وبين ما أراد. وقال الحسن البصري: من شاء الله سلطهم عليه ومن لم يشأ لم يسلط[3].

وقال القرطبي[4]: ما هم: إشارة إلى السحرة، وقيل: اليهود، وقيل: الشياطين وإذن الله: إرادته وقضاؤه، لا أمره، لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء. وقال الزجاج: إلا بعلم الله. وقال النحاس: بعلم الله: غلط، لأنه يقال في العلم، إذن " بفتح الأول والثاني " ولكن، لما لم يحل فيما بينهم وبينه وظلوا يفعلونه كان كأنه أباحه مجازاً. أما الفخر الرازي فقد جمع كل ذلك فقال[5]:

اعلم أن الإذن حقيقة في الأمر، والله لا يأمر بالسحر، ولأنه تعالى أراد عيبهم وذمهم ولو كان قد أمرهم به لما ذمهم، فلابد من التأويل، وفيه وجوه:

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٢.

(٢) تفسير الفخر ج٣ ص ٢٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٢.

(٤) تفسير القرطبي ج٢ ص ٥٥.

(٥) تفسير الفخر ج٣ ص ٢٢١.

أحدهما: قال الحسن: المراد منه التخلية يعني الساحر إذا سحر إنساناً، فإن شاء الله منعه، وإن شاء خلى بينه وبين ضرر السحر.

وثانيهما: قال الأصم: المراد: إلا بعلم الله، وقد سمى الأذن أذاناً لأنه إعلام للناس، وسمى أذناً لأن بالحاسة القائمة به يدرك الإذن، ومنه:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١].

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[٢] يعني أعلمتكم.

وثالثها: أن الضرر الحاصل عند فعل السحر إنما يحصل بخلق الله، وإيجاده، فيصح أن يضاف إلى إذن الله، كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣].

ورابعها: أن يكون المراد بالإذن الأمر، بأن يفسر التفريق بين المرء وزوجه، بأن يصير كافراً، والكفر يقتضي التفريق، فإن هذا حكم شرعي، ولا يكون الحكم إلا بأمر الله.

السحر يضر الساحر:

أما الضرر الذي يقع على الساحر، فقد ذكره الله تعالى في قوله ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾.

قال ابن كثير[٤]: يضرهم في دينهم، وليس لهم نفع يوازي ضرره، وليس لهم خلاق في الآخرة، أي نصيب، كما قال ابن عباس ومجاهد والسدى.

وقال قتادة: من جهة عند الله. وعن الحسن: ليس له دين. وعن قتادة: عهد الله إلى أهل الكتاب أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، ولقد علموا ذلك.

والقرطبي: يفسرها: بأن السحر يضرّ الساحر في الآخرة وإن أخذ به نفعاً قليلاً في الدنيا.

---

(١) سورة براءة /٣/.

(٢) سورة الأنبياء /١٠٩/.

(٣) سورة النحل /٤٠/.

(٤) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٣ بتصرف.

وقيل: يضرهم في الدنيا، لأن الساحر إذا عثر عليه يؤدب ويزجر ويلحقه شؤم السحر[1].

وقال الفخر الرازي: ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة ـ والشراء هو مبادلة ـ لوجوده:

أحدها: لأنهم نبذوا كتاب الله، وأقبلوا على ما تلته الشياطين من السحر، فهذه مبادلة.

الثاني: قصد المكان بتعليم السحر الاحتراز عنه، ليصل بذلك الاحتراز إلى منافع الآخرة، فلما استعمل السحر، فكأنه باع منافع الآخرة، واشترى بها منافع الدنيا.

الثالث: لما استعمل السحر تكلف مشقة شديدة ليتمكن من هذا الاستعمال، فكأنه اشترى قدرته على هذا الاستعمال بالمحن والمشقات التي تحملها. ثم قال[2]: أثبت الله لهم العلم ثم نفاه عنهم، في قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا ...... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

فكيف ذلك؟ والجواب من وجوه:

أحدها: الذين علموا غير الذين لم يعلموا، فالذين علموا: هم الذين علموا السحر ودعوا الناس إلى تعلمه، وهم المقول فيهم " نبذ السحر فهم الذين لا يعلمون، هذا جواب الأخفش وقطرب.

ثانيها: هم واحد، علموا شيئاً، وهو: أنهم ليس لهم في الآخرة خلاق، وجهلوا ولم يعلموا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة.

ثالثها: القوم واحد، والمعلوم واحد، ولكنهم لم ينتفعوا بعلمهم، بل أعرضوا عنه، فصار ذلك العلم كالعدم، كما سمى الله الكفار: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[3] إذ لم ينتفعوا بهذه الحواس.

الخير في الإيمان والتمسك بكلام الله.

ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي ج٢ ص ٥٥- ٥٦ بتصرف.

(٢) تفسير الفخر ج٣ ص ٢٢٢ بتصرف.

(٣) سورة البقرة /١٨، ١٧١.

الضمير عائد إلى اليهود، الذين نبذوا كتاب الله، واتبعوا ما تتلو الشياطين، ولما بين الله فيهم الوعيد بقوله ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أتبعه بالوعد، جامعاً بين الترهيب والترغيب، لأن الجمع بينهما أدعى إلى قبول الطاعة، والعدول عن المعصية، وكان ذلك منه تعالى كرماً بعباده ورحمة بهم. فالمطلوب منهم – إن أرادوا الخير لأنفسهم أن يؤمنوا بما نبذوه، سواء كان هذا الذي نبذوه هو القرآن الكريم أو التوراة التي بشرت به، أو هما معاً كما تقدم، وأن يتركوا ما اتبعوه مما تلته شياطين الجن أو الإنس افتراء على ملك سليمان، وتعليمهم الناس السحر، الذي تحقق ضرره بالمسحور ثم بالساحر في الدنيا والآخرة. إنهم إن فعلوا ذلك: أثيبوا ثواباً عظيماً من عند الله، وشتان بين ما ينتفع به الساحر في الدنيا، وبين فضل الله وثوابه في الدنيا والآخرة، فما عند الله خير وأبقى. فهل يعلمون؟ ومتى يتعقلون؟

السحر وأنواعه:

قال الراغب: السحر يطلق على معان:

أحدها: ما لطف ودق، ومنه سحرت الصبي: خادعته واستملته، وكل من استمال شيئاً فقد سحره، ومنه سحر العيون لاستمالتها النفوس، وقولهم الطبيعة ساحرة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[1] ومنه حديث (أن من البيان لسحراً).

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، وذلك كالإشارة بقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[3] ومن هناك سموا موسى عليه السلام ساحراً.

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ......﴾.

الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم، وقد يجمع بعضهم بين الآخرين[4].

---

(١) سورة الحجر /١٥/.

(٢) سورة طه /٦٦/.

(٣) سورة الأعراف /١١٦/.

(٤) مقدمة ابن خلدون (بولاق) ص٤١٤ وما بعدها.

وقال أبو بكر الرازي في الأحكام[1]: كان أهل بابل قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة السيارة، ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا أوثاناً على أسمائها ويتقربون إليها، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام.

وكان السحرة منهم يستعملون كل أنواع السحر، وينسبونها إلى فعل الكواكب، لئلا يبحث عنها، وينكشف تمويههم.

والسحر قد يطلق ويراد به الآلة، وهي قد تكون من المعاني كالرقى والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور، وتارة يجمع الأمرين[2].

وذكر الرازي في تفسيره[3]: أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع... ثم قال: أعلم أن السحر على أقسام:

١- **سحر الكلدانيين:** كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها المدبرة، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام – فهم أهل بابل – وقد استقصى الرازي في " كتاب السر المكتوب في مخاطبة الشمس والنجوم " المنسوب إليه، ويقال: أنه تاب منه، وقيل: بل صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد – وذكر فيه طريقهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يفعلون، ويتنسكون به.

٢- **سحر أصحاب الأوهام والنفوس القويّة:** فللهمم والنفوس القوية أثر كبير وللوهم تأثير بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر أو الجذع الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر ونحوه.

٣- **الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن:** خلافاً للفلاسفة والمعتزلة الذين ينكرون وجود الجن، واتصال النفوس الناطقة بالأرواح الأرضية أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية لما بينها من المناسبة والقرب، والاتصال بها يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد، وهذا هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

---

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٢٢٢ بتصرف.

(٢) ج٣ ص ٢٠٦- ٢١٣ مع تصرف واختصار.

(٣) ج٣ ص ٢٠٦- ٢١٣ مع تصرف واختصار.

٤- **تخيلات وأخذ بالعيون وشعبذة:** ويكون بصرف البصر والخاطر عما يفعله المشعوذ، وقال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون كان من هذا النوع.

٥- **الأعمال العجيبة:** التي تظهر من آلات مركبة على النسب الهندسية، كالصور التي يصورها الروم والهند، ولها وجوه ضاحكة وباكية، وكان سحرة فرعون من هذا القبيل، فقد قيل أنهم عمدوا إلى الحبال والعصي فحشوها زئبقاً، فصارت تتلوى بتأثير حرارة الشمس في الزئبق.

٦- **الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهانات:** كأن يجعل في طعامه بعض الأدوية المزيلة للعقل، والدخن المسكرة وذلك كأثر المغناطيس.

٧- **تعليق القلب:** بأن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه، فإذا كان السامع ضعيف العقل اعتقد أنه حق، وتعلق به قلبه، وحصل في نفسه نوع من الرعب، فيؤثر فيه الساحر بسهولة.

٨- **السعي بالنميمة والتقريب من وجوه خفيفة لطيفة:** وقال القرطبي[١]: السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، وكواكب السفينة يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال تسير معه.

السحر حق:

اختلف العلماء عل للسحر حقيقة أم لا؟ فقد نقل ابن كثير[٢]: أن الوزير ابن هبيرة ذكر في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) باباً في السحر، فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة، فإنه قال: لا حقيقة له عنده،.

ونقل القرطبي[٣]: أن الغزنوي الحنفي ذكر في (عيون المعاني) له: أن السحر عند المعتزلة لا أصل له، وعند الشافعي وسوسة وأمراض، وعندنا أصله طلسم يبني على تأثيرات خصائص الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق عصى فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر.

قال القرطبي[٤]: وعندنا أنه حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما شاء.

---

(١) ويراجع أيضاً تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٤ إلى ص ١٤٧.
(٢) تفسير القرطبي ج٢ ص ٤٣.
(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٧.
(٤) كان القرطبي مالكياً .

وقال: ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة، وأبو اسحق الاسترابادي من أصحاب الشافعي، إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل، وإيهام لكون الشيء على غير ما هو عليه، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[1] ولم يقل تسعى على الحقيقة.

ولكن قال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ وقال أيضاً: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[2] وهذا لا حجة فيه، لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل. وورد بها السمع، ومن ذلك ما جاء في الآية ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ..... ﴾ من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليماً، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمون الناس، فدل على أن له حقيقة وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[3] وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما خرجه البخاري ومسلم، وفيه: أن الله شفاني، والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل على أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بأخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد.

قال: وهم الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة[4].

ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان، وتكلم الناس فيه، ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله. وروى سفيان عن ابن عباس: علم السحر في قرية من قرى مصر يقال لها (الفرما)[5] فمن كذب به فهو كافر[6]. وقال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة. وقيل: هو تخييل فقط، ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي

---

(١) سورة طه /٦٦/.

(٢) سورة الأعراف /١١٦/.

(٣) سورة الأعراف /١١٦/.

(٤) وصف المعتزلة بالحثالة يدلُّ على بؤس الواصف وتعصبه الذميم، وكنت أود أن تتنزه عن ذلك أقلام كتابنا ومؤلفينا فهذا ما لا يتناسب مع أخلاق العلم والعلماء، بل هو ما كان يُغري العامة والدهماء على المبالغة في العداوات والحزازات المذهبية، ومايزال عمله حتى اليوم (الموسم).

(٥) تفسير الحديث عن الفرما تحت عنوان خاص.

(٦) تفسير القرطبي ج٢ ص ٤٦.

جعفر الاسترابادي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري، وطائفة[١]. قال ابن حجر[٢]: ومحل النزاع: هل يقع بالسحر انقلاب عين أولاً[٣]؟ فمن قال أنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال أن له حقيقة اختلفوا، هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض أو ينتهي إلى الإحالة؟ بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه، فالذي عليه الجمهور الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني. ونقل الخطابي: أن قوماً أنكروا السحر مطلقاً، وكأنه على القائلين بأنه تخييل فقط، وإلا فهي مكابرة. وقال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة وهو مردود، لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام[٤].

والفخر الرازي[٥]: هل كل أنواع السحر ممكنة أولاً؟ أما المعتزلة فقد اتفقوا على إنكارها - إلا النوع المنسوب إلى التخيل، والمنسوب إلى إطعام بعض الأدوية المبلدة، والمنسوب إلى التقريب والنميمة، فأما الأقسام الخمسة الأخرى فقد أنكروها، ولعلهم كفّروا من قال بها وجوز وجودها، واحتجوا على إنكاره بوجوده:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٦].

وثانيها: قوله تعالى في وصف محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[٧]. ولو صار عليه السلام مسحوراً لما استحقوا الذم بسبب هذا القول.

وثالثها: لو جاز ذلك من السحر فكيف يتميز المعجز عن السحر؟

ثم قالوا: هذه الدلائل يقينية، وما ذكره أهل السنة من باب الاتحاد، فلا تصلح معارضة لهذه الدلائل. وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في

---

(١) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٢.

(٢) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٢.

(٣) أي تحول مادة الشيء إلى غيرها، مجلة الأزهر.

(٤) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٢.

(٥) تفسير الفخر ج٣ ص ٢١٣- ٢١٤.

(٦) سورة طه /٦٩/.

(٧) سورة الإسراء /٤٧/.

الهواء، ويقلب الإنسان حماراً إلا أنهم قالوا: إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة، فأما أن يكون المؤثر في ذلك الفلك أو النجوم فلا، واستدل أصحابنا على وقوع السحر بالقرآن والخبر.

أما القرآن فقوله تعالى ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ والاستثناء يدل على حصول الآثار بسببه. وأما الأخبار: فما روى من أنه عليه السلام سحر، وأن السحر عمل فيه، وأن امرأة يهودية سحرته، فلما استخرج ذلك زال عنه ما كان يعرض له من أنه يخيل إليه أنه يقول الشيء أو يفعله، ولم يقله ولم يفعله، وأنزل المعوذتان بسببه.

وأتت امرأة عائشة رضي الله عنها فقالت لها: أني ساحرة، فهل لي من توبة؟ فقالت: وما سحرك؟ قالت: صرت إلى الموضع الذي فيه هاروت وماروت ببابل لطلب علم السحر فقالا لي: يا أمة الله: لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا، فأبيت فقالا لي: اذهبي فبولي على هذا الرماد، فذهبت لأبول عليه ففكرت في نفسي، فقلت: لا أفعل، وجئت إليهما، فقلت: قد فعلت، فقالا لي: ما رأيت؟ لما فعلت، فقلت: ما رأيت شيئاً، فقالا لي: أنت على رأس أمر، فاتقي الله ولا تفعلي، فأبيت فقالا لي: اذهبي فافعلي، فذهبت ففعلت، فرأيت كأن فارساً مقنعاً بالحديد قد خرج من فرجي فصعد إلى السماء، فجئتهما فأخبرتهما فقالا: إيمانك قد خرج عنك، وقد أحسنت السحر، فقلت وما هو؟ قالا: ما تريدين شيئاً فتصوريه في وهمك إلا كان، فصورت في نفسي حباً من حنطة فإذا أنا بحب، فقلت أنزرع فانزرع، فخرج من ساعته سنبلاً، فقلت انطحن فاطحن من ساعته، فقلت: إنخبز فانخبز، وأنا لا أريد شيئاً أصوره في نفسي إلا حصل، فقالت عائشة: ليس لك توبة. وما يذكرونه من الحكايات في هذا الباب كثيرة ومشهورة.

سحر الكلام:

سمى رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم الفصاحة في الكلام واللسانة فيه سحراً.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[1] أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن من البيان لسحراً، أو إن بعض البيان سحر.

فسحر الكلام إذا خلب القلب وغلب على النفس واستمالها. والذي يشبه بالسحر من الكلام هو المذموم الذي يصرف إلى الباطل ويصوبه حتى يتوهم السامع أنه حق.

---

(١) البخاري كتاب /٧٦/ باب ٥١ – ومالك وغيرهما.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض) وقوله (أن أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون)، فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم بيانه فيذهب بالحق وهو عليه، فالكلام محمول على الذم.

ويمكن حمله على المدح للبلاغة، والتفضيل للبيان، إذا كان في تزيين الحق، ويسمى سحراً، لأن السحر يطلق على الاستمالة[1].

سحر الدنيا:

هو محبتها والتلذذ بشهوتها، والتمني بأمانيها الكاذبة، حتى تأخذ بالقلب. والدنيا تسحرنا بالخدع، وتكتمنا فتنتها وتدعونا إلى التحارص عليها والتنافس فيها.

والجمع لها، والمنع، حتى تفرق بيننا وبين طاعة الله، وتفرق بيننا وبين رؤية الحق ورعايته، وتأخذ بالقلب عن الله، وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده.

فلهذا جعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسحر من هاروت وماروت فقال: (اتقوا الدنيا فو الذي نفسي بيده أنها لأسحر من هاروت وماروت)[2].

حكم السحر:

لاشك أنه من كبائر المعاصي. فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات[3].

وقد مال البخاري إلى اختيار الحكم بكفر الساحر، حيث أورد الآية ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ في أول باب السحر. وقال في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر، فيكون العمل به كفراً. وهذا كله واضح على ما قررته من العمل ببعض أنواعه[4].

---

(١) تفسير القرطبي ج٢ ص ٤٥ وفتح الباري ١٠ ص ٢٣٧.

(٢) تفسير القرطبي ج٢ ص٥٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب الوصايا – باب ٢٣، وانظر فتح الباري ج٥ ص ٣٩٣.

(٤) انظر فتح الباري ج١٠ ص٢٢٥.

وقال ابن حجر: وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها، وهو التعبد بالكواكب أو بالشياطين، أما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً.

قال النووي عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما يكون معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، وتقبل توبته إذا تاب، وإذا لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزر واستتيب.

وعن مالك: الساحر كافر، يقتل بالسحر ولا يستتاب كالزنديق.

قال عياض: وبقول مالك قال أحمد وجماعة من الصحابة والتابعين[1] وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين:

١- لتمييز ما فيه كفر من غيره.

٢- لإزالته عمن وقع فيه.

فأما الأول: فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد، فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعاً، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان، لأن كيفية ما يعلمه الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به.

فأما الثاني: فإن كان لا يتم، كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور[2].

وسيأتي مزيد لذلك في الكلام عن النشرة واستخراج السحر، وأخرج الترمذي من حديث جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربه بالسيف»، وفي سنده ضعف.

ومن رواية بجالة: أن عمر رضي عنه كتب إليه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.

وزاد عبد الرزاق عن بجالة: «فقتلن ثلاث سواحر» وأخرج البخاري أصل الحديث دون قتل السواحر[3].

وعن أحمد، عن بجالة: قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، فأتانا كتاب عمر، قبل موته بسنة، أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال

---

(١) انظر فتح الباري ج١٠ ص٢٢٥.

(٢) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) فتح الباري ج١٠ ص٢٣٦.

سفيان: وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، ونهوهم عن الزمزمة، فقتلنا ثلاث سواحر[1].

قال ابن بطال: لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهري إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو أبي حنيفة والشافعي.

وعن مالك: أن أدخل بسحره ضرراً على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله.

وإنما لم يقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبيد بن الأعصم، لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ولأنه خشي إذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار وهو من نمط من راعاه من ترك قتل المنافقين، سواء كان لبيد يهودياً أو منافقاً، على ما ورد من الاختلاف فيه[2].

قال القرطبي[3]: اختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذمي.

فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته، لأنه أمراً يستسر به كالزنديق والزاني، ولأن الله سمى السحر كفراً ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وهو قول أحمد، وأبي ثور، وإسحاق والشافعي، وأبي حنيفة وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد، وسبعة من التابعين.

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حد الساحر ضربه بالسيف»، وقد تقدم من حديث جندب، وخرجه الترمذي، وليس بالقوي، فقد انفرد به مرفوعاً: إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب، وهو ضعيف عندهم، ورواه الطبراني من وجه آخر مرفوعاً، والصحيح أنه موقوف.

قال بن المنذر: فقد روينا عن عائشة أنها باعت ساحرة كانت سحرتها، وجعلت ثمنها في الرقاب.

وقال: إذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفراً، وكذا لو ثبت ببينة وجب قتله إن لم يتب.

فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص، اقتص منه إن تعمد، وإلا ففيه دية ذلك.

---

(١) مسند بن حنبل ج١ ص١٩٠.

(٢) فتح الباري ج١٠ ص٢٣٦.

(٣) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٧ وما بعدها.

وقال أيضاً: إذا اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسألة وجب إتباع أشبههم بالكتاب والسنة، وقد يجوز أن يكون السحر الذي أمر من أمر منهم بقتل الساحر سحراً يكون كفراً، فيكون ذلك موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن تكون عائشة رضي الله عنها أمرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفراً.

ولو صح حديث جندب – المذكور – احتمل أن يكون أمر بقتل الساحر الذي يكون سحره كفراً، فيكون ذلك موافقاً للأخبار التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال: لا يحل دم امرأ مسلم إلا بإحدى ثلاث (النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة).

قال القرطبي: وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظوراً لا تستباح إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف، والله تعالى أعلم. وقال بعض العلماء: إن قال أهل الصناعة أن السحر لا يتم إلا مع الكفر أو تعظيم الشيطان فالسحر إذا دال على الكفر على هذا التقدير.

وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ويقول: تعمدت القتل، وإن قال لم أتعمده لم يقتل وكانت فيه الدية كقتل الخطأ وإن أضرّبه أدّب على قدر الضرر.

قال ابن العربي: هذا باطل من وجهين:

١- أنه لم يعلم السحر، وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب إليه المقادير والكائنات.

٢- أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ بقول السحر ولكن الشياطين كفروا به وبتعليمه، وهاروت وماروت يقولان ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وهذا تأكيد للبيان.

وقال القرطبي في ساحر الذمة: قيل يقتل وقال مالك: لا يقتل إلا إذا قتل بسحره، فإذا لم يقتل يعاقب[1] وقال غيره: يقتل لأنه نقض العهد.

وأما الحربي: فيقتل إلا إذا تاب.

وقال مالك في المرأة تعقد زوجها عن نفسها أو عن غيرها: تنكل ولا تقتل كلام القرطبي بتصرف.

---

(١) تقدم قريباً أن ابن بطال نسب إلى مالك قوله بقتل الذمي إذا أحدث ضرراً بمسلم لنقضه العهد.

وحكم المرأة إذا سحرت حكم الرجل إلا عند أبي حنيفة، فإنها لا تقتل، ولكن تحبس.

ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه ليتقيه أو ليتجنَّبه فلا يكفر، ومن اعتقده جائزاً أو أنه ينفع كفر.

وقال الشافعي: إذا تعلم السحر، فقلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر.

مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن لا يوجب الكفر واعتقد إباحته فهو كافر[1].

قال الفخر الرازي[2]: العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً كيف يكون حراماً؟ وعارضه ابن كثير فقال: هذا الكلام فيه نظر من وجوه:

١- قوله: ليس بقبيح، إن عنى به ليس بقبيح عقلاً فمخالفوه من المعتزلة يقبحونه، وإن عنى ليس بقبيح شرعاً ففي هذه الآية تبشيع السحر ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾، وفي الصحيح (من أتى عرّافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد)، وفي السنن (من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر).

٢- قوله: اتفق المحققون على أنه غير محظور، وكيف لا يكون محظوراً مع وجود الآية والحديث، واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم، فأين نصوصهم؟

٣- وإدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[3] فيه نظر: لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي – ولم قلت أن هذا منه؟ ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به؟ هذا ضعيف بل فاسد، لأن أعظم معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم هي القرآن الكريم، لا

---

(١) يراجع ابن كثير ج١ ص١٤٧.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٣ ص٢١٤.

(٣) سورة الزمر /٩/.

يتوقف العلم بأنه معجز عن تعلم السحر أصلاً[١]- ثم إن من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه.

النُشرة وحل السحر عن المسحور:

أجاز ذلك سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري، وإليه مال المزني، وكرهه الحسن البصري، وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة[٢] فقال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يحسوا منه ثلاث حسوات، ويغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيد للرجل إذ حبس عن أهله[٣].

قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب - أو يؤخذ عن امرأته - أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينهى عنه[٤].

ورجح ذلك البخاري بإيراده في صدر الباب.

وفي لفظ عن قتادة: يلتمس من يداويه؟ فقال: إنما نهى الله عما يضر ولم ينهى عما ينفع.

وأخرجه الطبري بلفظ آخر، في التهذيب.

وقال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك ويقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب إنما نهى الله عما يضر ولم ينهى عما ينفع.

وأخرج أبو داود في المراسيل عن الحسن رفعه: النشرة من عمل الشيطان.

ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر.

وقال ابن الجوزي: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر.

وسئل أحمد: عمن يطلق السحر عن المسحور؟ فقال: لابأس به، وهذا هو المعتد.

ويجاب عن الحديث والأثر (النشرة من عمل الشيطان) أنه إشارة إلى أصلها، ويختلف الحكم بالقصد، فمن قصد بها خيراً كان خيراً وإلا فهو شر.

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٤- ١٤٥.

(٢) النشرة: ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من به مس من الجن فينشر عنه أي يكشف ويزال.

(٣) تفسير القرطبي ج٢ ص ٤٩- ٥٠.

(٤) أورد البخاري في باب هل يستخرج السحر ٤٩ كتاب الطب.

ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره، لأنه قد ينحل بالرقي والأدعية والتعويذ فيحتمل أن يكون النشرة نوعين[1] فأهل الإباحة أكثر ورأيهم أقرب وأرجح.

ويوافق رأي سعيد بن المسيب ما ورد في باب الرقية من حديث جابر عند مسلم مرفوعاً (من استطاع أن ينفع أخاه المسلم فليفعل). ويؤيد مشروعية النشرة[2] ما ذكر في حديث (العين حق) في قصة اغتسال العائن "عامر بن ربيعة " بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فراح سهل بن حنيف مع الناس ليس به بأس (وهو الذي أصابته عين عامر بن ربيعة).

وقد أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبي قال: لا بأس بالنشرة العربية التي إذا وطئت لا تضره وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل ثم يدقه ويقرأ عليه ثم يغتسل به.

وفي كتاب الطب النبوي لجعفر المستغفري قال: وجدت في خط نصوح بن واصل على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخاري، قال: قتادة لسعيد بن المسيب، رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل له أن ينشر؟ قال: لا بأس، إنما يريد به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينهى عنه، قال نصوح: فسألني حماد بن شاكر ما الحل؟ وما النشرة؟ فلم أعرفهما، فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها، فإن المبتلي بذلك، يأخذ حزمة قضبان وفأساً ذات قطارين فيضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة، حتى إذا ما حمي الفأس، استخرجه من النار وبال على حره فإنه يبرأ بإذن الله، وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المغارة وورد البساتين، ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماء عذباً، ثم يغلي ذلك الورد في الماء غلياً يسيراً، ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أضافه عليه فإنه يبرأ بإذن الله، قال حاشد (من رواة الصحيح عن البخاري) تعلمت هاتين الفائدتين من الشام.

واثر قتادة المذكور: علقه البخاري، وصله الطبري في تفسيره[3].

وفي حديث زيد بن أرقم، عن سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وفيه، أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام كأنما نشط من عقال).

---

(١) فتح الباري ج١ ص ٢٣٣.

(٢) فتح الباري ج١ ص ٢٠٤.

(٣) يراجع فتح الباري ج١ ص ٢٣٣- ٢٣٤.

وفي رواية عمرة عن عائشة (فنزل جبريل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً ثم يجد بعدها راحة). وفي حديث ابن عباس نحو ما تقدم[١].

قال ابن كثير[٢] أنفع ما يستعمل لإظهار السحر: ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في إذهاب ذلك وهما المعوذتان، وفي الحديث (لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما) وكذلك قراءة الكرسي، فإنها مطردة للشيطان. وقال ابن القيم[٣]: أنفع الأدوية، مقاومة السحر الذي هو تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة، فامتلاء القلب بالله وبذكره من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر، فسلطان السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا: غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال – ويعكر عليه، سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عظيم مقامه – ويمكن الجواب: بأن ما ذكره ابن القيم محمول على الغالب، وما وقع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لبين الجواز.

العجوة دواء للسحر:

روى البخاري[٤] سمعت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر.

قال ابن حجر[٥] ولم أقف في شيء من طرق الحديث على حكم من تناول ذلك في أول الليل، هل يُكون كمن تناوله أول النهار؟ حتى يندفع عنه ضرر السم والسحر إلى الصباح، والذي يظهر خصوصية ذلك بالتناول أول النهار، لأنه يقع غالباً على الريق، فيحتمل أن يلحق به من تناول أول الليل على الريق كالصائم، والظاهر المواظبة على ذلك.

قال الخطابي: كون العجوة تنفع من السم والسحر، إنما هو ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتمر المدينة، قال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد نخلاً خاصاً بالمدينة.

---

(١) فتح الباري ج١٠ ص ٢٣٠.
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٤٨.
(٣) فتح الباري ج١ ص ٢٣٥.
(٤) كتاب الطب باب ٥٢.
(٥) يراجع فتح الباوي ج١ ص ٢٣٩- ٢٤٠.

وقال عياض «عجوة العالية قد خصت بذلك كما وجد الشفاء لبعض الأدواء في الأدوية التي تكون في بعض البلاد دون ذلك الجنس من غيره، لتأثير يكون في ذلك من الأرض أو الهواء».

والقرطبي يرى ذلك أيضاً. وخصوصية هذا العدد وردت في مواطن كثيرة من الطب وذلك لخاصية لا يعلمها إلا الله.

خاتمـــة

لا ريب أن هذه الآية الكريمة (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) نزلت في ذم اليهود وتقبيح حالهم، وبيان انحراف سلوكهم لكنها مع ذلك تفيد أموراً أخرى منها:

١- وجوب التمسك بكتاب الله تعالى وعدم نبذه إلى غيره.
٢- السحر من عمل الشيطان، ويعلمه لأتباعه.
٣- السحر قديم، ومعروف، وله حقيقة.
٤- لم ينزل الله السحر على لسان جبريل وميكائيل ولا غيرهما.
٥- هاروت وماروت كانا ملكين – على الأرجح – أنزلا للفتنة.
٦- لم يكن سليمان عليه السلام ساحراً.
٧- الساحر كافر ما أتى بمكفر، وإلا فالسحر كبيرة.
٨- يقتل الساحر – على الأرجح – سواء قتل بسحره أو لم يقتل.
٩- النافع والضار هو الله، والسحر لا يؤثر بنفسه.
١٠- السحر يضر بالمسحور في الدنيا، وبالساحر دنيا وأخرى.
١١- لا بأس في علاج المسحور.
١٢- مبادئ الإيمان هي أنني تحقق الثواب عند الله.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

- المصحف الشريف.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المكتبة الشعبية.
- تفسير فتح القدير للشوكاني، طبع دار الفكر.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، عن طبع دار الكتب المصرية.
- التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الكتب العلمية طهران.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.
- مفتاح كنوز السنه محمد فؤاد عبد الباقي.
- فتح الباري شرح البخاري، لابن حجر المطبعة السلفية.
- صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الشعب.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي، بيروت. معجم البلدان، ياقوت الحموي طبع بيروت /١٩٥٧/م.

صور الكوكبات الرئيسية المعروفة قديماً

كما ظهرت في كتاب
«صور الكواكب الثمانية والأربعين»

تأليف
أبي الحسين عبد الرحمان بن عمر الرازي
المتوفى (٣٧٦هـ /٩٨٦م)
المعروف بالصوفي

SAGGITARIUS

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

صورة الرامي على ما ترى في الكرة

الشمال

يسمى الوضع الثاني تحت

القلادة البلدة

ركبة الرامي

عرقوب الرامي

الجنوب

OPHIUCHUS AND SERPENS

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

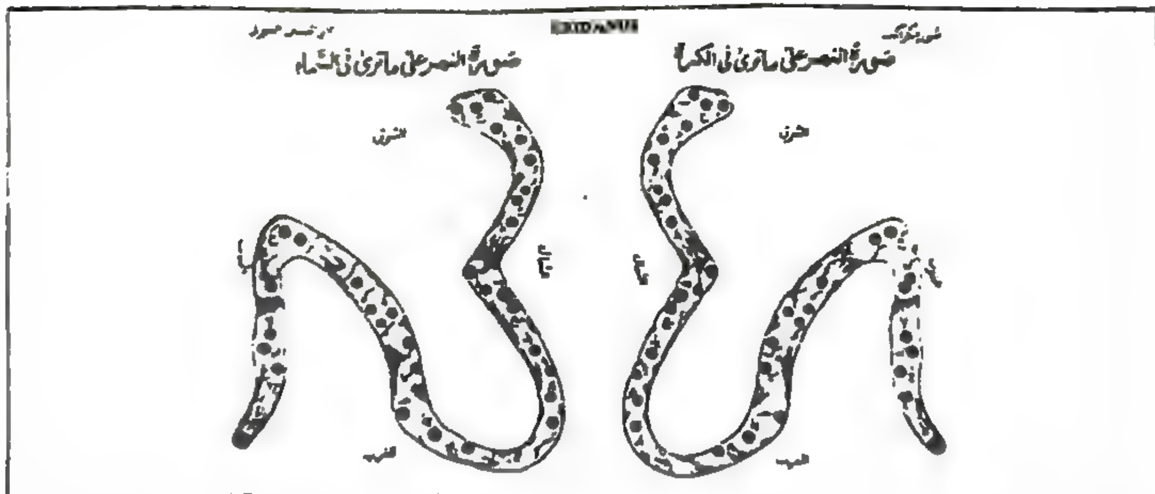
صورة الحوا والحية على ما ترى في السماء

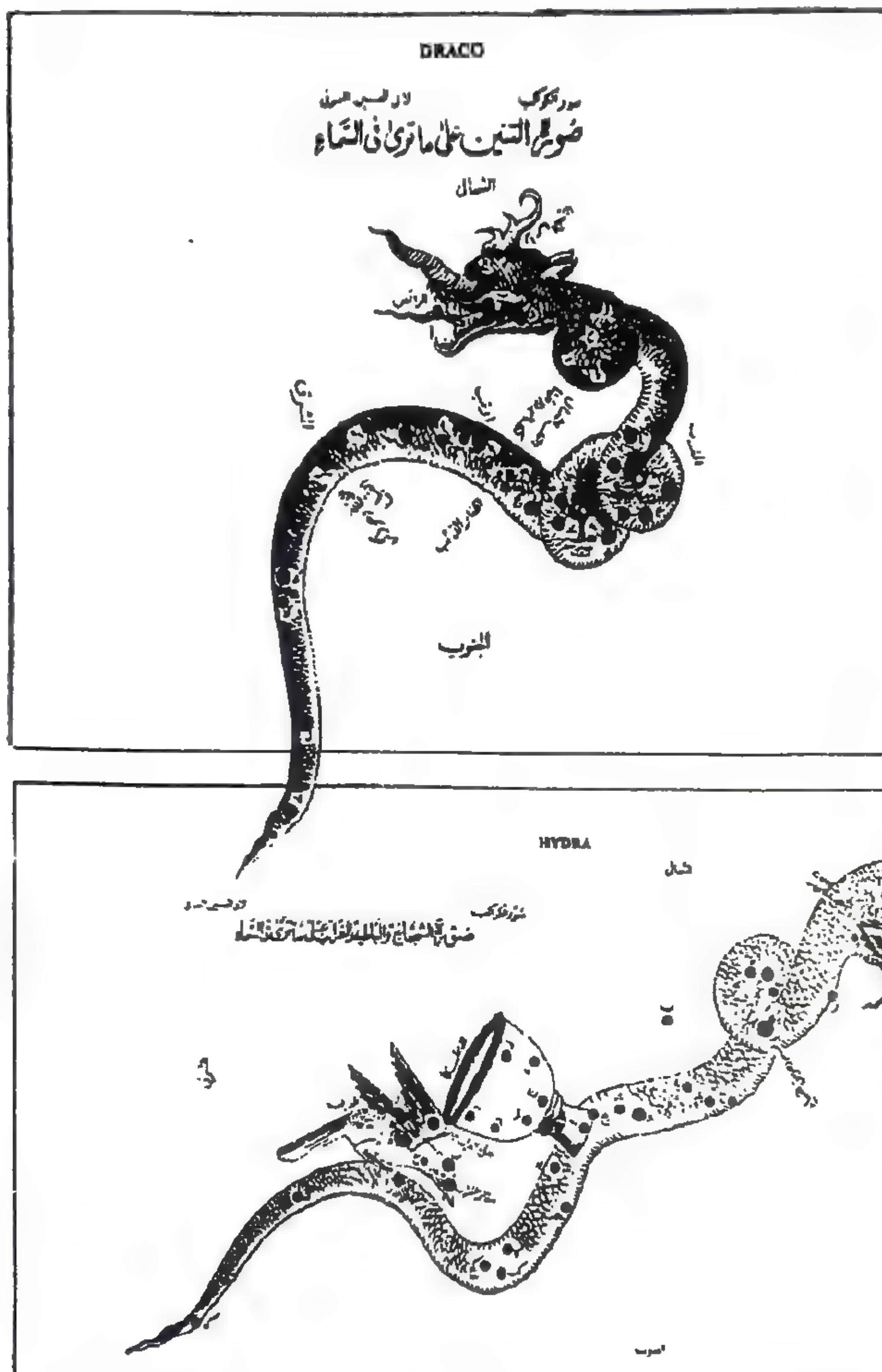
الشمال

المشرق

المغرب

الجنوب

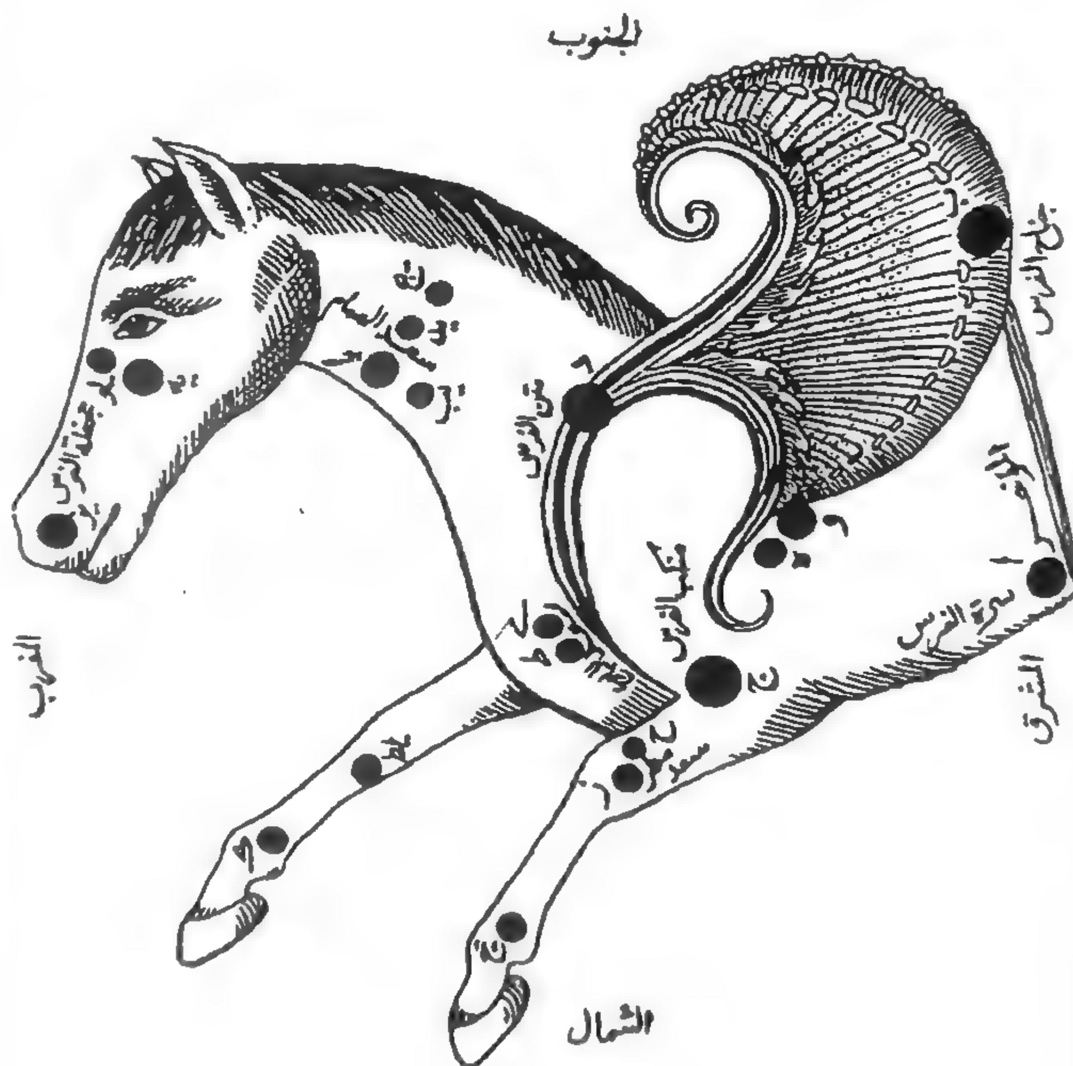


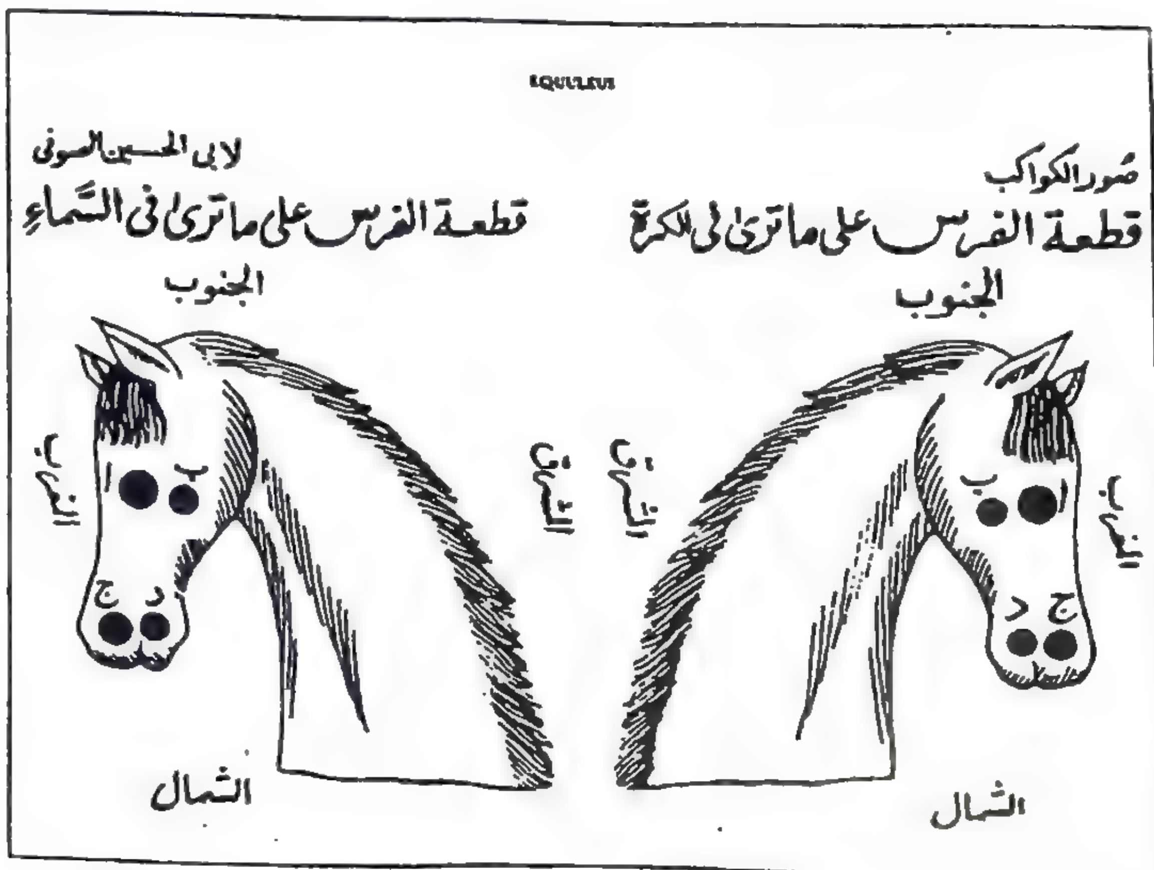

DRACO
صورة التنين على ما ترى في السماء
الشمال
الجنوب
HYDRA
شمال

PEGASUS

صور الكواكب لأبي الحسين الصوفي

صورة الفرس الأعظم على ما ترى في السماء




EQUULEUS
صور الكواكب
قطعة الفرس على ما ترى في الكرة
لابى الحسين الصوفى
قطعة الفرس على ما ترى في السماء
الجنوب
الجنوب
الشمال
الشمال


PEGASUS
Complete
صورة الفرس الكامل (١)
الشمال
الجنوب

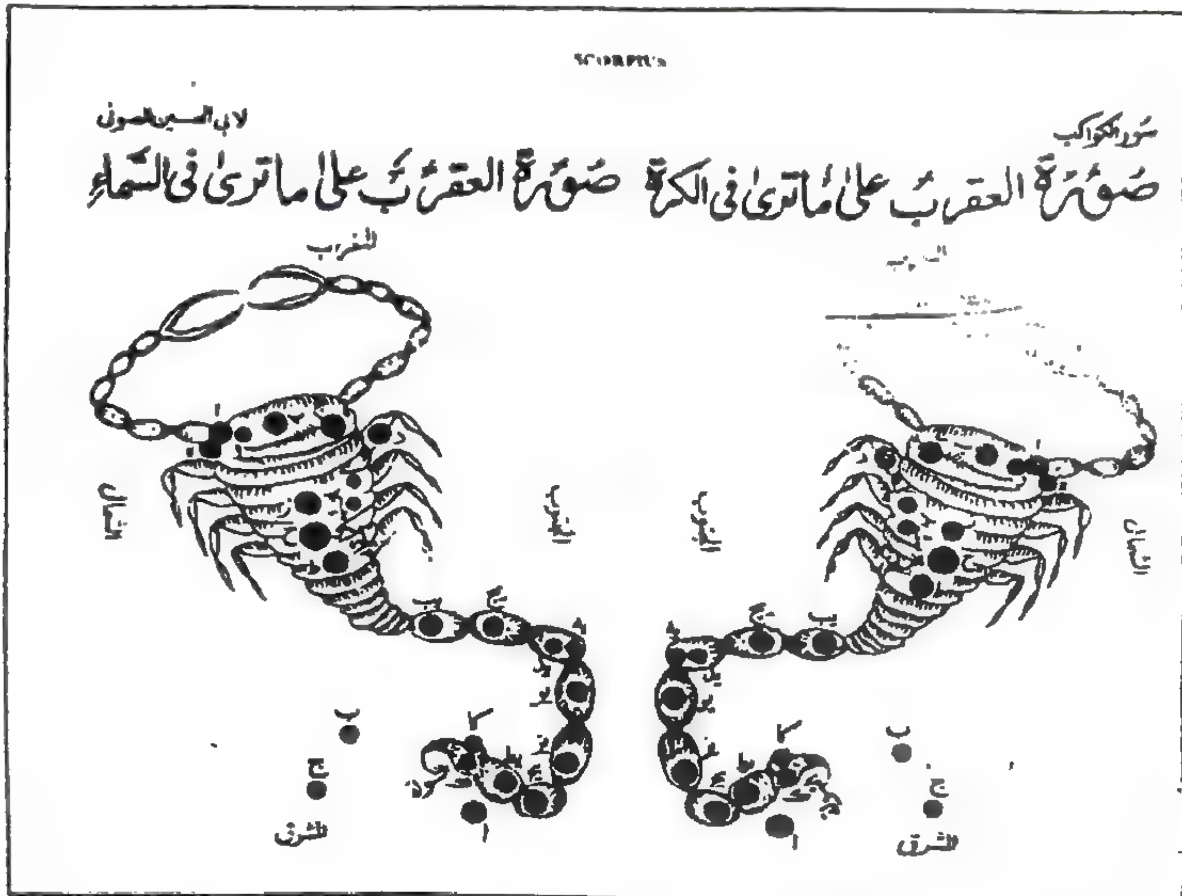
CANCER

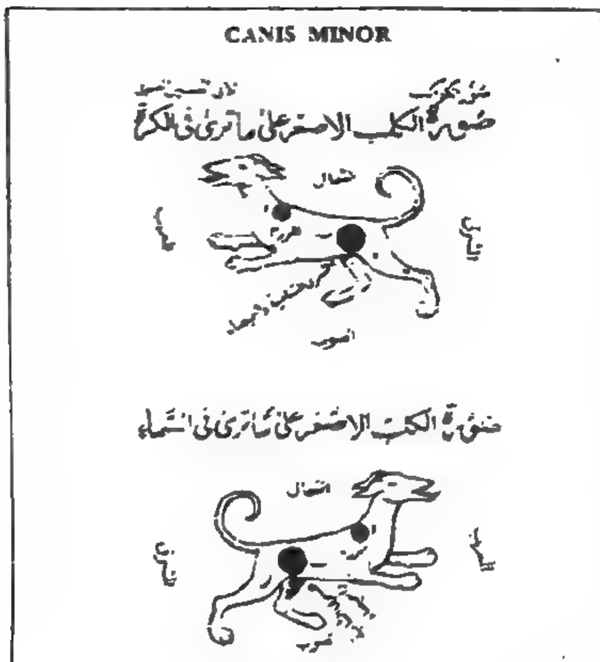

صور الكواكب
لابي الحسين الصوفي
صورة السرطان على ماترى في الكرة
الشمال
الجنوب

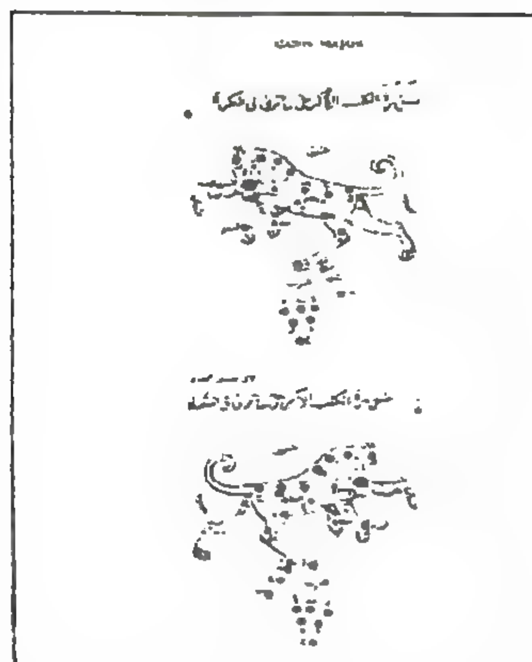

صورة السرطان على ماترى في السماء
الشمال
الجنوب


وهذه صورة الدب الاصغر على ماترى في الكرة
وهذه صورة الدب الاصغر على ماترى في السماء


صورة الدب الاكبر على ماترى في السماء


SCORPIUS
صور الكواكب
لابي الحسين الصوفي
صورة العقرب على ما ترى في السماء
صورة العقرب على ما ترى في الكرة
الشمال
الجنوب
الشرق

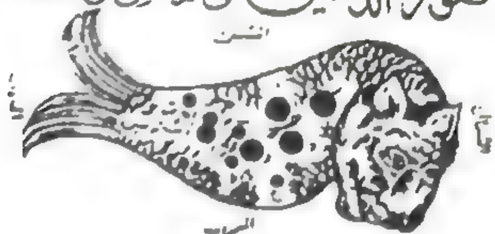

CANIS MINOR
صور الكواكب
صورة الكلب الاصغر على ما ترى في الكرة
الشمال
الجنوب
صورة الكلب الاصغر على ما ترى في السماء




PISCES
صورة السمكتين على ما ترى في السماء


PISCIS AUSTRINUS
صور الكواكب
لابي الحسين الصوفي
صورة الحوت الجنوبي على ما ترى في الكرة
الشمال
الجنوب


DELPHINUS
صور الكواكب
صورة الدلفين على ما ترى في الكرة


صورة الدلفين على ما ترى في السماء


صورة الحوت الجنوبي على ما ترى في السماء
الشمال
الجنوب

AQUARIUS

صور الكواكب



لابي الحسين الصوفي



LEO

صور الكواكب لابن الحسين الصوفي

صورة الأسد على ما ترى في الكرة

الشمال

الجنوب

صورة الأسد على ما ترى في السماء

الشمال

الجنوب

HERCULES

سور الكواكب — لابي الحسين الصوفي

صورة الجاثي على ركبته على ما ترى في السماء

CASSIOPEIA

سور الكواكب — لابي الحسين الصوفي

صورة ذات الكرسي على ما ترى في السماء

CAPRICORNUS

صور الكواكب ٧ لأبي الحسين الصوفي

صورة الجدي على ما ترى في الكرة



صورة الجدي على ما ترى في السماء



ARIES

صور الكواكب ٧ لأبي الحسين الصوفي

صورة الحمل على ما ترى في الكرة

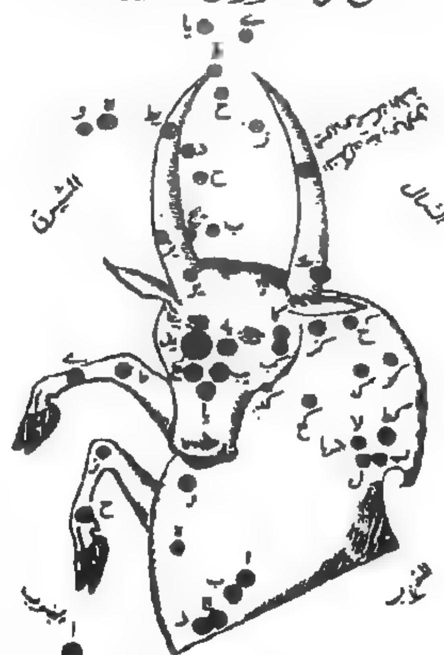


صورة الحمل على ما ترى في السماء

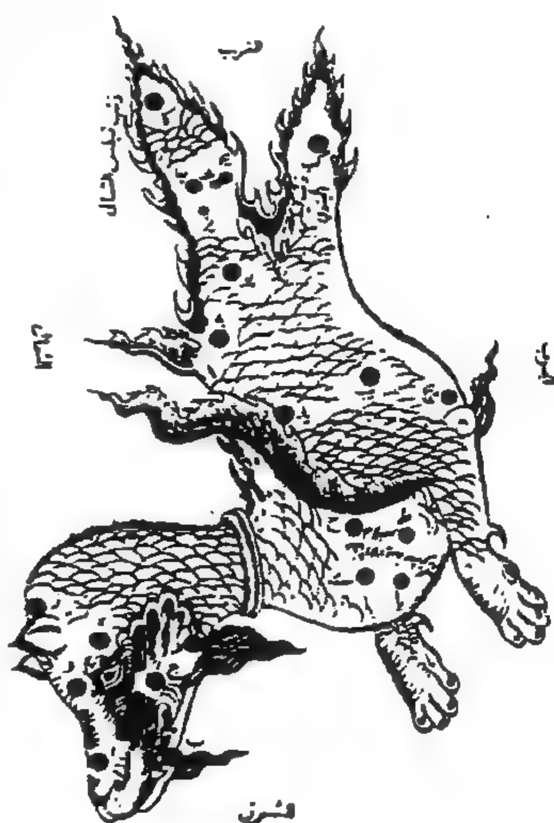


TAURUS





CETUS




CENTAURUS & LUPUS
صور الكواكب
لابي الحسين الصوفي
صورة قنطورس والسبع على ماترى في السماء
الشمال
الجنوب
رجل قنطورس اليمنى

BOOTES

صور الكواكب — لابي الحسين الصوفي

صورة العوا على ما ترى في السماء



CEPHEUS

صور الكواكب — لابي الحسين الصوفي

صورة قيقاوس على ما ترى في السماء



PERSEUS

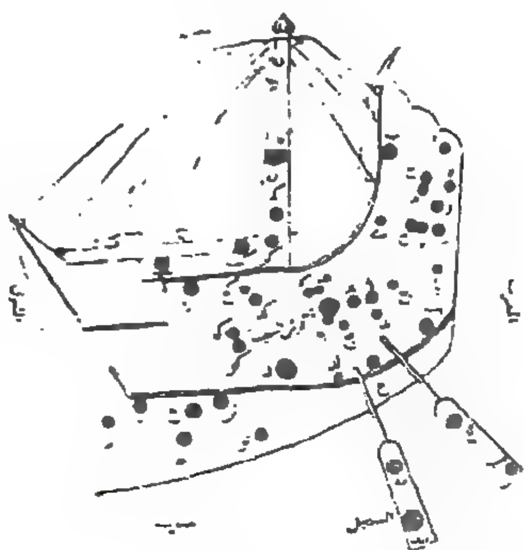
صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

صورة برشاوش على ما ترى في السماء



ARGO NAVIS

صورة السفينة على ما ترى في السماء

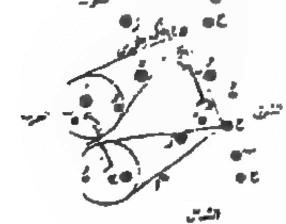


LIBRA

صورة الميزان على ما ترى في الكرة



صورة الميزان على ما ترى في السماء



ORION

صورة الجبار على ما ترى في الكرة

صورة الجبار على ما ترى في السماء

الشمال

الجنوب

TRIANGULUM

صور الكواكب

صورة المثلث على ما ترى في الكرة (١)

لابي الحسين الصوفي

صورة المثلث على ما ترى في السماء

الشرق

المغرب

(١) سقط بيان صفة الكوكبة مع الصورة والجدول من (١).

SAGITTA

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

صورة السهم على ما ترى في الكرة

صورة السهم على ما ترى في السماء

الشرق

نصل السهم

الشمال

المغرب

الشرق

نصل السهم

الشمال

المغرب

CORONA BOREALIS

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

الفكة وهي كوكبة الاكليل الشمالي على ما ترى في الكرة

الشمال

نير الفكة

الجنوب

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

الفكة وهي كوكبة الاكليل الشمالي على ما ترى في السماء

الشمال

نير الفكة

الجنوب

CRATER

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

صورة الباطية على ما ترى في الكرة



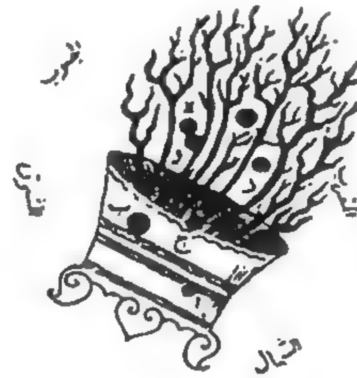
صورة الباطية على ما ترى في السماء



ARA

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

صورة المجمرة على ما ترى في الكرة



صورة المجمرة على ما ترى في السماء



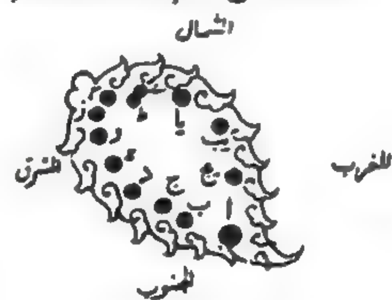
CORONA AUSTRALIS

صور الكواكب لابي الحسين الصوفي

صورة الاكليل الجنوبي على ما ترى في الكرة



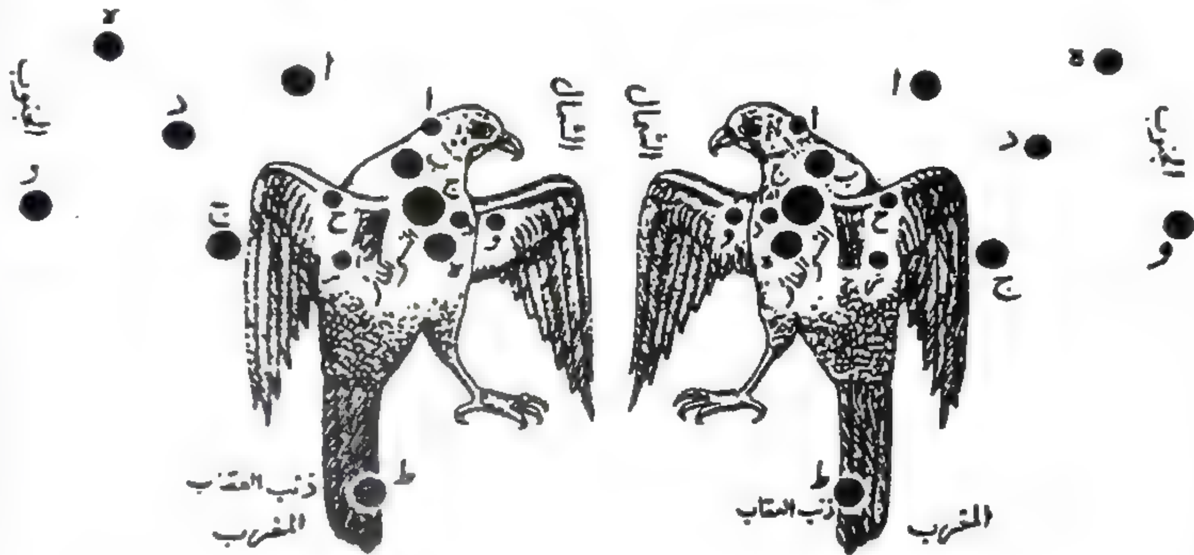
صورة الاكليل الجنوبي على ما ترى في السماء



AQUILA

صور الكواكب | لابي الحسين الصوفي

صورة العقاب على ما ترى في الكرة | صورة العقاب على ما ترى في السماء



CYGNUS

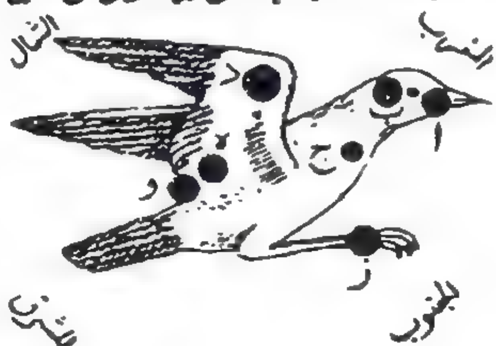
صور الكواكب | لابي الحسين الصوفي

صورة الدجاجة على ما ترى في السماء



CORVUS

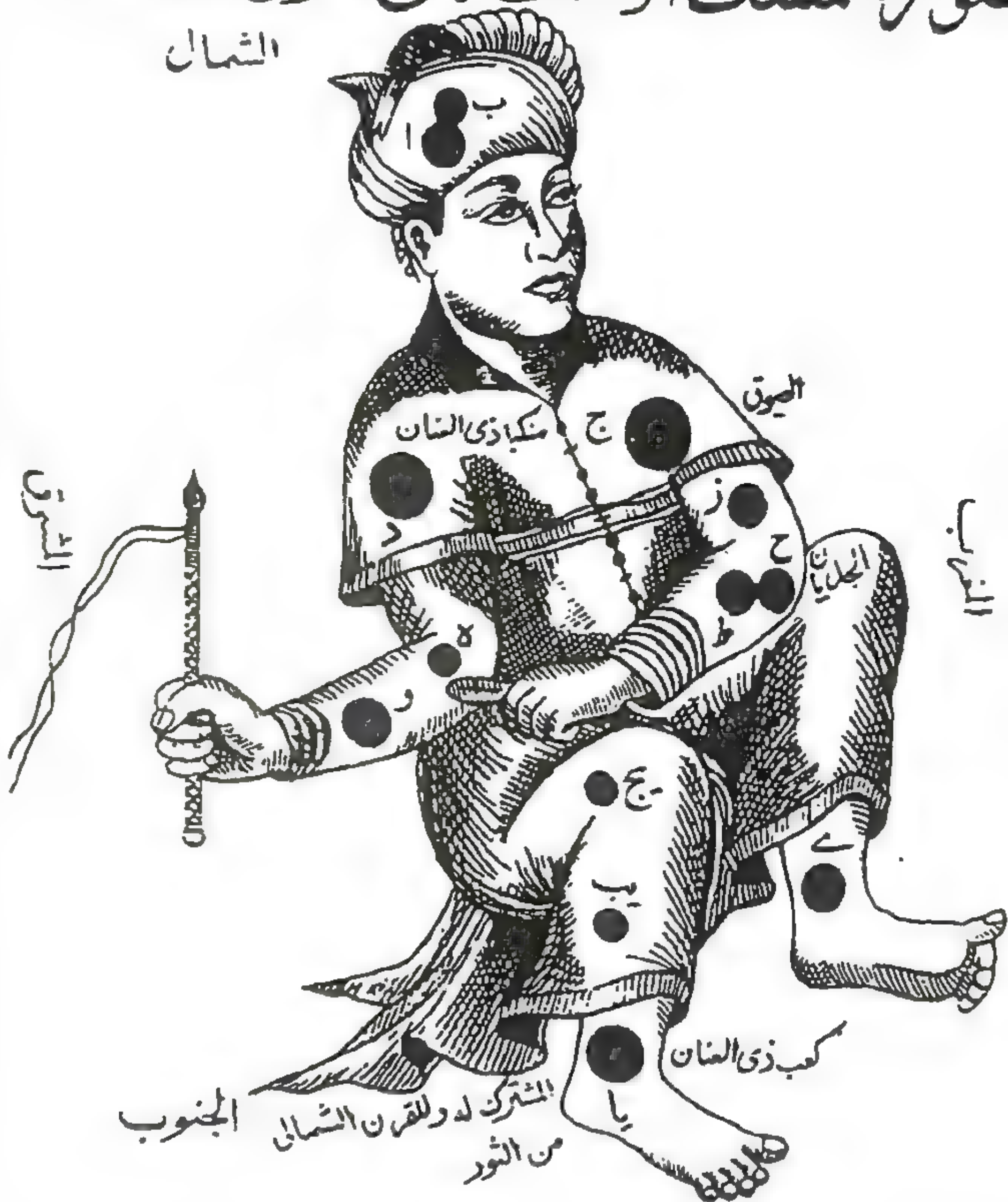

صور الكواكب
صورة الغراب على ما ترى في الكرة


لأبي الحسين الصوفي
صورة الغراب على ما ترى في السماء

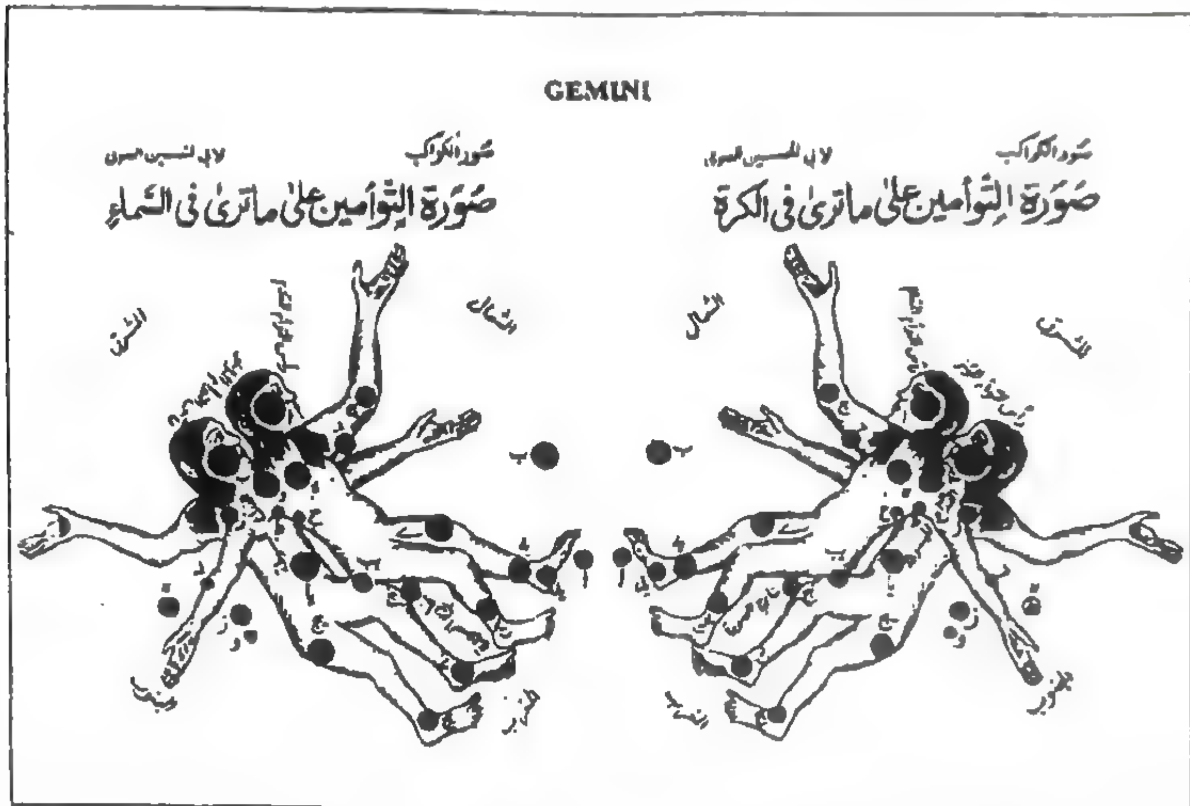

ANDROMEDA
صورة المرأة المسلسلة على ما ترى في السماء

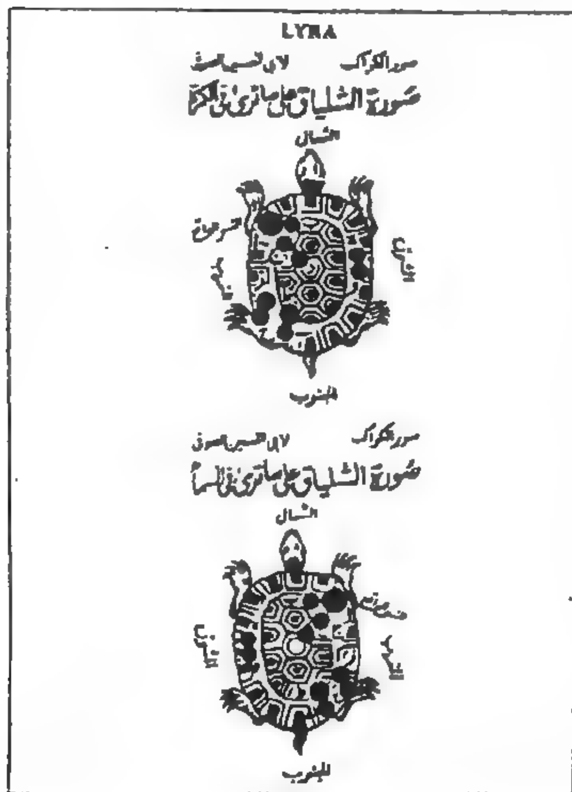

ANDROMEDA
صورة سمكة أخرى مع المسلسلة

AURIGA



صور الكواكب
لابي الحسين الصوفي
صورة ممسك الأعنة على ما ترى في السماء
الشمال
الجنوب
المشرق
المغرب
منكب ذي العنان
العيوق
الجديان
كعب ذي العنان
المشترك له وللقرن الشمالي من الثور


GEMINI
صورة التوأمين على ماترى في السماء
صورة التوأمين على ماترى في الكرة


LYRA
صورة الشلياق على ماترى في الكرة
صورة الشلياق على ماترى في السماء


LEPUS
صورة الارنب على ماترى في الكرة
صورة الارنب على ماترى في السماء

السحر والطلسمات

جرجي زيدان

هذا جوابي على سؤال وردني ومؤدّاه:

فما قولكم فيما قرره العلامة ابن خلدون في مقدمته المشهورة في كلامه على علوم السحر والطلسمات حيث قال ما نصه " وبالمغرب صنف من هؤلاء المنتحلين للأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت أولاً أنهم يشيرون إلى الكساء والجلد فيتخرق ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فتنبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك خوفاً على أنفسهم من الحكام. لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة.... الخ ".

فيؤخذ من قول ابن خلدون هذا إن للسحر تأثيراً شاهداً بنفسه وتعلمون أن هذا الرجل بعيد عن أن ينخدع الموهم لو كان عملهم هذا من قبيل الإيهام والتعزيز فنرجو أن تبدوا لنا رأيكم في ذلك؟

الجواب:

لم يكن ابن خلدون وحده الذي أشار إلى وجود السحر أو صدّق به فإن القدماء من فلاسفة وكهنة وأئمة ذكروه مصدقين وقلَّ بينهم من أنكره حتى الأنبياء أنفسهم فإنهم قالوا بصحته والكتب المنزلة أشارت إلى وجوده.

كل ذلك معلوم ومسلّم ولكننا نعلم من الجهة الأخرى أن للطبيعة نواميس وروابط لا يمكن تغييرها أو تبديلها إلا بقوة من واضعها سبحانه وتعالى لحكمة تقتضيها إرادته.

فإذا رأينا ساحراً يدعي عملاً يخالف مجاري تلك النواميس أنكرنا عليه عمله وحكمنا باستحالته.

كما لو قال إني كاتب كلمات على ورقة ومُلقيها في النار هنا فإذا احترقت أصاب فلاناً في الإسكندرية رمدٌ أو جنون أو نحو ذلك، أو لو قال إني قائل كلمات وجامع أحرفاً فاجعل بها بين فلان وفلان محبة أو ألقي بغضاً أو غير ذلك من حوادث

البعج التي ذكرتموها ونحوها مما يتداوله البسطاء وغيرهم ممن يعتقدون السحر، فإذا قيل لنا ذلك حكمنا باستحالته.

أما اعتقاد بعض الفلاسفة والكهنة والأئمة صحة السحر كالحكاية التي نقلتموها عن العلامة ابن خلدون فتعليله على ما نرى أن مدعي السحر في الأعصر الخالية كانوا من أهل العلم ويغلب أن يكونوا من علماء الكيمياء حتى عدَّ بعضهم الكيمياء من علوم السحر فكانوا على بينة من بعض الحقائق الطبيعية والكيماوية التي يجهلها البسطاء فتظهر لديهم مظهر المعجزة وليست هي بالحقيقة إلا تحليل وتركيب يرجع في تعليله إلى النواميس الطبيعية المشهورة.

كما لو جاءك أحد بسائلين أبيضين شفافين فمزجهما وأراك مزيجهما جسماً جامداً أسود حالكاً أو أصفر فاقعاً وقد يعطيك فتلمسه بيدك وتتحقق جموده ولا غرابة في ذلك لأنه تفاعل كيماوي فإن سائل الهيدروجين المكبوت إذا مزج بمذوب نيترات الرصاص تولد من مزيجهما راسب أسود هو كبريتيد الرصاص. وإذا مزجنا سيال الهيدروجين المكبرت المشار إليه بمذوب السليماني وكلاهما أبيض شفاف تولد من مزجهما راسب أسود هو كبريتيد الزئبق. وقد تمزج سائلين باردين أبيضين فيتولد منهما بعد المزج حرارة شديدة ويتصاعد عن المزيج دخان ثم لا تلبث أن ترى الباقي في الوعاء يسودُّ حتى يصير فحماً والسائلان المشار إليهما هما الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) ومذوب السكر.

وقس على ذلك كثيراً من التفاعلات الكيماوية، وأغرب منها أفعال الكهربائية فقد يتفنن بها المشعوذ على أساليب تبهر البسطاء ونحن لا نستغربها ولا ننكر وقوعها لجريها على ما نعلمه من النواميس الطبيعية وهو ما يسمونه بالسحر الطبيعي أو الكيماوي.

فالظاهر أن السحرة القدماء كانوا يستطيعون شيئاً من هذا القبيل فكانوا يبهرون به الناس فيعتقدون اقتدارهم على إتيان المعجزات حتى إذا قالوا لهم أننا فاعلون كذا وكذا صدقوهم ولو لم يفعلوه.

وشأنهم في ذلك شأن عنترة العبسي يوم سئل كيف اشتهر بالشجاعة وشدة البطش فقال " كنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فاقتله"

على أن القدماء أنفسهم فرقوا بين أنواع السحر فجعلوه ثلاث مراتب ذكرها ابن خلدون في مقدمته فقال: (والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها أولها المؤثرة

بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر. والثانية بمعين من مزاج الافلاك أو العناصر أو خواص الإعداد ويسمونه الطلسمات وهي اضعف رتبة من الأولى. والثالثة تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فينصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكات وصوراً مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة).

فلعل ما رآه ابن خلدون من أمر البعج إنما كان من قبيل الشعوذة ولا عبرة بمنزلة هذا العلامة من العلم والفضل فقد ينخدع أعلم العلماء بأبسط الأشياء إذا سبق إلى ذهنه اعتقاد صحتها أما إذا نظر إليها بعين النقد فقد ينكشف له زيفها.

انكار أمير المؤمنين(ع) للسحر:

على أن إنكار السحر وأمثاله ليس بالأمر الحديث فقد أنكرها أعلم علماء المسلمين وأخطب خطبائهم وأشرف أئمتهم نعني به الإمام علي بن أبي طالب فقد عزم مرة على المسير إلى الخوارج فقال له بعض أصحابه: "يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم " فأجابه: {أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر. فمن صدّق بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه. وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وآمن الضر}.

ثم أقبل على الناس فقال: { أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدي به في بر أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر. والساحر كالكافر. والكافر في النار. سيروا على اسم الله }.

وجملة القول أن النواميس الطبيعية المعروفة حتى الآن تنفي السحر وأشباهه مما يراد به معرفة الغيب أو كشف السرائر أو إتيان المعجزات من قبيل ما ينسبونه إلى التنجيم أو السحر أو الطلسمات أو علم الحروف أو نحوها، وإذا جود لنا بما ورد في الكتب المنزلة أو على لسان الأنبياء قلنا لعله كان موجوداً ثم فقد وفوق كل ذي علم عليم.

بدوح: كلمة طلسمية، تكتب على رسالة، أو تحفر في شكل بسيط على مادة صلبة، أو في داخل مربعاتها، قبل أنها عرفت بين التجار وأرباب الرسائل والموال في بلاد العرب، وكانوا يكتبونها على رسائلهم وسلعهم تحصيناً لها من الضياع.

اعتقدوا أن تاجراً حجازياً يسمى " بدوح " – كان التجار إذا توجهوا بسلعهم إلى بعض الجهات نهبها اللصوص – إلا بضاعة ذلك التاجر ورسائله، فقد كان لا يتعرض لها أحد بسوء فتصل سالمة، ولما توفي أخذ التجار يضعون اسمه على سلعهم ورسائلهم، فكانت تسلم من الأذى، وكانوا لا يكتبونه بالحروف، بل بما يقابلها من الأرقام في حساب الجمل، هكذا: ٨٦٤٢، وكثير من الناس كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتيمن ودفع الأذى، وهنالك تفسيرات كثيرة أخرى، ويقابل كلمة بدوح في الغرب كلمة " أبراكادابرا ".

تعلم السحر وحكمه

❖ يوسف الدجوي

جاءنا من أحد طلبة المعهد الأحمدي هذا السؤال:

هل تَعَلُّم السحر جائز أم حرام[1] لأن عندنا بعض المنتسبين إلى العلم يفتي بجوازه، بحجة أنه يخلص الناس مما يقعون فيه من الأضرار ولا يضر أحداً. وحجته القوية فيما يزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "تعلموا السحر ولا تعملوا به"، إلى أن قال: وأخيراً أجمعنا على استفتاء فضيلتكم في هذا المبحث الخطير. إبراهيم محمد حسين بمعهد طنطا الأحمدي

الجواب :

الفاصل في ذلك كله هو الحديث الشريف الذي هو القاعدة العظمى في كل شيء، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: {إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى}، وأما قوله {تعلم السحر ولا تعمل به} فليس بحديث البتة.

وكثير من العلماء يمنع تعلم السحر مطلقاً ويرى قتل الساحر، وإن لم يقتل أحداً بسحره، ولكن الصحيح الذي يوجبه البرهان ويطمئن له الوجدان وتشهد له أصول الشريعة، أن الأمور بمقاصدها والأعمال بآثارها، وإن كان اللازم أن يحتاط الإنسان لنفسه ولا يأمنها، وأن يراقب هواها في الدقيق والجليل ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

ولنتل عليك ما قاله العلماء في ذلك الموضوع، وما وقع بينهم من الخلاف في ذلك فنقول: اختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك.

ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه، فلا يكفر، ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

---

(١) هذه عبارته، وإن كانت (هل) لا يؤتى لها بمعادل إلا على رأي ضعيف لأنها لطلب التصديق لا التصور كما هو مقرر في محله.

وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا. فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين.

وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم، إلا عند الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصاً، قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تقبل، وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل. يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء.

السحر والسحرة

❖ وفاء كامل أبادير

السحر والسحرة موضوع قديم وجديد في آن واحد. قديم «لأن جذوره تضرب في أعماق التاريخ. وجديد.. لأنه مازال موجوداً..

رغم أننا في عصر الفضاء.. عصر سيادة العلم! لم يستطيع الإنسان أن يتخلص من جذوره القديمة رغم كل ما حققه عبر مسيرة الجنس البشري، ما زالت كلمة «سحر» لها مفعولها.. وإن تباينت أهميتها من عصر إلى عصر، وعن السحر والسحرة.. قديماً وحديثاً.. سيكون موضوعنا!».

- شغل السحر أذهان البشرية في الأزمات الغابرة، وما زال وسيظل، ومنذ بدأ الإنسان في تعلم النقش والحفر والكتابة، ليعبر عما يدور في ذهنه أو يشعر به، بدأ أيضاً يسجل معتقداته، وطقوسه، وتعاليمه، تاركاً خلفه مخلفات كثيرة، محفورة أو منقوشة أو مخطوطة، تظهر مدى اهتمامه بالسحر، أو ما يطلق عليه في عالمنا المعاصر علوم ما وراء الطبيعة.

ورغم التطور الهائل في العلوم والخروج إلى الفضاء الخارجي فمازال موضوع السحر يفرض نفسه في إطار عالم غريب وعجيب ومثير، ولم يقتصر تأثيره على دائرة محدودة بل تعداه لكي يغزو نواحي لم تخطر على بال... وليس أدل على هذا مما قيل عن استخدام السحر مثلاً في بناء الأهرامات، واستخدامه في تفسير بعض الظواهر الخارقة التي لم يجد العلم لها سنداً يقبله العقل البشري.. وعلى الجانب الآخر فإن السحر ذكرته الكتب السماوية ودونه البابليون والمصريون القدماء، والهنود، والصينيون، في الكثير من كتاباتهم ونقوشهم وآثارهم، بل إن سجلات وملفات المحاكم في إنجلترا وفرنسا، وإيطاليا، بولندا، وروسيا، وأسبانيا، وغيرها حوت الكثير من اعترافات السحرة والساحرات، كما أن هناك مواثيق وعهوداً مدونة محفوظة في بعض المكتبات العامة وفي المتاحف تؤكد وجود السحر ومزاولته في فترات طويلة تمتد في عمق التاريخ.

السحر عند الفرس والكنعانيين:

يذكر المؤرخون أن تاريخ السحر يرجع إلى آلاف السنين قبل ميلاد السيد المسيح ـ وكان ذلك في بلاد الفرس وأن أساسه ينسب إلى الساحر (زوروستر). وتشير المخطوطات إلى أن سحرة الفرس قد أعدوا راية أو علماً دونت عليه نقوش سحرية ذهبية كان الهدف منها نصرة الفرس، وأعتقد الفرس عقب انتصاراتهم أن ذلك يرجع إلى هذا العلم (الراية) أو ما سمى في ذلك الوقت بعلم كسرى (زركش كاويان).

وبعد الفرس جاء «الكنعانيون» الذين كانوا يعتقدون في القوة السحرية التي تشعها أجساد الكلاب والقطط! واعتقدوا في ارتباط الألوان بهذه الحيوانات. فالكلب ذو اللون الأحمر يجعل الآلهة تفر من المعبد وترحل البركة منه. أما الكلب ذو اللون الأصفر فإنه نذير شؤم على كنوز المعبد إذا دخله.

أما إذا دخل كلب أبيض المعبد فهذا دليل على كثرة الخبرات والبركات، كما اعتقدوا بأنه إذ دخل كلب أسمر إلى قصر الملك فإنه يهجر زوجته، ويؤدي إلى فساد وتفكك الأسرة، أما إذ جلس كلب أسود على عرش الملك فهو نذير بموته وشبوب حريق كبير في عاصمته!

وقد انتقلت عدوى التشاؤم من نباح الكلاب ليلاً من جيل إلى آخر، حتى باتت خرافة نحكيها اليوم.. فإذا عوى كلب في الليل (مثل عواء الذئب) توجسنا شراً، خاصة إذ كان بيننا مريض.

سر هزيمة الكلدانيين أمام هانيبال:

وكان الكلدانييون يستخدمون دماء الطيور الصغيرة بعد ذبحها في أعمالهم السحرية، ويحكي التاريخ قصة تقابل جيش ملك الكلدانيين «فلامينوس» مع جيوش القرطاجيين بزعامة القائد «هانيبال»، وأمر «فلامينوس» رئيس السحرة بذبح أحد الطيور وعمل السحر، كي يضمن هزيمة أعدائه، ولما شرع الساحر في تقديم الطعام للطائر قبل ذبحه وفق عادات السحر رفض الطائر الطعام، فاعتبر الساحر ذلك دليلاً على هزيمة قائده، فلما أبلغه بذلك أصر القائد على ذبح الطائر، ولكن الساحر رفض فقتله «فلامينوس» وهاجم بجيوشه القرطاجيين، ودارت معركة حول بحيرة «تراسمين» وقتل فيها «فلامينوس» وعشرات الآلاف من جنوده!

وأهتم الكهنة والسحرة «الكلدانيون» بدراسة النجوم والكواكب، واعتقدوا في تأثيرها على حياة البشر، فأظهروا كوكب «المشتري» في الليالي القمرية يبشر النساء الحاملات بالمواليد الذكور، وظهور «عطارد» دليل على انتعاش المعاملات التجارية، أما ظهور كوكب «زحل» فإنه يبشر بخلافات عائلية، و«المريخ»يعني عزل الملوك أو وفاتهم، وتفشي الأمراض ونقص الطعام، واندلاع الثورات والحروب، وظهور كوكب «الزهرة» له دلالة على رواج سوق زواج العانسات!

وتذكر لنا كتابات السحر أن (روزوستر) أنجب أربع عائلات، تولى زعامة كل عائلة أحد أبنائها النابغين في علوم السحر.. والعائلات هي: «مصراعيم» «كوش» «ثوث» «كنعان».

أما «كوش» فقد أنجب «نمرود» و«سابتاه» ويقال أن كلمة «سبات» التي يطلقها السحرة في احتفالاتهم قد اشتقت من هذا الاسم.

لعنة الفراعنة تطارد الجميع:

أما السحر عند قدماء المصريين فكان مقصورا على الملوك والكهنة ورجال الدين، ومحرما على الشعب، وأطلق اسم «بيلسفون» على آلهة السحر عندهم، وكان على شكل كلب وجواد.

وتبوأ السحرة عند قدماء المصريين منزلة كبيرة أمام الشعب، كان أساسها الاحترام والرهبة والخوف، ولذا فقد كان الكثيرون من أفراد الشعب يتحصنون ضد أعمال السحر بالتعاويذ والتمائم، وما زالت هذه العادات إلى يومنا هذا! ولقد أدرك قدماء المصريين مدى القوة الهائلة التي يكنها أي نص من نصوص السحر المقدسة، وأطلقوا على محفوظاتهم القديمة المقدسة اسم (باورع) بمعنى القوة الفعالة لـ «رع»وفي الكتب السحرية القديمة نرى أن قدماء المصريين آمنوا بقوة الألفاظ والكلمات، وإذا أضفنا إلى ذلك معرفة النقوش المقدسة بكل ما اشتمل عليها أسلوبها الكتابي من ثراء، لاستطعنا أن ندرك الجو الفكري الذي تطور في كنفه العلم المقدس، كما يطلقون عليه من قرن إلى قرن، وكانت الكلمة التي يستمد منها المصريون القوة لنجاح أعمالهم السحرية هي (هي كاو)، ووجدت منقوشة على التعاويذ والطلاسم، والجعارين، وغيرها من آثارهم. كما لا ينكر أحد السر الرهيب الذي أودع في قدماء المصريين لعناتهم على كل من ينبش قبورهم، أو يسرق مخلفاتهم، أو يعبث بمحتوياتها، وما حدث لمكتشفي مقبرة توت عنخ آمون (اللورد كارنارفون والمستر

كارتر) من مآس ليعطي مؤشراً لما اعتنقه المصريون من سحر. فالأول توفي، والثاني نجا من الموت بأعجوبة يوم اكتشافه المقبرة، بل إن التابوت المصري الذي اشتراه المستر (دوجلاس موراى) لنقله إلى منزله في (لندن) والمحفوظ حالياً بالمتحف البريطاني تحكي قصة تثير العجب وتدل على نبوغ المصريين في أعمال السحر. فقد واجه كل من اتصل بعملية نقل التابوت من مصر إلى (لندن) متاعب وصلت إلى حد الموت والقتل، فتخلص ورثة مستر (دوجلاس) من التابوت بعد حوادث فاجعة ألمت بالأسرة وأصدقائها، وذلك بإهدائه إلى المتحف البريطاني، ومازال التابوت قابعاً إلى الآن في المتحف ويحمل رقم ٢٢٥٤٢.

وكان السحرة المصريون يستندون في سحرهم إلى النظرية القائلة بأن كل جزء من جسم الإنسان يحمل ويعبر عن جزء من شخصيته، فالشعر والأظافر والملابس والاسم الذي يلصق بالإنسان من المهد إلى اللحد وصورته وأي من أثره يحمل شيئاً منه، ومن هنا جاءت عادة قدماء المصريين في اطلاق اسمين على كل طفل وطفلة عندما يولد أحدهما، الاسم الكبير ويبقى سرا مكتوما لا يعلمه إلا والداه، والاسم الصغير الذي يعرف وينادى به بين أصدقائه وأقاربه وكانوا يحرصون على عدم اذاعة الاسم الكبير حتى لايستخدم في السحر، وقد انتقلت هذه العادة بيننا فنجد أن رجلا اسمه الرسمي المدون في شهادة ميلاده (حسن) أو (خليل) ويعرف عند الجميع باسم مصطفى.

السحر في الدولة الغربية:

لعب السحرة، والساحرات دوراً هاماً في انجلترا واسكتلندا في عهد الملكة اليصابات، يعتقدون في القوة السحرية التي يشعها أجساد الكلاب والقطط! واعتقدوا في ارتباط الألوان بهذه الحيوانات. فالكلب ذو اللون الأحمر يجعل الآلهة تفر من المعبد وترحل البركة منه. أما الكلب ذو اللون الأصفر فانه نذير شؤم على كنوز المعبد اذا دخله.

أما إذا دخل كلب أبيض المعبد فهذا دليل على كثرة الخيرات والبركات، كما اعتقدوا بأنه إذا دخل كلب أسمر إلى قصر الملك فإنه يهجر زوجته، ويؤدي إلى فساد وتفكك الأسرة، أما إذا جلس كلب أسود على عرش الملك فهو نذير بموته وشبوب حريق كبير في عاصمته!.

وقد انتقلت عدوى التشاؤم من نباح الكلاب ليلاً من جيل إلى آخر، حتى باتت خرافة نحكيها اليوم. فإذا عوى كلب في الليل (مثل عواء الذئب) توجسنا شراً، خاصة إذا كان بيننا مريض.

وفي فرنسا في عهد الملك لويس الثالث عشر والرابع عشر، وفي إيطاليا في عصر إحياء العلوم، وأقبل على دراسته وممارسته كافة المستويات وكان أساسه الحسد والتنافس والتكالب على القوة، وحب السلطات، والمال والجشع، ففي انجلترا كان للساحرة (مارجريت جوردمان) دور كبير في زواج الليدي «اليانور كوبهام» - ذات الشكل القبيح بالدوق همفري واستعانت دوقة (بدفورد) بالساحرات والسحرة للتأثير على الملك أدوار. الرابع «حتى تزوج ابنتها الليدي اليزابيث». ومن أشهر الساحرات الفاتنات في تاريخ بريطانيا «أنا بولين» زوجة هنرى الثامن والتي كانت لا تتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم لتحقيق أغراضها، فلجأت إلى السموم التي لا تترك أثراً على الضحية، وقيل إن الشياطين كانت تصفها لها، وكان زوجها الملك عاجزاً عن مواجهتها وقد لاقت هذه المرأة الشيطانة حتفها بعد تاريخ حافل من الاغتيالات بواسطة السحر، وعند الكشف على جثتها وجدت بها علامة الشيطان مدموغة على ظهرها.

أما في فرنسا فقد ذكر الساحر «تراوشيلز» عند محاكمته عام ١٦١٢ إنه يوجد في فرنسا ما يزيد عن ٣٠٠٠ ساحر وساحرة كان بينهم نبيلات، ونبلاء وأغرم كبار القوم بالسحر خلال هذه القرون، ومن المعروف أنه كان لكل نبيل أو نبيلة أو رجل عظيم ساحره الخاص.

وما عانت منه فرنسا خلال هذه الفترة عانت منه إيطاليا مما دعا البابا (جريجورى الخامس عشر) إلى مطاردة السحرة وتعذيبهم وإعدامهم، وخلال هذه الفترة صادرت الحكومة الإيطالية جميع الكتب والمؤلفات التي تبحث أو تتكلم السحر مهما كان غرضها.

ألوان من العقوبات.. ومازال منتشراً:

وقد بلغت كافة الدول في الممالك الغربية الجهد الكبير للتخلص من السحرة، وفرضت عليهم أقصى وأشد العقوبات، ففي فرنسا، وألمانيا، وايطاليا حكموا على السحرة بالإعدام حرقاً، وفي اسكتلندا كانوا يعاقبونهم بإلقائهم في إناء حديدي كبير مملوء بالقار المغلي، أما في انجلترا وبعض دول أوروبا فكان الإعدام شنقاً أمام الجمهور، وفي أمريكا، كان عقاب الساحر أو الساحرة الشنق على أقرب شجرة بالطريق وقد ذهب ضحية هذه الطريقة الكثير من الزنوج الأبرياء خصوصا في جنوب الولايات المتحدة، حيث اتهم كثير منهم بمزاولتهم السحر، ومازال في الأمريكتين حتى وقتنا هذا من يعملون بالسحر، وعلى سبيل المثال قبيلة (الانكاس) فقد ذكر

كثير ممن الرحالة القصص العديدة عن طقوسهم واحتفالاتهم السحرية وفي القرن الثامن عشر عندما ألغيت عقوبة الإعدام على السحرة واستبدلت بها عقوبة الحبس البسيط أو الغرامة، فوجد الناس الفرص لمزاولة السحر وتعلمه، والعمل به جهراً وتكونت الأندية والجمعيات السحرية، وأدى تخفيف العقوبة إلى رواج الدجل والشعوذة، وما أن حل القرن التاسع عشر حتى غزا موضوع السحر عقول العلماء أيضاً، ومارسه بعض خريجي الجامعات العالمية، مثل أكسفورد، وكامبردج!! وما زال السحر للآن يشغل بال الكثيرين من الفلاسفة ورجال الدين، ورغم مناهضة الحكومات ما زال يجدُ لَهُ أنصاراً ومريدين.

السِّحْرُ.. والسَّحَرَة

❖ جمال كناني

ليت لي سحر هاروت لأعرف من السحر من عرف، وأقول فيه فلا أقول إلا صدقاً وحقاً.

إن السحر، في رأي علماء الانثروبولوجيا أو علم الإنسان - ومنهم تايلور Taylor وفريزر. إنما جاء نتيجة لمحاولة الإنسان وضع بعض القواعد أو الخطوط العريضة التي قد تمكنه من أن يتنبأ بالمستقبل.. على أن من الناس كذلك من يعتبر السحر مجرد نصب واحتيال، أو هو وسيلة من وسائل الدعاية والتسلية.. ولكن الثابت أن القبائل البدائية التي كانت تمارس السحر لم تكن تعقد جلساته أو تزاول طقوس، لمجرد اللهو، ولكنها تنظر إليه نظرة جدية بحتة.

كان بعض السحر ديناً:

ومن القبائل الإفريقية والآسيوية والاسترالية قبائل اعتنقت السحر ديناً لها منذ القدم، حتى قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث.. وقد ورد ذكر السحر بعد ذلك في الكتب السماوية لهذه الديانات.

تحدث الكتاب المقدس عن السحر والسحرة والأنبياء، ممن بعثوا لتصحيح تلك الأوضاع في أكثر من مناسبة.. من ذلك أنه أشار إلى السحر عندما لجأ إليه أول ملوك بني إسرائيل فاستشار ساحرة إسمها أنذور Endor. كذلك ورد في الإصحاح الرابع في سفر الخروج «فقال له الرب ما هذه في يدك، فقال عصا، فقال اطرحها إلى الأرض. فطرحها إلى الأرض، فصارت حية، فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى: مد يدك، وأمسك بذنبها، فمد يده وأمسك بها فصارت عصا في يده».

وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك القصص، جاء فيه ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

وفي القرآن: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

الإيمان بالسحر قديم:

لم يقتصر الإيمان بالسحر على الجماعات البدائية بل امتد إلى مجتمعات متحضرة تقوم حضارتها على أسس اقتصادية صناعية معقدة. ففي أوروبا وفي أمريكا آمن الناس بالسحر إيماناً أقلق بال الكنيسة، تقاومه مقاومة كادت تصل إلى عصرنا هذا الحديث. والذين آمنوا بالسحرة في أوروبا وأمريكا كانوا يعتقدون أن السحر شيء تزاوله النساء خاصة، وكان عندهم رمز الساحرة أنها تطير على مكنستها، أما أغلب السحرة بين أهل الشرق فكانوا رجالاً، إلا «كوديات الزار» Horas ولقد عرفت الحضارة اليونانية السحر وأشار إليه «هومر Homer»، كما أن «هوراس»، وصف ما قامت به ساحرتان زارتا المقابر ليلاً في ضوء القمر، لتجمعا من عظام الناس والحيوان ما يعينهما على القيام بطقوسهما. وفي أحد مؤلفات القرن الرابع الميلادي نجد وصفاً لامرأة شريرة مسها الشيطان فكانت تركب ظهور الوحوش في الليل، وتقطع مسافات طويلة.

بين السحر والكنيسة والغرب:

خافت الكنيسة أثر السحر على عقول الناس، وأن يَشكُّوا في دين السيد المسيح، فأخذ القساوسة يخطبون في الكنائس أيام الآحاد وغيرها من أيام الأسبوع ويكتبون الكتب والمقالات يبشرون ضد السحر والسحرة، ويفرقون بين السحر والدين، وبين الساحر والقس، فقالوا إن الله وحده مُسَيِّر الكون، فهو أكبر من كل قوة. وردوا بذلك على من قال أن السحر أساسه قوة فوق الطبيعة.

وقالت الكنيسة إن الساحر إنسان يعيش في شبه عزلة، وأنه لا يصل إلى مركزه كساحر بعد أي دراسة، أما القس فإنسان مدني يعيش في مجتمعه ويدرس اللاهوت وغيره من الدراسات، قبل أن يصبح قساً مؤهلاً. وذهب بعض الباحثين إلى أن السحر فن عملي، من شأنه أن يحقق بعض الحاجات الواقعية، في حين أن المسيحية دين يعني بما هو أبعد وأعمق من ذلك من المشكلات، حتى ولو تعذر حلها حلاً فورياً، كما أن من شأن المسيحية أن تفسر للناس معاني الحياة والموت، والقضاء والقدر.

واشتدت حملة الكنيسة ضد السحر، فزاد إقبال الناس عليه، فشرعت الحكومات القوانين ضد السحرة حتى بعد انتهاء القرون الوسطى. ففي انجلترا مثلاً صدر قانون في عام ١٥٤٢ يحرم الشعر والشعوذة، ويقضي بالإعدام على من يدان

بأيهما، وعلى الرغم من أن ذلك القانون ألغى عام ١٥٤٧ إلا أن قانوناً جديداً غيره صدر عام ١٥٦٣ وعملت به الدولة حتى عام ١٧٣٦ أما فرنسا فقد نجحت فيها الحركة الماسونية والحركة الوطنية التي ظهرت في القرن الثامن عشر في صرف الأذهان عن السحر والسحرة.

على أن ما قامت به الكنيسة من مقاومة عنيفة وما بذلت الحكومات من جهد للقضاء على السحر ـ جذب الناس إلى جلسات السحر ـ في الخفاء.

فالسلطات التي كانت تطارد السحرة، كانت هي نفسها أبواق دعاية للسحر والسحرة.

محاكمات السحرة:

وللسحرة محاكمات في التاريخ مشهورة. وأشهر تلك المحاكمات كان في القرن الرابع عشر في مدينة تولوز عام ١٣٣٥. ويتبين من مضابط جلسات تلك المحاكمة أن بعض المتهمات اعترفن بحضور جلسات سحر كانت تعقدها إحدى الساحرات، كما اعترفن بجريمة الزنا، إذ قلن إنهن جامعن الشيطان في هيئة تيس كبير.

وادعت إحدى المتهمات إنها تؤمن إيماناً راسخاً بأن الشيطان صنو للرب، وإن له السلطان على الأرض، وقالت أخرى إنها تمكنت من عقد حلف وثيق مع الشيطان، يمكنها من إصابة زراعة جارها، وإيذاء غنمه وماشيته، وادعت أن الساحرة المتهمة قادرة على أن تميت أي إنسان إذا صنعت له دمية من الشمع، ثم ألبستها بعض ملابسه، ثم أحرقتها. وقضت المحكمة بإعدام الجميع.

السحر فئات ثلاث:

قال السحرة إن في مكنتهم تخليص الناس من قبضة الشيطان إذا حل الشيطان في أجسادهم، فظهرت عليهم العلة، وأصابتهم الأمراض والأوجاع. وقالوا إنهم قادرون على أن يصيبوا هذا الرجل أو تلك المرأة بالعقم، وأن يحيلوا رجلاً نسولاً إلى عنّين، وإن يهلكوا الحرث، ويبيدوا النسل وان يولدوا الحب والبغضاء..

والسحر فئات ثلاث:

أ ـ سحر الإنتاج

ب ـ سحر الوقاية

ج ـ سحر الإيذاء

أما سحر الإنتاج فهو - على الرغم منه - ذو فائدة في المجتمعات البدائية، لأن من شأن الجلسات السحرية التي تعقد لمواجهة الأزمات الاجتماعية - كضعف المحصول في الأرض. أو نقص السمك البحيرة مثلاً - أن تقوى وشائج الصلة بين أفراد القبيلة، وتثير فيهم روح التعاون، مما يؤدي إلى زيادة المحصول، نتيجة لزيادة ما تجنى من الثمر مثلاً.

وما قيل عن السحر الإنتاجي يقال عن السحر الوقائي الذي يعمل على شفاه مريض، أو تخليص مصاب من داء، فمجرد الإيمان والاعتقاد بأن الشفاه على الأبواب يساعد على الشفاء، وعمق العقيدة بأن الفرج على الأبواب يفرج الكروب.. فالإيحاء هنا إيحاء صحي مفيد نافع.

والنوع الثالث وهو سحر الإيذاء، وهو أقرب أنواع السحر وأحقها وأجدرها باسم الشعوذة، لأنه يؤثر في هؤلاء البدائيين أثراً سيكولوجيا يعتمد على الوهم.. فالطبيب الساحر يوهم عدوه أنه سيضعه جنسياً، فيملك الوهم على الرجل نفسه، فيخال بعد حين أنه عِنّين.

لغة السحر وأدواته:

من المُسَلّم به أن العبارات التي تتردد أثناء جلسة سحرية ذات أهمية بالنسبة للتجربة السحرية ذاتها، ولقد عرف السحر بأنه «الوصفة» التي تمكن الإنسان من القيام بأعمال تخرج عن نطاق قدرته العادية. ويرى البعض أن هذه «الوصفة» هي الكلمات والأداء والحركات والمعينات جميعاً.. وهذه الكلمات في أغلب الأحيان قديمة لا يفهمها «الأطباء السحرة» الذين يعيشون بين القبائل الإفريقية أو في نيوزلندة مثلاً في أيامنا هذه..

كان سحرة الغرب يظنون أن تلك الكلمات من أصل عربي، وكان سحرة العرب يظنونها من أصل عبري، لأنها كانت وما زالت مقاطع لا معنى لها، إلا أنها تتصل في عقل الساحر وقلبه بالطقوس اتصالاً وثيقاً، فسكان استراليا الأصليون مثلاً يرتلون تعويذة سحرية يظنون إنها تكسب قواربهم سرعة فائقة، فإذا رتلوا التعويذة خيل لهم أن قواربهم تحمل على أجنحة الطير.

والطبيب الساحر يستعين ببعض العشب أو الجلد المجفف أو المساحيق، يضيفها إلى الكلمات التي يتمتمها، والحركات التي يؤديها.. ومن هذه الأعشاب ما هو مفيد، ومنها ما هو سام قاتل.. ولا يزيد علم الطبيب الساحر بهذه العقاقير عن علم مريضه بها... فهذا المسحوق قد يقضى على ما بالبحيرة من سمك، إذا شاء الطبيب أن يلقى به

في مائها.. وقد تراه يقرأ تعاويذه على سن تمساح، ثم يحك شجرة من أشجار الموز بالسن لتنمو وتثمر.. فلا السن يتأثر ولا الشجرة تنمو بفعله.

كتاب قديم هو عمدة في شؤون السحر والساحرات والساحرين:

السحر: ما هو؟

إنه كتاب كتب في عام ١٤٨٦، كتبه قسان بعنوان «مطرقة السحرة» وترجمه سومرز إلى الإنكليزية عام ١٩٢٨، فكان الكتاب وثيقة اعتبرتها الكنيسة البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية مرجعاً كنسياً وقانونياً في كل ما يتعلق بالسحر والسحرة.

جاء في الكتاب أن أصل السحر هو أن بعض النساء يولدن وفي أجسادهن شهوة جنسية لا يشبعها إلا الشيطان نفسه. ونادى المؤلفان بوجوب استعمال كافة الوسائل ـ بما في ذلك وسائل التعذيب ـ عند تحقيق قضايا السحر، واقتراحاً إن يحكم بالسجن المؤبد على كل من يدان، فإذا لم يتب حكم عليه بالإعدام.

واحتل الكتاب مكانة في دراسات علم النفس، إذ ذهب المؤلفان إلى أن الجنون مرجعه احتلال الشيطان لجسد المريض، فإذا ما تمكن الشيطان من الجسد، أصيب الضحية بلوثة.. ورأى المؤلفان أن علاج هؤلاء المرضى لا يكون إلا بحرقهم.

وكان لهذا الرأي دعاته حتى القرن الثامن عشر، بل لقد قيل إن مارتن لوثر كان يؤيده.

على أن عدداً كبيراً من المفكرين والعلماء ورجال الدين أنفسهم ناهضوا هذا الكتاب وما جاء فيه من آراء، وكان من بين هؤلاء الفيلسوف الإيطالي جيوردانو برونو Giordano Bruno الذي أعلن أن هؤلاء الساحرات ما هن إلا نسوة اختلطت عقولهن نوعاً، وإنهن مرضى في حاجة إلى العلاج.. لا إلى العقاب.. واتهم هذا الفيلسوف بعد ذلك بالزندقة وأُحرق!!

السـحر

مكدونالد D.B.Macdonald

«السحر» إذا عرضنا لتلك المسألة المختلف عليها من مسائل الأدب الشعبي، ألا وهي العلاقة بين السحر والدين، نجد أن حكم الإسلام في ذلك يتفق وقول ماريت R.RMarett: «إن الدين والسحر صورتان لظاهرة اجتماعية، أصلهما واحد ولا ينفصمان.

فقد كان عند الإنسان البدائي نظام يتناول خوارق الطبيعة، تستكن فيه نواة كل من السحر والدين اللذين أخذ الناس يفرقون بينهما شيئاً فشيئاً. ويختلف الدين والسحر من حيث مكانتهما فالدين دائماً هو الأسمى، وهو العقيدة المسلم بها. على أنه يقوم بين ما هو ديني قطعاً حشد من أصول صفتها غير محددة. مثل «السحر الأبيض»، لا تبلغ مبلغ الدين من حيث اعتراف الناس بها، ولا تلقى من الذم ما تلاقيه الأشياء التي لا جدال في أنها من السحر». (Britannice الطبعة الحادية عشرة، ج١٢، ص٣٠٥، عمود ب) وهذا يصدق تماماً على جماهير المسلمين، وعلى من نستطيع أن نسميهم المسلمين السنيين بصفة عامة. ذلك أن الإسلام مذهب يقول صراحة بالخوارق. وهو يرى أن ثمة عالمنا المادي، عالم الحواس، وعالماً آخر وراءه هو عالم الأرواح. ويمكننا أن نتصل بالعالم الأخير عن طريق السحر أو الدين. وما إن نحاول أن نحدد طبيعة عالم الأرواح تحديداً دقيقاً حتى تقوم النظريات ويظهر الخلاف بين السحر والدين: فما أصل هذه الأرواح وطبيعتها؟ وكيف تختلف فيما بينها؟ وما المقصود باستقلالها في العمل؟ وكيف نستطيع الوصول إليها والهيمنة عليها؟ وهل يؤثر اتصالنا بها على هذا النحو في علاقتنا بالله ويعرض للخطر خلاصنا الأبدي؟ ذلك أن كل شيء في الإسلام على مذهب أهل السنة أو على مذهب الخارجين عليه، يدور حول الله وعلاقتنا به.

وهكذا نجد أن عالم الأرواح في جزيرة العرب، مهد الإسلام، على أيام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كان يتألف بصرف النظر عن الآثار المسيحية واليهودية التي في هذا الدين، من الله ومن الآلهة القبلية والجن وكان الكهان والسحرة والعرافون والشعراء والمجذوبون صلة الوصل بين الناس وبين هذا العالم. والنظرية بالنسبة لهؤلاء الناس هي أن أرواحاً من أجناس شتى «تلابسهم» ملابسة تامة بالمعنى الذي يدل عليه مصطلح «الملابسة» في مذهب الأرواح Spiritism عند المحدثين. ومن ثم فإن كلمة Magic في اللغة الإنكليزية من حيث هي مصطلح في الأدب الشعبي أوسع مدلولاً بشكل ظاهر من الكلمة العربية «سحر» إذا استعملت هذه الكلمة بمعناها الأخص

على أن مقتضيات الوضوح بالنسبة لوقائع هذه الحالة تتطلب منا أن نأخذ كلمة سحر بمعناها الأعم، وكثيراً ما نحا الإسلام هذا النحو بوجه عام. وقد نقل مرتضى الزبيدي في شرحه للإحياء (ج١ ص٢١٧ في أسفلها) عن تاج الدين السبكي أنه قال: «السحر والكهانة والتنجيم والسيمياء كلها من نفس الوادي» ثم إن الإسلام في انتشاره خارج جزيرة العرب قد اتصل بشتى الشعوب والبلاد التي فتحها وعرف معتقدات هذه الشعوب والبلاد فيما يتصل بخوارق الطبيعة وفنون السحر والطقوس الدينية. وامتزج كل هذا بالتصورات والمصطلحات القرآنية والعربية، ونشأ من ذلك خليط متنافر أشد التنافر من حيث مفردات اللغة والطقوس الدينية ونظرات المسلمين بل تفكيرهم في أصول الأشياء. وقد اعترف المسلمون أنفسهم بهذه الحقيقة، وردوا، كما سنبين بعد، أنواع السحر المختلفة إلى شعوب شتى. وقد سار هذا الاختلاط في اتجاهين: الأول، أن العرب فرضوا خرافات أهل الجزيرة العربية ومسمياتهم على غير العرب، بل على شعوب غير سامية، والثاني، هو أن أصول الإسلام نفسها قد تأثرت تأثراً عميقاً بمعتقدات أناس غرباء عن الإسلام كلية.

على أن كلمة «سحر» من حيث اشتقاتها الدقيق توحى بالمعنى الضيق للسحر وهو «الفتنة» وتقرر المعاجم أن السحر معناه صرف الشيء عن حقيقته أو صورته إلى شيء آخر مخالف للحقيقة أو هو الخيال المحض. ويطلق على ذلك في كثير من الأحيان «التخييل» اعتماداً على الآية ٦٦ من سورة طه، وربما كان هو ما نسميه الآن التنويم المغنطيسي. بيد أن الآخذين بالمذهب العقلي قد حاولوا أن يردوا ذلك إلى مجرد «الخداع» أو «الشعوذة» أو «التخيلات والأخذ بالعيون» بالاستعانة بخفة اليد والقول المنمق.

ومن ثم جاء المعنى الذي يوحي ببديع ما نشاهده في الطبيعة من صنع، مثال ذلك الغذاء في الجسم (وقد رد هذا المعنى إلى امرئ القيس نفسه كما ورد في لسان العرب جـ ٦، ص٢١ في أسفلها، على أن المعنى في هذا الموضع أقرب في جوهره إلى «الصرف») وجمال البيان كقولك سحر الكلام (الصحاح، مادة سحر، مفردات الراغب الأصفهاني، ص ٢٢٤ وما بعدها، لسان العرب جـ٦، ص ١١- ٣١، Lane ص ١٣١٦ وما بعدها) على أن الإشارات الواردة في القرآن أدق تحديداً من أن تسمح بمثل هذا البحث. وكان السحر في نظر محمد عليه السلام وفي نظر بيئته شيئاً حقيقياً وإن كان ما ينطوي عليه من غرض وما يتوسل إليه به من هدف قد يكون في معظمه باطلاً. أما من الناحية الدينية فإن محمداً قد وقف منه موقفاً يكاد يطابق تمام المطابقة موقف الكنيسة الرومانية الحديثة من مذهب الأرواح، ونظرة القرآن إلى السحر تقوم على

عالم الأرواح الخاص بالجن والشياطين، ومن الواضح أن المقصود بذلك الجن الكفار الأشرار، وأهم آية قرآنية بالنسبة لهذا الموضوع كله هي الآية١٠٢ من سورة البقرة:«واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون». وتركيب هذه الآية جد فضفاض، وثمة عدة مواضع في ترجمتها غير محققة[1]. ونجد أن البيضاوي بالرغم من أسلوبه المحكم قد فسرها في أكثر من صفحة (البيضاوي، طبعة فليشر Fleischer ج١، ص٧٦، س٢ - ص٧٧. س٧) كما خصها الكشاف للزمخشري بصفحة ونصف صفحة (طبعة ليز Lees، ج١، ص٩٢ - ٩٥). أما التفاسير الكبرى فقد تناولت هذه الآية بالتفصيل بوصفها القول العمدة في هذا الموضوع. مثال ذلك الطبري (التفسير، ج١، ص٣٣٤ - ٣٥٣) وفخر الدين الرازي (مفاتيح، ج١، ص٤٢٧ - ٤٤٠ من طبعة القاهرة سنة ١٣٠٧هـ). على أن الاتجاه العام لهذه التفاسير بين لا يخطئه أحد. فالشياطين في قول أصحاب هذه التفاسير، هي الأصل في السحر. ذلك أنهم كانوا يتسمعون عند أبواب السماء، ويزيدون على ما يسمعون أكاذيب من عندهم، ويبلغون ذلك إلى الكهان فيصنعون منه كتباً، يعلمونها للناس ويتلونها. وكان هذا العمل منتشراً في زمن سليمان انتشاراً عظيماً حتى قيل إنه كان أساس علمه وتحكمه في الطبيعة وفي الجن، بل إن اليهود قالوا إن سليمان لم يكن نبياً وإنما كان ساحراً (الرازي ص٤٢٨)؛ وهذه الآية التي ذكرناها رد عليهم. وقد خبرنا في غير ذلك من آيات القرآن (سورة الصافات الآية ٨، سورة فصلت، الآية ١٢، سورة الملك، الآية ١٥، سورة الجن، الآيتان ٨، ٩) أن الجن كانوا يقعدون (كنا نقعد) بجوار السماء الدنيا ويستمعون (استمع، استرق السمع) هنالك إلى الملأ الأعلى، وأنهم كانوا يطردون من مقعدهم بأن تتعقبهم مصابيح (مصابيح، شهاب) زينت بها السماء الدنيا، ولكنها كانت تطلق عليهم رجوماً بمعرفة الملائمة الحفظة (حرص، رصد، حفظ). وكان الشياطين قد جروا على الاستماع على هذا النحو بانتظام، ولكنهم الآن (سورة الجن الآية ٨) - ومن البين أن المقصود بالآن: منذ أن بعث محمد صلى الله عليه

---

(١) الظاهر أن كاتب المقال قد قرأ هذه الآية مترجمة ولم يقرأها في الأصل مما حمله على الإرجاف بهذا القول.

«سحر يؤثر». أما كلمة «سحَّار» التي ذكرت في الآية ٣٦ من سورة الشعراء فالظاهر أن معناها الساحر المحترف الخبير بفنه (في قصة موسى).

وما تزال الآيات التي تتحدث عن السحر مرتبطاً بمحمد عليه السلام تحتمل المزيد من البحث، وهي تلقي أيضاً مزيداً من الضوء على أفكار الناس في عاهده ومقامه في هذا العهد. ونحن نجد في السيرة (ابن هشام، طبعة فستفلد، ص١٧١ وما بعدها: البيضاوي، طبعة فليشر، ج٢، ص٣٦٨، س١٥ وما بعدها؛ الكشاف، طبعة ليز، ج٢، ص١٥٤٨) أن المفسرين السفليين أتعبوا أنفسهم في التفريق بين الكاهن والمجنون والشاعر والساحر، وأنهم بلا ريب قد استندوا في تعريف الساحر إلى الآية ١٠١ من سورة البقرة؛ على أننا نتبين من الاستعمالات القرآنية أن مثل هذا التفريق محال، وأن الكاهن والمجنون والشاعر والساحر كانوا وثيقي الصلة بعضهم ببعض. بحكم كونهم همزة الوصل بين عالم الروح وعالمنا هذا. ولم ترد كلمة كاهن في القرآن إلا مرتين، أطلقها أهل مكة في الموضعين على محمد، مرة مصحوبة بكلمة «مجنون» (الآية ٢٨ من سورة الطور) ومرة مصحوبة بكلمة «شاعر» (الآية ٤٠ من سورة الحاقة)[1]. وأشير إلى محمد عليه السلام بحسب الآية الثانية من سورة يونس، والآية ٣ وما بعدها من سورة الأنبياء، والآية ٤ من سورة ص بأنه «ساحر»، وبحسب الآية ٤٧ من سورة الإسراء، والآية ٨ من سورة الفرقان بأنه «مسحور»، وبحسب الآيتين ١٥٣، ١٨٥ من سورة الشعراء، بأنه «مسحر». ومن الواضح أن هاتين الصفتين الأخيرتين مقترنتين بالنبي عليه السلام مكروهتان، ذلك أن المفسرين ذكروا لهما معنيين مختلفين، فقالوا إن المسحور أو المسحر هو أيضاً ذو السحر وهو الرئة، أي أنه بشر لا ملك. وقد قيل مراراً إن القرآن ورسالته وبيناته هي السحر (سورة هود، الآية ٧؛ سورة سبأ، الآية ٤٣؛ سورة الزخرف، الآية ٣٠؛ سورة الأحقاف، الآية ٧، سورة القمر، الآية ٢؛ سورة الصف، الآية ٦، سورة المدثر الآية ٢٤). ولم يظهر النبي عليه السلام آية أخرى تدل على أنه ساحر، وهو لم يكن ممن يصنعون العجائب كموسى وسليمان وعيسى. وقد جاء في الآية ٨ من سورة الفرقان أن النبي عليه السلام إنما هو «رجل مسحور»، لم ينزل إليه ملك يصحبه، أو يلق إليه «كنز» أو تكون له «جنة» يتعيش منها. وجاء في الآية ٣ من سورة الأنبياء أنه لم يأت بآية من هذا القبيل. وجاء في الآية ٧ من سورة الأنعام أنه لو نزل عليه صلى الله عليه وسلم كتاب في قرطاس فلمسه الكفار بأيديهم لقالوا إنما هو سحر، أي أنه ليس بآية من قبيل ما ذكرنا. ونحن نجد أن المفسرين أمثال

---

(١) وردت كلمة «شاعر» في الآية ٤١ وكلمة «كاهن» في الآية ٤٢.

الزمخشري والبيضاوي عندما عرضوا لتفسير آيتين ورد فيهما هذا النص الخاص بالسحر (سورة يونس، الآية ٢ سورة الصافات، الآية ١٥) قد قالوا عن يقين وإيمان أن الإشارة فيهما إلى أن الرسول أتى أموراً خارقة للعادة؛ على أن اتجاه القرآن جميعاً، بل اتجاه الآيتين يدلنا على أن الإشارة إلى الوحي الذي ظن المكيون أنه حاصل من السحر. ونخرج من هذا بأن السحر لابد وأنه كان مرتبطاً بالأسلوب الذي نزل به الوحي. ويؤكد المكيون بحسب الآية الخاصة من سورة الأنبياء أن الوحي هو أضغاث أحلام، زد على ذلك أن ثمة آية في القرآن تدل على أن الوحي كان في بعض الأحيان يأتي فيما نسميه نحن الآن «الكلام التلقائي» Automatic Speech. وقد نهى النبي في الآية ١١٤ من سورة طه، والآية ١٦ من سورة القيامة عن تحريك لسانه بالوحي ليعجل به. أي أنه أمر بأن يستمع له وينصت فإذا انطلق قرأه النبي عليه السلام (انظر صحيح البخاري، ج٩، ص١٥٢ وما بعدها، طبعة بولاق ١٣١٥هـ: كتاب التوحيد) وفي الآية ١٠١ من سورة المائدة حذر الحاضرون والمستمعون للنبي حين ينزل عليه الوحي أني يسألوه فجأة عن أشياء، ذلك أنه في حالة هذا الكلام التلقائي سيجيبهم بلا ريب ويقول لهم الصدق الذي يسوءهم. ويمكن القارئ أن يرجع إلى جملة أحاديث بهذا المعنى في تفسير الطبري. (ج٧، ص٤٨ ـ ٥٢) كما يستطيع أيضاً أن يجد قولاً صريحاً في ذلك في البيضاوي (ج١، ص٢٧٥ في أعلاها إلى ص٢٧٦، س١١) ومن الواضح أن المفسرين من أهل الكلام كالزمخشري والرازي يكرهون التعرض لهذا الموضوع. وقد سلم الإسلام تسليماً كاملاً بهذه الظاهرة ووصفها.

ويتضح لنا من ذلك أن فهم هذه الآيات القرآنية يقتضينا أن نجمع بين المعنى الظاهر لنص القرآن وما نعرفه عن علم النفس الذي يبحث في الخوارق. وهذه الظاهرة التي أسلفنا بأنها يمكن أن يتحقق منها في كثير من الأحيان أي فرد له صلة بحالة من تلك الحالات الكثيرة الشيوع، ونعني بها حالة «التلقائية» و«الكتابة التلقائية»، ويصدق ذلك تماماً على «الكلام التلقائي»، وهو أندر هذه الحالات وقوعاً. على أنه لم يكن ثمة مناص من أن يعمد المفسرون القدماء إلى وضع حد واضح بقدر الإمكان بين هذه الظاهرة فيما يتعلق بالنبي والظواهر الخاصة بالصلات الأخرى بعالم الروح. وقد فعل هؤلاء المفسرون ذلك بتأكيد نزول الوحي عن طريق جبريل تمييزاً له عن الكلام التلقائي عن طريق روح تلابس المتكلم. والراجح أن كثيراً من الإشارات الواردة في القرآن، والواردة بلا شك في التوراة، إلى هذه الظاهرة، قد صبغت بذلك الطابع الخفي. ومن ثم فإن السحر من ناحية هو الفتنة، وهو غير حق، ولكنه من ناحية أخرى أمر جد

حق. أما في نظر النبي عليه السلام فقد كان السحر وحياً وثنياً يأتي من عالم الأرواح، وإلى هنا فهو حق، ولكن الوسطاء فيه سواء كانوا أرواحاً أو بشراً قد حرفوه وزادوا عليه وهو بهذه الصورة باطل. وقد وردت في صحيح مسلم (ج٨، ص٢٢ ـ ٢٣١ من طبعة الأستانة ١٣٣٣هـ، كتاب الزهد، حديث ٧٣) قصة طويلة عن ملك وثني وساحره، وراهب متقشف وغلام. والمسألة هي أن الوثنية سحر وكفر على نحو ما قال البيضاوي في تفسير سورة البقرة، الآية ١٠١ (ج١، ص٧٦، س٧) من أن السحر معادل للكفر، وهو يدخلهما في الكهانة.

أما الأحاديث التي تناولت السحر فإن من المستحيل أن نميز منها ما قاله النبي حقاً وما وضع في المناظرات التي وقعت بين الفرق بعد ذلك. لأن كثيراً من هذه الأحاديث يتنافى فيما يظهر وما عرف عن النبي من عظيم الإدراك. ويمكننا أن نحيل القارئ على خليط من أشتات متفرقة أشد التفريق في صحيح مسلم (كتاب السلام، ج٧، ص١٣ ـ ٤١) تتناول الطب، والرقية المشروعة وغير المشروعة، والسحر، والسم، والشياطين، والغيلان، والكهانة أو الطيرة، والفأل، وكلها مجموعة في صعيد واحد. وقد جاء في صفحة ٥٩ من الجزء الأول، أنه إذا قال أحد «مطرنا بنوء كذا» فهو بلا شك كافر، وجاء في الصفحات من ١٣٦ ـ ١٣٨ أن سبعة الآلاف مسلم الذين سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. أما الطب وغيره فقد تناوله صحيح البخاري في كتاب الطب (ج٣، ص١٢٢ ـ ١٤٠) كما تناول تعبير الرؤيا وغير ذلك في الجزء التاسع، ص٢٩ وما بعدها. أما عن رؤيا النبي والرؤيا بصفة عامة فانظر صحيح مسلم، ج٧، ص٥٠ وما بعدها. وهذه الموضوعات جميعاً كانت ولا تزال مرتبطة بالعقلية الإسلامية أوثق ارتباط.

على أنه وإن كان محمد قد وثق تماماً بحقيقة هذه الظواهر، سواء كانت فتنة أو وحياً محرفاً صادراً عن أرواح كافرة، فإن فقهاء المعتزلة أو أهل الكلام كانت تساورهم شكوك كثيرة في ذلك. وهذا واضح جلي في كتاب ابن قتيبة (توفي سنة ٢٧٦هـ = ٨٨٩م) المعروف باسم «مختلف الحديث» (القاهرة ١٣٢٦هـ، ص٢٢٠ ـ ٢٣٦، وانظر عن هذا الكتاب Moh. Stud: Goldziber، ج٢، ص١٣٦ وما بعدها). وقد حمل المعتزلة على أساس من العقل والنظر على الأحاديث التي تقول إن محمداً كان مسحوراً. ذلك أنهم كانوا يرون أن هذا مستحيل في حق نبي عصمه الله، كما قالوا أيضاً بأن السحر الذي تحدث عنه القرآن في قصة موسى مثلاً ليس إلا «تخيلاً» وأن الملكين اللذين ورد ذكرهما في الآية ١٠١ من سورة البقرة، كانا رجلين اسمهما «ملك» وإن هذه الآية

يجب أن نفهمها فهماً آخر. وقد ذكر ابن قتيبة الرأي المناهض لذلك فاق الأدلة العامة التي جاءت بها كل الكتب المنزلة والأنبياء، وذكر الاعتقاد المجمع عليه في السحر من شعوب متباينة فيما بينهما أشد التباين، وكذلك الشهادة الصريحة الواردة في القرآن في سورتي «المعوذتين»، وغير ذلك من أخبار بعينها، وخاصة تلك القصة العجيبة عن امرأة شخصت إلى بابل لتتعلم السحر من هاروت وماروت. ثم طلبت النبي في المدينة تائبة فوجدته قد لقي ربه فاعترفت لعائشة وأنبأتها بقصتها كلها. وهذه القصة غريبة كل الغرابة، فيها عناصر من الأدب الشعبي تتعلق بتحضير السويق بالسحر، وهي تذكرنا بحكاية بدر باسم من حكايات ألف ليلة وليلة وخرافات ـ محمد بن سلمة (The Earlier History, J.R.A.S. of th Arabian nighits 379 -374-1924 يوليه) وثمة رواية لهذه القصة أكثر أكثراً تفصيلاً وردت في الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ الموافقة ٩٢٣م (التفسير، جـ ١، ٣٤٧،س ٢٣ إلى ص ٣٤٨هـ الموافقة ١٠٢٦م (قصص الأنبياء، ص ٣٠. س١٦ وما بعدها من طبعة القاهرة ١٣١٤هـ) وأورد الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ الموافقة ١٢٠٩م في كتابة مفاتيح الغيب (جـ ١، ص ٤٣٤،س١٩ ـ ٢٨) رواية لهذه القصة أكثر إمعاناً في السفسطة والفلسفة. ثم إن جميع روايات القصة تختلف فيما بينها اختلافاً شديداً من نواح أخرى. ومن الواضح أن هذه الروايات كانت تتكيف بحسب ما يعرفه كل كاتب عن السحر وبحسب المفهوم الشائع للسحر وبحسب المفهوم الشائع للسحر في عصره. على أن القصة التي نحن بصددها لم يقبل المحدثون فيما يظهر إدخالها في الحديث. ذلك أن مسند ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ (جـ ٢، ص١٣٤) هو من دون أصحاب مجموعات الحديث الكبرى القديمة الذي ذكر شيئاً عن هاروت وماروت. ولم يشر إلى هذه القصة (رسالة بعث بها إلى الأستاذ فلنسنك) ونجد في كتاب الفهرست (كتب بين عامي ٣٧٧ و٤٠٠هـ ٩٨٧ـ ١٠١٠م) طريقة السحر مبسوطة بسطاً مسهبا مؤيدة بتواليف كثيرة في الموضوع. وأهم فقرة في هذا الشأن هي التي وردت في الفن الثاني من المقالة الثامنة (الفهرس، طبعة فلوكل، ص٣٠٨ وما بعدها). ويتجلى موقف المؤلف محمد بن إسحق من أقواله، ومن البين أنه كان من الشيعة. ومن ثم نلمح فيه على الأقل طابع المعتزلة ابن إسحق:«زعم المعزمون والسحرة جميعاً أن الشياطين والجن والأرواح تطيعهم».

فأما المعزمون (ونعني بهم أصحاب الطريقة المحمودة في السحر، من كلمة عزيمة أي الرقية، وهذه الكلمة لم ترد في القرآن ولا الأصل الذي اشتقت منه) ممن ينتحل الشرائع فزعموا أن ذلك يكون بطاعة الله جل اسمه، والابتهال إليه، والأقسام

على الأرواح والشياطين به، وترك الشهوات، ولزوم العبادات، وأن الجن والشياطين يطيعون إما طاعة لله جل اسمه لأجل الأقسام به، وإما مخافة منه تبارك وتعالى، ولأن في خاصية أسمائه، تقدست وذكره علا وجل، قمعهم وإذلالهم. فأما السحرة (ويعنى بهم أصحاب الطريقة المذمومة في السحر) فزعمت أنها تستعيد الشياطين بالقرابين والمعاصي وارتكاب المحظورات فما لله جل اسمه في تركها رضا، وللشياطين في استعمالها رضا، مثل ترك الصلاة والصوم إباحة الدماء ونكاح المحارم وغير ذلك من الأفعال الشرية، وهذا الشأن ببارد مصر وما والاها ظاهر، والكتب فيه مؤلفة كثيرة موجودة، وبابل السحرة بأرض مصر. قال لي من رآها وبها بقايا ساحرين وساحرات. (ويحمل بنا أن نذكر أن ابن إسحق كان يكتب ذلك في العراق على الأرجح ثم إن هذه النظرة إلى مصر بأنها بابل السحر ما زال يأخذ بها أهل الشرق الإسلامي). وزعم الجميع من المعزمين والسحرة أن لهم خواتم وعزائم ورقى ومنادل وحزاب ودخن وغير ذلك مما يستعلمونه في علومهم. وزعم الجميع من المزمين والسحرة أن لهم خواتم وعزائم ذلك مما يستعملونه في علومهم. وزعم طائفة من الفلاسفة وعبدة النجوم أنهم يعملون الطلمسات على أرصاد الكواكب لجميع ما يريدونه من الأفعال البديعة، والتهيجات، والعطوف والتسليطات، ولهم نقوش على الحجارة والخرز والفصوص. وهذا علم فاش ظاهر في الفلاسفة، وللهند اعتقاد في ذلك، وأفعال عجيبة، وللصين حيل وسحر من طريقة أخرى، وللهند خاصة علم التوهم(أي التنويم المغناطيسي، انظر j.R A S عدد أكتوبر ١٩٢٢ wahm in Arabic and its Gognates ص٥١٦) ولها في ذلك كتب، قد نقل بعضها إلى العربية، وللترك علم من السحر. قال لي من اثق بفضله أنهم يعملون عجائب من هزائم الجيوش، وقتل الأعداء، وعبور المياه، وقطع المسافات البعيدة في المدة القريبة. والطلمسات بأرض مصر والشام كثيرة ظاهرة الأشخاص، غير أن أفعالها بطلبت لتقادم العهد».

ويرد السحر المشروع، ويطلق عليه الفهرست «الطريقة المحمودة»، إلى سليمان بن داود الذي كان أول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها. وقيل إن أول من استعبدها على مذاهب الفرس جمشيد (انظر عن جمشيد بوصفه صاحب العلم بالجن ومسخرها الفهرست، ص١٢، س ٢١ وما بعدها، ص ٢٣٨، ص ٢٠، وانظر المزيد من المعلومات عن مكانة في الأسطورة الفارسية والخلط بينه وبين سليمان E.G.Browne بصفة خاصة. كتابه literary History of Persia ص١١٢ـ ١١٤). ومن الواضح أنه كان ثمة كتب كثيرة جداً في السحر تنسب إلى سليمان بالعبرية ثم بالفارسية نتيجة لهذا

الخلط. وقد ذكرت أسماء هذه الكتب في الفقرة الطويلة المنقولة عن الجو بري: «كتاب في كشف الأسرار، الذي الف في منتصف القرن السابع الهجري (Z.D.M.G جـ٢٠، ص ٤٨٦ وما بعدها في مقال دي غوى عن الموضوع نفسه Gaubaris entdeckte gehimnise وكذلك Z.D.M.g Fleischer جـ ٢١، ص٢٧٤).

وقد طبع جزء صغير من هذا النص في القاهرة (٣٢ صفحة، من غير تاريخ، مطبعة النجاح) مع حذف المقدمة والتوسع في الباب الرابع من الفصل الرابع، ومن الواضح أن هذا الجزء قد حذف منه أيضاً أشياء أخرى (وثمة أيضاً طبعة كاملة لم يذكر طابعها ولا مكان طبعها، ولكنها مؤرخة في جمادى الآخرة ١٣٠٢هـ وانظر ايضاً دراسة هذا الكتاب من الناحية الفنية لا اللغوية، وهي دراسة هذا الكتاب من الناحية الفنية لا اللغوية، وهي دراسة تعتمد على النص المطبوع وعلى عدة مخطوطات، قام بها Beitr.z. w Gesch der: E Wiedmann Naturwissenschaften جـ ٢٥، ص٢٠٦ـ ٢٣٢) ثم يذكر الفهرست اسماء سبعين عفريتاً دخلوا على سلميان وأخذ عليهم العهد والميثاق، والعهود اسماء الله تعالى عز وجل. وظلت هذه العهود تفعل فعلها العظيم. وثمة كتاب قاهرى صغير لم يؤرخ من ست عشر صفحة وقد اتخذت فيه هذه العهود حجاباً: «حجاب سبعة العهود السليمانية لسيدنا سليمان بن داود» وثمة بيان آخر بسبعة ذكر أيضاً، وهو يتصل بأيام الأسرع السبعة. ويمكن أن تتوسع في ذلك بالاعتماد على ما ذكر القزويني (عجائب المخلوقات، طبعة ستنفلد، ص ٢١٧ وما بعدها) وهو أيضاً يجعل الجن مسخرين لسليمان. وهماك أثبات أخرى وأوصاف أوردها الدميري (حياة الحيوان، طبعة القاهرة ١٣١٣ د ـ ١، ص ١٧٧ ـ ١٧٨و ترجمة Jakyar، جـ ١، ص٤٤٨ ـ ٤٨٠).ثم يذكر الفهرست أسماء بعض السحرة وعناوين كتبهم مبتدئاً بالروم حتى عهده ويمكن ضبط ذلك والتوسع في بعض نواحيه بالرجوع إلى ثبت الجوبري وكل هؤلاء المعزمين بما فيهم أريوس الرومى ابن اصكفانوس نفسه قد أكدوا صلتهم بطريقة سليمان، وكانوا يسيطرون على العفاريت بأخذ المواثيق عليهم وآخرهم أبو عمر عثمان بن أبي رصاصة كان مقدماً في صناعته، له كتب كثيرة وأعمال حسنة.

وقد رآه صاحب الفهرست وشاهده، وقال له يوماً: «أنا أنزهك عن التعرض لهذا الشأن» فقال: يا سبحان الله نيف وثمانون سنة، لو لم أعلم أن هذا أمر حق لتركته ولكني لا أشك في في صحته، فقال له ابن اسحق «والله لا أفلحت» وبين أن المقصود بذلك أنه تمنى له ألا يفلح في سحره.

والسحر غير المشروع (ويسميه الفهرست الطريقة المذمومة) أو طريقة السحرة، ترد كذلك إلى إبليس عن طريق ابنته بيذخ وإن لها عرشاً على المادة (انظرعرش إبليس على البحر في صحيح مسلم، طبعة الآستانة، جـ ٨، ص ١٩٠، وعرش الله على الماء في الأية ٧ من سورة هود، والحديث الوارد في صحيح البخاري، طبعة بولاق ١٣١٥ هـ جـ ٩، ص ١٢٤) وإن المريد (كأنه المريد في الصوفية) لهذا الأمر متى فعل لها ما تريد، وقضت حوائجه، ولم يحتجب عنها، والذي يفعل لها القرابين من حيوان ناطق وغير ناطق، وأن يدع المفترضات ويستعمل كل ما يقبح في العقل استعماله. (والراجح أن تفكك هذه العبارة يرجع إلى أن ابن إسحق قد أدمج عدة حقائق ذكرت له) وقد قيل أيضاً أن بيذخ هو إبليس نفسه، وقال آخر أن بيذخ تجلس على عرشها فيحمل إليها المريد لطاعتها فيسجد لها.. وقال لي إنسان منهم: إنه رآها في النوم جالسة على هبئتها في اليقظة، وأنه رأى حولها قوماً يشبهون النبط سوادية حفاة مشققى الأعقاب.

وقال (ومن الواضح أنه الشخص الذي أخبر ابن إسحق بذلك) لي رأيت في جملتهم ابن منذر بنى (؟) وهذا رجل من أكابر السحرة قريب العهد... وكان يناطق من تحت الطست، (الفهرست، ص ٣١٠،س٨١) وأخذ ابن إسحق يذكر بعد ذلك اسم كل ساحر متبوعاً ببعض كتبه، ومنهم رجل يمنى روى عن الزرقاء الساحرة (الأميرة اليمنية طريفة؟..) وآخر هو ابن وحشية وهو يقرر أنه متصل بالسحر الكلداني القديم، ولا شك أنه كان في سحره متصلاً أيضاً بالنبط.

ويقول الفهرست قسم (ص ٣١٢وس ١١ ـ ١٦) عن الشعبذة، ثم يعود إلى السحر، ويذكر قالشتانس Gallisthenes وبليناس من أهل الطوانة Apollonius وأروس Horus، وهرمس Hermes وأرباب السحر في الهند. أما عن الجليل المذكور أنفاص فيرجع إلى الفن الذي أفرده ابن إسحق للحساب والمهندسين (ص ٢٦٥ ،س١٦ ،س ٨). وثمة كتب أخرى في السحر معظمها لكتاب مجهولين ذكرها الفهرست في الفن الذي أفرده للكتب المصنفة في معان شيء (ص٣١٤ س٧ ـ ١٨، ص٣١٧، س٨، ص٤١٨، س٤) وقد جرى الإسلام على نسبة جزء كبير من السحر غير المشروع والتنجيم إلى مذاهب الكلدانيين، ومن ثم فإن الفن الأول من المقالة التاسعة من الفهرست (ص٣١٨ وما بعدها) الذي يتحدث عن الحرانية الكلدانية الذين عرفوا بالصابئة له أهمية فيما يتعلق بتاريخ السحر، وخاصة الرأس الذي يخبر بما يحدث في المستقبل (ص٣١٢، س١٢ وما بعدها). ويصدق هذا أيضاً على المقالة العاشرة في الكيمياء حيث نجد مرة أخرى كلمة مطولة عن ابن وحشية (ص٣٥٨) وأصحابه. وقد بين ابن خلدون بحق في عهد

متأخر عن ذلك كثيراً، أن الشيعية، والصوفية والفلسفة والتنجيم، والكيمياء، والسحر، كلها تتصل بعضها ببعض (انظر ما جاء في الفهرست ص ٣٥٤ وما بعدها، عن الأقوال التي أطلقت عليه وما ذكر عن صلاته).

وإذا كان صاحب الفهرست قد شك شكاً واضحاً في إمكان وجود أي ضرب حقيقي من السحر واكتفى بذكر شيء عن سير السحرة وكتبهم كما وجدها فإن الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) لم يخامره مثل هذا الشك، ذلك أن عالم الأرواح كان في نظرة حقيقة لا ريب فيها. وهو قد دخل في كتابه الإحياء في تفضيلات مسهبة عن الجن والشياطين وأفعالهما Religious Attiude... in Islam: Macdonald ص ٢٧٤ وما بعدها) والغزالي في كتابه المنقذ من الضلال (طبعة القاهرة ١٣٠٣ هـ، ص ٤٦) يذكر المربع السحري، بدوح قائلاً إن خواصه مجربة، ومن ثم عرف هذا المربع باسمه، وكتب أيضاً في تفسير الرؤيا (التحبير عي عالم التحبير، حلب مطبعة البهاء ١٣٢٨ هـ، في ٣٠ صفحة) وقرر القزويني في كتابه آثار البلاد، افاد من كحال مشهور هو الطبسي المتوفي سنة ٨٤٢ هـ (١٠٨٩م Geshiche der arab. Litt جـ١، ص ٤٩٦) وذلك في استحضار الجن، وأنه رآها كالأشباح على الحائط فلما أراد أن يتحدث معها أجابه الطبسي أن قدرته تقف عند هذا الحد (انظر أيضاً عن هذه الناحية في الغزالي وتطورها في الأساطير مقدمة كولد سهر لكتابه عن ابن تومرت Live d' Ibn Toumert الجزائر ١٩٠٣ م ص ١٥ وما بعدها). وهذا معناه أن فلسفة الغزالي القائمة على المذهب العملي Pragmatism قد أدت به إلى تصديق كل تلك الأعمال المؤثرة في الطبيعة وفي الإنسان لأنه وجد شواهد صحيحة عليها. وقد كان للمربع المعروف باسم «بدوح» أثره، ومن ثم سلم به وبجميع ما يتضمنه. ذلك أن العالم ملئْ بالخفايا، وهذا المربع كان جزأ منها. على أن بوصف كونه فيلسوفاً أخلاقياً لم يجد بداً من النظر فيمن يزاولون السحر وفي تصنيفهم أنواعاً. وقد فعل ذلك مبكراً في كتابه الإحياء (طبعة القاهرة ١٢٣٤ هـ جـ١، ص ١٥، ٢٦؛ والطبعة على شرح مرتضى الزبيدي المتوفي سنة ١٢٠٥ الموافقة ١٧٩١م، ج١ ص ١٤٦، ٢١٦ وما بعدها) ففي صفحة ١٥ من الكتاب يتناول الغزالي تصنيف ١٥ من هذا الكتاب يتناول الغزالي تصنيف العلوم ما ترجع إلى الأنبياء وإما لا ترجع إليهم العلوم التي لا ترجع إليهم يرشد إليها العقل، أو التجربة أو السماع كاللغة وهي تنقسم على ما هو «محمود» وإلى ما هو«مذموم» وإلى ما هو «مباح». أنا المذموم فكمثل العلمين التوأمين علم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات. ثم يدخل الغزالي في تفضيلا أو في من ذلك في صفحة ٢٦ ليفسر كيف يكون العلم مذموماً، مع أن العلم

هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى، ويجيب عن ذلك بأن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة :الأول، أن يكون مؤديا إلى ضرر ما لصاحبه أو لغيره كعلم السحر. الثاني، أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم، الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم مثال ذلك علم الكلام أو الطب لغير المتخصص فيهما. ومن الواضح أن هذا هو أساس مذهب المنفعة عن المسلمين، وهو المذهب الذي أثار اهتماماً كبيراً لدى باحث كابن خلدون، فوقع فريسة له (Religious Attitude، ص ١١٩ وما بعدها) ويعتمد هذا المذهب على الحديث: من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه. ثم إن الغزالي يصف السحر أيضاً بأنه «يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل (انظر Supplement: Dozy، ج٢، ص٥٧٧ ب؛ والظاهر أن كلمة هيكل تدل على أن الأصل في هذا النوع من السحر يهودي) على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور». وشرح مرتضى الزبيدي على هذه المسألة جدير بالنظر، ومن الواضح أن مرجعه الأكبر في ذلك هو فخر الدين الرازي الذي زاد الزبيدي من طابعه الكلامي، إذ نقل شواهد من مؤلفه «الملخص» ومن كتابه «السر المكتوم» وهذان الكتابان مازالا مخطوطين (Gesch. D. Arab. Litt جـ١، ص٥٠٧) كما نقل أيضاً من كتاب مسلمة المجريطي (توفي سنة ٣٩ = ١٠٠٧م؛ Gesch d Arab. Litt. جـ١، ص٢٤٣) المعروف باسم «غاية» (أو نهاية) الحكيم»، ومازال هذا الكتاب أيضاً مخطوطاً. على أنه مهما يكن من أمر الخطة الصارمة التي استنها الغزالي نفسه بكل ما له من تأثير عظيم، الخطة التي رأى أن يسير عليها الناس في الحياة لتطهير نفوسهم وصونها واعتمد عليها كل الاعتماد في تأليف كتابه الإحياء، فإن جماهير المسلمين ربما لم يلتزموا هذه النظرة إلى الحياة. وقد ظل الموقف الذي يتجلى في الفهرس بأجلى بيان بالنسبة للسحر المشروع والسحر غير المشروع باقياً على حاله، ومن ثم أمكن السحرة الذين يلتزمون الشرع أن يحتجوا بأن فنهم الذي أخذوه عن سليمان نبي الله لا يخالف السنة بل لا يخرج عن حدود التقى. وقد كانت الحدود بين السحر المشروع والسحر غير المشروع وما تزال غامضة أشد الغموض، وهي في ذلك تماثل الغموض الذي يكتنف موقف الأرواح في الإسلام الذي يقول إن طائفة منها مؤمنة، كما أن العلاقة بين الشياطين والجن غير محددة، بل نحن نجد كتباً تقول إن حفيداً لإبليس كان

مؤمناً. زد على ذلك أن المتكلمين قد ألفوا أن موقف الغزالي تكتنفه الصعوبات. فقد بينوا أن ممارسة السحر الذي يقصد به إلى الأغراض الضارة هي وحدها التي يمكن أن نسميها أمراً مذموماً؛ هذا من جهة. وأما من الجهة الأخرى فإن معرفة السحر أمر جوهري لكل من يريد أن يميز بين أثر السحر وأثر معجزات الأنبياء بل أثر كرامات الأولياء Xapiouata (انظر هذه المادة البيضاوي، طبعة فليشر، جـ، ص١، ص٧٦، الرازي: مفاتيح الغيب، القاهرة ١٣٠٧ هـ جـ١، ص٤٣٤، س٧ من أسفل الصفحة وما بعده) والمادة الوحيدة المطبوعة التي لدينا عن موقف فخر الدين الرازي (توفي ٦٠٦= ١٢٠٩) بصرف النظر عن تلك الإشارات المتفرقة التي من قبيل ما ذكرناه لمرتضى الزبيدي أنفاً، هي تفسيره للقرآن المعروف بمفاتيح الغيب، وهو يتناول السحر في هذا التفسير تفصيلاً عن كلامه عن الآية ١٠١ من سورة البقر الآية١٠٢، وهي الآية العمدة في موضوع السحر وكان الرازي متأثراً بآراء المعتزلة إلى حد بعيد أدى به إلى قبول بعضها، وإن كان قد احتفظ في النهاية بمذهب أهل السنة مشوباً بتفلسف المتكلمين، ومطبوعاً بحبه الشديد للأقوال القائمة على التحليل المستندة إلى منهج (GoLdziher) في Der IsIam جـ٣، ص٢٣٨ وما بعدها، Koranauslegung ص١٢٣، ٢٠٣، والفهرس تحت كلمة مفاتيح) ويتجلى موقفه الجوهري من السحر من كلامه عن المرأة التي ذهبت إلى هاروت وماروت في بابل لتتعلم منها السحر. فلما خرج منها إيمانها وصعد إلى السماء قالا لها: «ما تريدين شيئاً يتصور في وهمك إلا كان» (مفاتيح الغيب، جـ١، ص٤٣٤، س٢٦) ونخرج من ذلك بأن السحر في جوهره عمل نفسي له آثار مادية، فما يتصوره الساحر في وهمه يحدث. وقد ذكر الرازي في الصفحات وهمه يحدث. وقد ذكر الرازي في الصفحات من ١٢٩ إلى ٤٣٤ أن السحر على أنواع: الأول سحر الكلدانيين، ويقوم على عبادة الكواكب وما للكواكب من تأثيرات. وزاد على ذلك كلمة في رأي المعتزلة ورداً على رأيهم في السحر، والثاني سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية أو أصحاب الرقى، ويؤيد هذا النوع ما لنفس الإنسان من أثر على جسمه وعلى أجسام غيره، وضرب الرازي لذلك سبعة أمثلة، كما ناقش إمكان الاتصال بالأرواح السماوية والنفوس الفلكية واستخدام هذه الأرواح في السحر، والثالث هو الاستعانة في السحر بالأرواح الأرضية أي بالجن. وهذا النوع (انظر ما ذكرناه عن السحر المحمود نقلاً عن الفهرست) يعرف بالعزائم وعمل تسخير الجن، والرابع، هو التخييل والأخذ بالعيون، والخامس، هو الأعمال العجيبة التي تظهر من الآلات، ومن الأفعال التي تتم من تلقاء نفسها، ومن مختلف التركيبات العلمية، والسادس هو الاستعانة بخواص الأدوية

والعطور المزيلة للعقل أو المسكرة، والسابع، هو تعليق قلوب ضعفاء العقول بادعاء الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه، والثامن، هو السعي بالنميمة والتضريب. أما كلام كشاف اصطلاحات الفنون في ذلك، وهو مؤلف حديث (ص ٦٤٨- ٦٥٣) يعتمد على الرازي اعتماداً كلياً أو يكاد، فلم يذكر إلا أربعة الأنواع الأولى من السحر، ويقال إن المعتزلة أنكروها جميعاً إلا النوع الرابع. وأما في طبعة القاهرة لكتاب الرازي (ص٤٣٤، س٤، وما بعدها) فيقال إن المعتزلة أنكروا الكل إلا النوع الرابع والخامس والثامن ونحن نتساءل ترى هل أنكروا النوعين الخامس والسابع؟.

ونحن نجد أن ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٦م) قد توسع أكثر وأكثر في نظرة الرازي النفسية إلى السحر وزادها تبياناً حتى أصبحت تتفق أو تكاد والمذهب النفسي الحديث في الأفعال التلقائية. ومن ثم فهو أول من تناول بالتفصيل الأساس العقلي للتطلع البلوري crystal gazing، بلغة هي في جوهرها لغة المحدثين (المقدمة، طبعة كاترمير Quatremere جـ١، ص١٩١- ١٩٥) ويجب أن نقرن أوصاف ابن خلدون وإيضاحاته في ذلك ببحث Besterman a study in the history, distribution, theory and Prioctice of scrying (لندن، ١٩٢٤) وبحث Ink Oil: W. H. Worrel and Mirror Ganing Ceremonies in Modern Egypt (في J. R. A. S.، ج٣٦، ص٣٧ ـ ٥٣). وهكذا نجد أن ابن خلدون قد ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه الرازي من حيث النوعين الثاني والثالث من السحر في تقسيم الرازي. وكان ابن خلدون مسلماً غيوراً متمسكاً بالقرآن والسنة، ومع ذلك فقد التزم التزاماً تاماً ما خبره بنفسه، وعرف صنوفاً شتى من العرافين والسحرة وجربهم وسلم بعملهم، وشاهر في منامه رؤى تبين له أنها صحيحة، كما كان مؤمنا بكرامات الأولياء، على أنه لم يعرف قط جناً أو ملائكة بأشخاصهم، ولو أنه كان مضطراً إلى التسليم بوجود الملأ الأعلى وأن لهم تأثيرات روحانية وشيطانية على نفوس البشر. ومن ثم نجده قد أدخل جميع الإشارات القرآنية التي حار عقله فيها والتي لم يخبر ما نشير إليه من وقائع في الآيات المتشابهات، وهي ضد الآيات المحكمات، متبعاً في ذلك تفسيراً من تفاسير الآية ٦ من سورة آل عمران التي جاء فيها «وما يعلم تأويله إلا الله» (ابن خلدون، المقدمة، طبعة Quatremere، جـ١٣، ص٤٧، وانظر مادة «كلام») ونخرج من هذا بأن القوة الجوهرية للسحر تكمن في نفس الساحر، وذلك أن الساحر غير مكتسب لسحره بل هو مفطور عليه، وقد يدعم الساحر قوته النفسية بأمداد من القوى الغامضة في الخارج،

سواء كانت من خواص الموجودات أو الأعداء، وبغير ذلك من الكائنات الروحانية المتجردة من المادة. ويقول ابن خلدون إن التفرقة عند الفلاسفة بين السحر والطلسمات هو أن السحر لا يحتاج الساحر فيه إلى معين، وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر- أي في عالمنا (المقدمة طبعة كاترمير، جـ ٣، ص١٣٢) والظاهر أن ابن خلدون كان بصفة عامة موافقاً على هذه التفرقة بقدر ما كان يستطيع أن يحيط بالوقائع التي عرفها بنفسه. (المقدمة طبعة كاترمير، جـ٣، ص١٢٩ وما بعدها). على أن خلدون قد رأى أيضاً أن أدوات السحر، كما هي في صناعة خط الرمل الذي يعمد صاحبها إلى وضع نقط وخطوط في الرمل ويكوّن منها أشكالاً يستخرج بها الغيب، ما هي إلا وسيلة لخروج الساحر من حالته الطبيعية وغيبته عن الحس لترجع نفسه هذه العلامة فليس من إدراك الغيب في شيء وإنما هو ساع في تنفيق كذبه (المقدمة، طبعة كاترمير، جـ، ص٢٠٩). ثم إنه بذلت بعد ذلك محاولة من قبل البونى المتوفى سنة ٦٢٢هـ (٢٢٥م) متبعاً طرائق الغلاة من المتصوفة وأهل التصرف، فقد سعى إلى وضع طريقة للسحر المشروع تقوم على تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان، وصنع من هذه الحروف جداول سحرية وطلسمات.

وقد عرف هذا العلم بالسيمياء (suppl.Dozy جـ١، ص٧٠٨ب) شأنه شأن الكبالة[1] الخاصة بأسرار الحروف عند اليهود وبذلك النوع من العلم الذي يصنع العجائب مستعيناً بالأسماء الإلهية (انظر the Kabbalah: C.D. Ginsburg، جـ٣، طبعة لندن ١٩٢٠، ص ١٢٧ وما بعدها)، على أن ابن خلدون كان يرى أن هذا العلم ما هو إلا سحر، لأنه يقرر أنه يستمد تأثيراته من قوى الطبيعة لا من الله، وإن كان يستخدم أسماءه تعالى، ومن ثم يدخل في باب السحر وهو مذموم، (المقدمة طبعة كاترمير، جـ٣ ١١٣ وما بعدها). وكتاب البوني الكبير «شمس المعارف» Gesch.der Arab.litt)، جـ١، ص٤٩٧) هو العمدة بين جميع الكتب الإسلامية التي لا تحصى والتي درست السحر حتى يومنا هذا. أما المصدران الآخران في السحر اللذان أشار إليهما ابن خلدون فهما جابر بن حيان ومسلمة المجريطي (انظر ما أسلفنا ذكره عنهما). ونستبين من نظرية ابن خلدون أنه لم يجد بدأ من التمييز من الناحيتين الشرعية والنفسية بين عمل السحر وعمل تلك القوى التي فطر عليها الأولياء

(١) الكبالة عند اليهود هي السنن اليهودية المتعلقة بفنون السحر والعلوم الخفية.

والأنبياء. ولكن ما الفرق بين نفوس الأنبياء ونفوس الأولياء ونفوس السحرة؟ لقد كان ذلك من الأمور التي يسهل الحكم عليها كما فعل ابن خلدون (المقدمة، طبعة كاترمير، جـ٣، ص١٣٤، ١٤٠) فإن نفس النبي والولي يسيّرها رجل صالح متوخياً أغراضاً طبية، أما نفس الساحر فيسيرها رجل طالح متوخياً أغراضاً خبيثة، مع وجور صله نسب جوهرية بين النفس وبين القوة التي تعينها من الخارج، وكانت هذه هي التفرقة الشرعية القديمة (انظر تفسير البيضاوي للآية ١٠١، سورة البقرة، جـ١، ص٧٦، س) زد على ذلك أن الولي بكراماته والنبي بمعجزاته البينة إنما يأتيان بذلك كله ابتغاء مرضاة الله وبعونه تعالى دون أن يلتجئا إلى أي مدد آخر سواء كان روحاً أو قوة من قوى الطبيعة.

على أنه كان ثمة طائفة من غلاة المتصوفة يزعمون السيطرة على عالم الطبيعة، وكان هؤلاء على ما يظهر سلالة ذلك الفرع من الأفلاطونيين المحدثين الذين يصنعون العجائب. ثم إنه كان ثمة أيضاً تلك الجمهرة العظيمة من الأولياء الشعبيين وهم حقاً من القائلين بمذهب أن لكل شيء روحاً تحل فيه، وقد دأب هؤلاء تحت ستار الإسلام على التكهن بالمستقبل وصنع العجائب المأثورة عن المعتقدات والطقوس القديمة. وقد صدق هذا، ومازال يصدق، على مراكش وأوليائها الذين يتوارثون الولاية أبا عن جد. وقد أدت نظرية ابن خلدون أيضاً عن النفوس الساحرة إلى عودة الخلط الذي عرف عن جزيرة العرب في الجاهلية بين الكاهن والنبي، وهكذا ظلت الطريق مفتوحة أمام المسلمين السنيين لدراسة السحر بل ممارسته، وأمام ذلك الخلط الشامل الكامل الذي يوجد اليوم بين السحر المشروع بين السحر المشروع والسحر غير المشروع.

وإذا شاء القارئ مزيداً من التفصيل عن نظرة ابن خلدون إلى الدين والسحر فيمكنه الرجوع إلى المؤلف كاتب هذه المادة Religious Attitude and life in IsIam (المحاضرات من ٢ ـ ٦) أما عن الأولياء والسحر في الإسلام فيرجع إلى E.Doutte les Marabouts، باريس ١٩٠٠ و Magie et, Religion dans LAfriquedu Nord الجزائر ١٩٠٩ (وهي عمدة الرسائل في السحر في الإسلام الحديث)، وإلى E. Westermarck, The Moorish conception of holiness، هلسنكفورت ١٩٠٤؛ وإلى T. W. Weir The Shaikhs of Morocco، أدنبرة ١٩٠٤؛ وإلى Emily، Shareefa of Wazan My life Story, لندن ١٩١١. وثمة سبب آخر من الأسباب التي أدت إلى بقاء السحر بين جماهير المسلمين وهو وجود عدة حكايات شعبية تروى كيف أبطلت طلمسات عظيمة المفعول توارثها

الناس عن الأنبياء الأقدمين، عمل جن من الكفار وتغلبت على سحر سحرة كفار وطلسماتهم. وثمة مثلان جيدان على هذه الحكايات ترجمها قابل عن مخطوط في مكتبة كوتا في طبعته المتأخرة لمؤلفه (Adventures Tousend und Eine Nacht of Ali and Zaher of Damascus Adventures of the Fisherman Djauder جـ٤ من طبعة بون ١٨٩٧م، ص ١٩٤ ـ ٣١٢)، ومن هذا القبيل أيضاً سيرة سيف بن ذي يزن. ولعل هذه الحكايات هي السبب الأكبر في أنه قد رسخ في أذهان المسلمين أن السحر معادل للكفر مع بقاء منفذ واحد هو أن الطلسمات التي لا تخالف الشرع هي في جوهرها تتضمن كثيراً من السحر شأنها شأن طلسمات الكفار. ثم إن هناك أيضاً سبباً آخر من الأسباب التي أشرنا إليها آنفاً وهو ما جرى به القول الشائع من إدخال الفلاسفة في زمرة السحرة. وهذا الاتجاه العام كان قوياً جداً في الإسلام وبخاصة فيما يتعلق بابن سينا ذلك أن ثمة سيرة منحولة له تصوره ساحراً، وهذه السيرة عظيمة الرواج («حكاية أبو على ابن سينا» طبعت على الحجر بالتركية لمراد أفندي مختار، القاهرة ١٣٠٥، وغير ذلك من الطبعات، انظر Pertsch في Katalog turk. Hss. In Berlin، ص٤٦٦، Bibl Arab.: Chauvin، جـ٥، ص١٤٣) ومن ثم توجد باسم ابن سينا (القاهرة، مطبعة النجاح من غير تاريخ، ص٢٢) رسالة سحرية صغيرة في السيمياء تعرف باسم «الكنز المدفون والسر المصون». وقد جاء فيها أنها ثمرة دراساته في الكهف المسحور في المغرب الذي وصفته سيرته المزعومة.

وهكذا نجد في القرآن والسنة، وفي فقه أهل السنة، وفي عقائد المتصوفة بجميع أطوارها التي تمتد إلى النظر الديني القائم على مذهب وحدة الوجود، وفي الفلسفة والعلم الطبيعي بجميع أنواعه من علم النفس التجريبي تقريباً إلى نظرات ابن سينا المزعوم، وفي تعبد البدائيين المستند إلى الاعتقاد بوجود روح تحل في كل شيء: في كل هذا نجد ترديداً للقول بالسحر على أنه حق، وإن كان محفوفاً بالمكاره.

ويمكن أن نستدل على مكانة السحر في العالم الإسلامي اليوم من تلك المكتبة الصغيرة في السحر التي جمعها كاتب هذه المادة في مصر سنة١٩٠٨، وأخذ ينميها منذ ذاك ـ (١) كتاب «شمس المعارف» للبونى (طبع طبعة حجرية من القطع الكبير في أربعة أجزاء من ٤٤٢ صفحة، كتبها ميرزا حسين الشيرازي، وقد طبعت طبعات أخرى ما بين ١٣٢٢هـ إلى ١٣٢٤هـ)، وما يزال هذا الكتاب هو العمدة على حد ما قاله لي عالم مصري أستاذ في إحدى مدارس المعلمين الحكومية ومن تلاميذ

جمال الدين الأفغاني وثمة بحث آخر عظيم الشيوع هو «مفاتيح الغيب» وهو في سبع رسائل (القاهرة ١٣٣٧هـ =١٩٠٩و وعدد صفحاته ٢٣٢) كتبه أحمد موسى الزرقاوي. وقد طبع هذا البحث الذي ألفه ساحر معاصر بفضل عدد عظيم من المساهمين. وهو يتناول موضوع السحر جميعاً من فلك وتنجيم إلى خط الرمل والمربعات السحرية، والنظر في المرايا الشفافة. وقد أخذ المؤلف بالرأي القائل بأن الأرض تدور، وقال إنه هو الرأي الفيثاغوري، وإنه أثبته بأدلة من القرآن. والزرقاوي في هذا وغيره يفوق بكثير سيمياء البونى التي تتسم بالطفولة. وعندي أيضاً نتيجة للزرقاوي في سنتها العاشرة (١٣٢٦هـ = ١٩٠٦م) وبها ملاحق سحرية وتنجيمية (٣) رسالتان في السيمياء من المجربات طبعتا معاً في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ الموافقة ١٩٠٦، وهما «فتح الملك المجيد» لأحمد الديربي المتوفى سنة ١٥١١هـ (Gesch der Arab.litt 1738 جـ٢، ص٣٢٣) و«المجربات»لأحمد ابن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨٩٢هـ (Gesch.d.litt.1486، جـ٢، ص٢٥٢) ولا ريب في أن الرسالة الأولى كانت عظيمة الرواج لأنني أقتنى منها طبعتين مستقلتين، القاهرة ١٣٢٣، ١٣٢٥هـ (٤) ومن المؤلفات في السيمياء أيضاً: «كتاب العوائد، القاهرة ١٣٢١هـ من تأليف أحمد بن عبد اللطيف الشرجى اليمين المتوفى سنة ٨١٢ (١٤١٠م، gesch, der Arablitt جـ٢، ص١٩٠) وهو كتاب راج أعظم الرواج في طبعته الثالثة(٥) وثمة كتاب أكثر منفعة وطرافة وأقل حظاً من نغمة التقى المصطنعة هو «شموس الأنوار وكنوز الأسرار» (ومنه طبعتان على الأقل القاهرة ١٣٢٢ ـ ١٣٢٥هـ) لمؤلفه ابن الحاج التلمساني المتوفى سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م، Gesch.der Arab.litt ص٨٣، وانظر Golduriber في Z.D.P.V ج١٧، ص١١٤ ـ ١٢٢). (٦) كتابان لكاتب يدعى محمدا الرهوي (؟)، وهما «اللؤلؤ المنظوم في الطلاسم والنجوم» و«غاية الأماني في علوم الروحاني»، القاهرة من غير تاريخ، وكلا الكتابين من نفس الطراز فهما يتناولان فنون السحر. ويذكر الكاتب أسماء أسلافه الغزالي والبوني ومحيي الدين ابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠م، انظر Gesch. Der Arab. Lit، ج١، ص٤٤١ وما بعدها، وانظر من هذه الناحية في ابن العربي دراسة Kleinere Schriften بقلم H. S. Nyberg ليدن ١٩١٩) وشهاب الدين القليوبي (Gesch, der Arab. Lit؟، ج١، ص١٠٣؟) والشعراني. (٧) وثمة ساحر مصري معاصر له ثلاث رسائل صغيرة وهو يوسف محمد الأوغانستاني؟ (الأفغاني؟) الملقب بالهندي من جزيرة شندويل بالصعيد، ولكنه يذكر عنوانه بالقاهرة منزل علي أفندي النقلي رقم ٨ درب الدحديرة، عطفة الشيخ

مرشدي تجاه جامع الشعراني. وهناك يقيم، أوكان يقيم، مستعداً لتعليم فنه وإجازة من يريدون ممارسته بعد اختبارهم والتحقق من كفايتهم. ومؤلفاته هي: «الجوهر الغالي في خواص المثلث للغزالي» (انظر ما سبق أن ذكرناه عن مربع الغزالي السحري) و«الأسرار الربانية في تسخير الأرواح الروحانية» والعناية الربانية في مشاهدة الأرواح الروحانية» والكتاب الأخير هو من دون كتبه الذي ذكرت سنة طبعه وهي سنة ١٣٢٥هـ الموافقة ١٩٠٧م. (٨) «كتاب الفيض المتوالي، القاهرة من غير تاريخ، وهو رسالة أخرى في مربع الغزالي ألفها أحمد الدمنهوري المتوفي سنة ١١٩٢ (١٧٨٨م Gesch.der Arab.lit، جـ٢، ص٣٧١ تحت عنوان عقد الفرائد). (٩) محمد إبراهيم القباني الزقازيقي: «الأسرار الإلهية في الفرائد والأبواب الروحانية». منوف ١٣٢٣هـ. (١٠) الحاج سعدان الزنجي: «السر الرباني في علوم الروحاني»، منوف من غير تاريخ. (١١) الحاج سعدون بن الحاج عبد القادر الحناوي: «الفتح الرحماني في علوم الروحاني» القاهرة من غير تاريخ. (١٢) الساحر الشهير بالهدهاد: «بهجة السامعين في تسخير ملوك الجن أجمعين»، القاهرة من تاريخ ويزعم هذا الساحر أن كتابه قديم جداً ألفه ساحر عظيم الشهرة لا يعلم عنه شيئاً. (١٣) الفيلسوف اليوناني الحكيم هرمس: كتاب السبع كواكب السيارة، القاهر من غير تاريخ، وهو في التنجيم (انظر الفهرست، ص١٣٩، س٣ وما بعده، ص٢٦٧، س١٢ وما بعده، ص ٢٥٣، س٩ وما بعده والتعليقات). (١٤) أبو معشر (جعفر بن محمد) البلخي: كتاب طالع المولود للرجال والنساء على البروج وطوالعها على ثلاثة وجوه، القاهرة من غير تاريخ كتاب الفهرست، ص٢٧٧، وفهرسته وتعليقاته، ولم يذكر هذا العنوان في الفهرست) وفي هذا الكتاب صور عجيبة مأثورة عن كواكب ذلك البروج. وثمة كتاب آخر من هذا القبيل عن أثر طوالع المواليد على البروج في طبيعة الرجال والنساء وأمزجتهم وحظوظهم، وبه حسابات رياضية مناسبة للحال، ولاشك أن هذا الكتاب لأبي معشر: «هذا كتاب.... اليوناني الفيلسوف الشهير بأبي معشر الفلكي الكبير» (القاهرة، مطبعة الحسينية، من غير تاريخ، وفي فهرس بريل Brill، رقم ٨ نسخة من هذا الكتاب (رقم ٣٣) تاريخها، القاهرة ١٢٨٨هـ)؛ وثمة طبعة أخرى للكتاب تولاها طابع وناشر آخر وفيها الصور نفسها للبروج، والمؤلف يزعم في صفحة ٢ أنه أورد أشكالاً رملية، وإذا صدق في هذا فإن هذه الأشكال تكون مختلفة تمام الاختلاف عن الأشكال الرملية المألوفة كما يتبين من الكتاب التالي. (١٥) محمد الزناتي: كتاب الفصل في

أصول علم الرمل، القاهرة من غير تاريخ (انظر عن هذا الكاتب وفنه ابن خلدون: المقدمة، طبعة كاترمير، جـ١، ص٢٠٤ ـ ٢٠٩، ترجمة دي سلان، جـ١، ص٢٣٣ ـ ٢٤١ والتعليق، وانظر أيضاً Alaeddin and the J. Payne enchanted lamp. ص١٩٩ ـ ٢٠١، مجلة J. R. A. S. عدد يناير ١٩٠٦، ص١٢١ وما بعدها؛ Z. D. M. G جـ١٨، ص١٧٧، جـ٢٥، ص١٤٠؛ جـ٣١، ص٧٦٢) وعلم خط الرمل في هذا الكتاب على غرار ما نجده عند علماء الغرب المحدثين في هذا الباب (انظر Principles of: Franz Hartmann Astrological geomancy، لندن ١٨٨٩م). (١٦) كتاب في الفأل من غير تاريخ ولا يعلم مؤلفه، وقد وصفناه في مادة «فأل». وثمة كتيب بسيط جداً في البخت عنوانه «بختك يابو بخيت» لمرقس جرجس، ونتيجة لسنة ١٣٢٦هـ عنوانها «تقويم الأسرار الخفية» وفيها زيادات أكثر تفصيلاً عن البخت من وجهة نظر سياسية. (١٧) جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م): «كتاب الرحمة في الطب والحكمة» القاهرة؛ ١٣٢هـ Gesch, der Arab. Litt.)، ص١٥٥، رقم ٢٢٨). وهو كتاب جامع في السيمياء وطب العوام في ١٩٥ قسماً. (١٨) عبد الرحمن إسماعيل: طب الركة (في جزءين، القاهرة ١٣١٠، ١٣١٢هـ)، وهو معارض لكل ما ذكر من كتب، وبه معلومات أعجب عن خرافات العامة وخاصة في الطب. والمؤلف خريج مدرسة طب القصر العيني، ويتناول هذه المعلومات باشمئزاز الطبيب المؤهل المزاول للمهنة.

لأول مرة يتدخل الحُواة في تجارب العلماء
ما الذي يجمع بين العالِم والساحر؟

❖ عبد المحسن صالح

رغم أن عنوان هذه الدراسة يبدو مزعجاً وغير مقبول، إلا أنه يمثل ظاهرة حقيقية بدأت تنتشر – لا بين عامة الناس فحسب، ولا كذلك بين المتعلمين، بل بدأت تفرض نفسها أيضاً على بعض العلماء، فأشركوا معهم السحرة أو الحواة لدراسة ما يسمى الآن بالطاقات الروحية الخفية التي يمتلكها بعض البشر، فيحققون بها خوارق ومعجزات يقف العقل البشري أمامها عاجزاً، وعن تفسيرها قاصراً!

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: كيف يجتمع العلماء مع الحواة لدراسة هذه الظاهرة المحيرة في المعامل؟..... وما هو المنهج الذي يؤلف بين حاو بضاعته خفة الحركة، وإتقان التمويه، وممارسة ذكية في الخداع والتدليس وبين عالم يتعامل مع قوانين الكون الراسخة، وشرائع الوجود الصامدة، ويستمد زاده الفكري والعلمي من نظم متقنة، وسنن مقدرة تمخضت عن معادلات متناسقة، ونظريات متطورة يمكن بها شرح ما استعصى على العقل من أسرار الكون والحياة؟

الواقع أنه لا وجه للمقارنة بين هؤلاء، يعني السحرة والعلماء، إذ كلما زاد خداع الساحر وتضليله واستغفاله لمن حوله، زاد إعجاب الناس بقدرته وذكائه في تقديم ألاعيبه دون أن يعرفوا مواطن الخدع والتدليس فيما يعرضه عليهم، ولكنهم مع ذلك موقنون بأنه ساحر مخادع، وقد يكون ضالعاً في فنه، ولا يستطيع أن يكشف خداعه إلا ساحر مثله، لكن قد يخدع الساحر ساحراً عندما يأتي بحركة أكثر ذكاء، وأعظم دهاء، ذلك أن الحواة أو السحرة هنا درجات...

لكن الأمر مختلف مع العلماء، إذ لابد أن يكون العالم صادقاً مع نفسه، ومع تجاربه، ومع كونه الذي يبحث فيه، لأن أي شذوذ أو حيود عن هذا النظام المذهل الذي يتعامل فيه مع نفسه، أو في كل ما حوله من جماد وسوائل ومخلوقات وأرض وكواكب ونجوم ومجرات....الخ، لابد أن يكتشف غيره شذوذه – طال الزمان أو قصر – ولكن هذا موضوع آخر يحتاج لدراسة مستقلة لنرى أن التدليس في مجال العلوم التجريبية ليس محمود العواقب، رغم أنه – أي التدليس – لازمة هامة من لوازم

السحرة، وبه يكسبون خبزهم وأدامهم وثرواتهم! إذن... فما الذي يجمع بين هؤلاء وهؤلاء؟

شر لابد منه!

الواقع أن الذي جمع بين عالم وساحر هو مجال غريب تدور حوله الشكوك منذ زمن طويل، ودون أن يصل فيه أحد إلى نتيجة حاسمة... فمعظم العلماء لا يريدون تلويث سمعتهم العلمية في بحوث مضللة لا ضابط لها ولا رابط، كما أنهم موقنون أن مسألة القوى الخارقة التي يزعم البعض امتلاكها، فيثنون بها المعادن، ويحركون الأشياء من خلال تركيز طاقتهم الخفية عليها، هي نوع من الدجل والخداع الذي يمارسه السحرة أو الحواة على المسارح، وعندما دعوا لمشاهدة هذه الظواهر المثيرة، رفضوا تلك الدعوات، ربما احتراماً لسمعتهم، أو عدم تضييع طاقاتهم فيما لا يفيد، أو لأنهم ليسوا ضالعين في كشف الخدع التي يقوم بها أمثال هؤلاء الأدعياء، فلكي تكتشفهم، كان لابد أن تكون ملماً بأساليب خداعهم، خاصة وإن بعضهم ضالع في هذا المجال!

وقد يقول قائل: لكن هناك بعض العلماء الذين درسوا هذه القوى الخفية في معاملهم، وشاهدوها وسجلوها ونشروها واعترفوا بأن هناك بالفعل من يستطيع ثني الملاعق، أو تحريك الأشياء دون لمسها، أو التنبؤ بأحداث ستقع في المستقبل، أو قراءة مخطوطات محفوظة داخل أغلفة تخفي ما سُجّل فيها.... الخ..... فلماذا هذا الرفض واللف والدوران؟

وهذا صحيح ظاهراً، لكن العلماء الذين شاركوا فيها قد جازت عليهم الخدع، وانطلى عليهم التدليس، والذي كشف لهم أنه قد غرر بهم هو جيمس راندي - كبير سحرة هذا الزمان، وهو لا يزال يعيش في نيوجيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية، ويقال أن لم يظهر مثله منذ وفاة هوديني العظيم في عام /١٩٢٦/، هذا ومما يذكر على راندي أنه تحدى كل من يدعي امتلاك لتلك الطاقات الأسطورية أن يظهرها أمامه، فإذا استطاع، فله مكافأة قدرها عشرة آلاف دولار، ولكن أحداً لم يجرؤ أن يتقدم إليه، ولا زالت تلك المكافأة السخية قائمة حتى الآن، ودون أن يحظى بها أحد.

وراندي أيضاً هو مؤلف كتاب بعنوان (سحر يوري جيلر)، ويعتبر جيلر أشهر رائد في مجال هذه القوى الخفية، ولا يجاريه فيها إلا شاب فرنسي يدعى جان بيير جيرارد، ولقد أوضح راندي في كتابه أن جيلر أكبر مخادع، وإن ما يعتبره العلماء الذين شاهدوه وهو ينجز معجزاته، وشهدوا له بامتلاكه قوة خفية يصعب تفسيرها

بأية معايير أو نظريات معروفة، ليست في الواقع إلا نوعاً من الغش والتدليس والخداع، وأنه أي راندي - يستطيع أن يكرر كل حركة أتى بها جيلر، وهو فوق كل هذا قد أوضح لهم في كتابه كيف يمكن اكتشاف هذه الخدع، وإذا لم يستطيعوا، فعليهم أن يستعينوا بساحر أو أكثر، عله يكشف لهم ما عجزوا عن اكتشافه.

ولقد كان لهذا الكتاب الخطير وقع أليم في نفوس العلماء الذين تحمسوا لمثل هذه البحوث المريبة، ومن ثم لم يجدوا مفراً من دخول السحرة إلى معاملهم، ليرشدوهم إلى مواطن الضعف التي يمكن أن ينفذ منها المدعون بامتلاك هذه الظواهر في غفلة منهم...

ولقد نصح راندي العلماء الذين لا يريدون أن يدخلوا الحواة في دراساتهم، حفاظاً على سمعتهم - نصحهم بأن يطلعوا على نصائحه في هذا المجال، وهي التي أطلق عليها اسم (مشروع ألفا) (أو ألف) وفيه قدم ٣٨٨ بنداً أو نصيحة لتجنب أية خدعة أو غش يمكن أن يقوم به الأدعياء.

أول تعاون مثمر:

هناك جوانب كثيرة لهذا الموضوع المثير، لكن علينا أن نركز على حالة الشاب الفرنسي جيرارد الذي وقع تحت اختبارات كثيرة يقال أن أظهر فيها (كراماته) أو معجزاته في ثني المعادن، وتحريك الأشياء، وقراءة ما تحتويه الأوراق وهي داخل مظاريف أو علب مغلقة... إلى آخر هذه الأمور التي تقع تحت بند ما يسمى (الباراسيكولوجي) أي فيما فوق أو وراء النفس البشرية من قوى خارقة.

وقد اشتهر جيرارد في الدوائر العلمية، حيث احتضنه العالم الفرنسي تشارلز كروسارد وهو رئيس لعدة معامل بحثية تضم ثلاثة آلاف نسمة، لتخدم شركة فرنسية كبرى مشهورة للمعادن والكيماويات (شركة بيشيني)......

ولقد استطاع كروسارد – بما له من نفوذ – أن ينشئ معملاً خاصاً لبحوث الباراسيكولوجي، وكان جيرارد هو بطل اللعبة فيها، وطبيعي أن تتمخض هذه البحوث عن نتائج، ولابد للنتائج أن ترى النور على أوسع نطاق، ولكي يتم ذلك، فلابد من نشرها في مجلة علمية مشهورة، وليس هناك ما هو أعرق ولا أشهر من مجلة (نيتشر) البريطانية (أي الطبيعة).

وقد سبق لهذه المجلة أن نشرت بحثاً لبعض العلماء الأمريكيين عن خوارق يوري جيلر، فلماذا - إذن - لا تنشر بحثاً عن الفرنسي جيرارد ومعجزاته، إذ

ليس هو أقل مرتبة من جيلر.... أضف إلى ذلك أن كروسارد من العلماء المعروفين لدى هيئة تحرير المجلة، وسمعته طيبة، وهذه تشفع له في جدية النتائج التي توصل إليها!

لكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن وخاب أمل كروسارد والذين معه بعد أن رفضت مجلة (نيتشر) أن تنشر الموضوع، لتخوفها من عدم جدية النتائج، خاصة وإن بعض الشكوك قد حامت حول البحث المنشور عن جيلر من قبل.

ولكي يثبت كروسارد صحة النتائج التي حصل عليها عن قوى جيرارد الخفية، أرسل دعوة إلى كل من دافيد ديفيس من هيئة الإشراف على نشر البحوث بالمجلة، والعالم الفيزيائي كريس ايفانز الذي جازف من قبل وأقر بحثاً للنشر في المجلة عن يوري جيلر وخوارقه، هذا رغم أنه من المتشككين في القوى الخارقة، وزيادة في الحرص، وتخوفاً من الخدع التي قد تمر عليهما دون اكتشافها، دعيا الساحر الأمريكي راندي، وتوجه الثلاثة من بريطانيا إلى فرنسا، حيث يوجد معمل الباراسيكولوجي، وعلى رأسه كروسارد، وبطله جيرارد!

ومع أن كروسارد يعتقد في قوى جيرارد الخارقة، ومن المتعاطفين معه، إلا أنه – في الوقت ذاته – يعرف أنه ساحر، إذ أنه مقيد في قائمة حواة فرنسا، وربما يستخدم سحره ليسحر أعينهم.... ورغم ذلك يذكر كروسارد في بحثه الذي أرسله للنشر في مجلة (نيتشر) أن جيرارد قام بـ ١١٦ محاولة لثني المعادن، وإن بعض هذه المحاولات قد تمت تحت مراقبة حذرة، إلا أنه يعود فيذكر (لكن في بعض الحالات أظهر جيرارد بعض الحركات التي أربكتنا، ولهذا فمن المحتمل أن يكون قد خدعنا أثناء ذلك).... وهذا يعني تخوفاً وشكاً في صحة النتائج، وذلك كفيل بعدم قبول البحث للنشر.

لكن وجود ساحر كبير مثل راندي المتمرس على خدع أعتى وأكبر، سوف يكون بمثابة صمام الأمان، أو وثيقة التأمين، ضد أي تضليل أو غش يمكن أن يجوز على المراقبين دون اكتشافها......

المهم أن التجارب قد بدأت، والرقابة قد أحكمت والقضبان المعدنية قد دمغت، وبهذا لا يمكن تغييرها بخدعة ذكية، خاصة وأنه قد ثبت أن كلاً من جيلر وجيرارد قد ضبطا متلبسين بالغش في أكثر من تجربة، نتيجة للتسيب في الرقابة... ولقد ظل جيرارد يركز قوته الخفية على قضيب معدني، وبقي على هذا

الحال ثلاث ساعات كاملة، وصبر عليه المراقبون صبراً جميلاً، لكنه أعلن فشله، وخاب أمل كروسارد في رجله، وأراد أن يعزي نفسه، فذكر أما الحاضرين (الحق أن البروتوكول الذي اختاره راندي كان رائعاً جداً) لكنه - مع ذلك - لم يفقد الأمل في جيرارد، وعلق على ذلك قائلاً (إنني متأكد تماماً أنه بعد عدة محاولات أخرى، فإنه " يقصد جيرارد " سينجح في تحقيق ما فشل فيه هذه المرة)! وكان ذلك دليلاً كافياً على رفض نشر بحث كروسارد في مجلة نيتشر، إذ ثبت أن تشديد الرقابة على هذا الدعي أو غيره من الأدعياء كفيل بتبخر (معجزاته) والحقيقة أنه لا توجد معجزات أو قوى خارقة، بل هي حيل ذكية لا تختلف عن حيل السحرة، لكن التلميذ هنا لا يستطيع أن يغش أمام أستاذه... نعني جيرارد أمام راندي الساحر العظيم، أو كبير سحرة هذا الزمان!

تجربة أخرى فاشلة:

ومنذ فترة نشرت مجلة (لا ريشيرش) العلمية الفرنسية (وتعني البحث) موضوعاً مطولاً عن محاولة تمت في أحد معامل باريس، واستمرت ساعتين وأشرف على تمويلها وتنظيمها التليفزيون الفرنسي، وكانت تحت الإشراف العلمي لعالم الفيزياء البروفيسور ايفز فارج مدير المركز القومي للبحوث العلمية وبمساعدة اثنين من زملائه هما ايفز بتروف - وايتين جويون، وحضر هذه الجلسة أيضاً الساحر الفرنسي كيلنجسور رئيس الاتحاد العالمي للسحرة.

وأقر الجميع أن تبدأ التجارب بتقديم قضبان معدنية لجيرارد لثنيها بقواه الخارقة، وأن تكون شروط التجربة هي نفس الشروط التي وضعها راندي في معامل (بيشيني) بجرينوبل قبل ذلك بشهور (وهي التي سبق وفشل فيها جيرارد فشلاً ذريعاً)...... ويضاف إليها أيضاً - وبعلم جيرارد الذي أقرها - تحريك بعض الأشياء الخفية الموضوعة على منضدة، أو نقلها من مكان إلى مكان دون أن يمسها أو يمس المنضدة، أو عليه أن يرفعها قليلاً في الهواء حتى يوقنوا بأن مزاعمه صحيحة في هذا المجال! (سبق أنه زعم وشهد البعض على ذلك أنه يستطيع رفع الأشياء في الهواء).

وتذكر مارسيل بلانك من هيئة تحرير مجلة (البحث) الفرنسية أن (جيرارد قد فشل في تحقيق هذه الأهداف، وأنه علل فشله بقصر الوقت الذي يجب أن تتم فيه كل محاولة "ساعة لكل منها" مما ساعد على تشتت قواه الخفية)!

وكان مما ذكرته أيضاً في هذا المجال أن الهيئة العلمية بمعامل بحوث شركة بيشيني قد الحت مراراً على عالم كبير مثل برنارد دريفوس مدير مركز الدراسات النووية بجرينوبل، وهو في نفس الوقت رئيس الجمعية الفرنسية لعلم الفيزياء، ألحت عليه كي يحضر ويرى بنفسه خوارق جيرارد، وليكون شاهد إثبات على تقرير سوف تتقدم به الهيئة (وعلى رأسها كروسارد بطبيعة الحال) إلى مجلة نيتشير وأساءه ذلك، لأنه لم يكن يعرف سيزج باسمه وسمعته في مثل هذه الأمور، ومع ذلك فقد قبل المشاركة على مضض، فعله يرى جديداً، ولقد ظل يرقب ما يجري بحرص وحذر. وبعد أن استمرت التجربة من الساعة الحادية عشر مساء حتى الساعة الثالثة والنصف صباحاً (أي على مدى أربع ساعات ونصف الساعة) رفض البروفيسور دريفوس أن يشهد بصحة انثناء قضيب معدني، إذ لم يحدث ذلك إلا في الدقيقة الأخيرة، ثم حدث فجأة، وكان انحناء المعدن طفيفاً، وشك دريفوس في أن يكون الأمر قد انطوى على خدعة. وكتب لمجلة نيتشر خطاباً خاصاً يخبرها بوجهة نظره، وأنه لم يشهد شيئاً خارقاً في تلك الليلة.

وبعد عدة شهور، ومع الإلحاح الشديد قبل دريفوس أن يجري نفس التجربة في مركز البحوث النووية، وفي معمله الخاص وفي حضور اثنين من الحواة، وفي وجود تجهيزات معملية على درجة عالية من الكفاءة لكي تكشف عن وجود أية طاقة خفية يمكن أن تنبعث من جيرارد، سواء أكانت على هيئة مجالات جاذبية، أو مجالات كهرومغناطيسية...... الخ

والنتيجة أن التجربة تمخضت عن لا شيء، عدا أن إبرة مغناطيسية قد اهتزت قليلاً، وعللها دريفس باحتمال وجود مغناطيس صغير يخفيه جيرارد بطريقته في مكان أمين، خاصة وانه كان يعلم مقدماً نوع التجارب التي ستجري عليه، وحمل مغناطيس صغير ليس مشكلة، بل أن المشكلة في فشله، ولماذا لا ينقذ سمعته بخدعة من خدعه؟!.....

ولهذا كتب دريفوس في تقريره (يبدو في المرحلة الحالية انه من السابق لأوانه القول بوجود ما يسمى بظاهرة الخوارق)!

ولقد سبق أن أحضر جون هاستيد الفيزيائي البريطاني المعتقد بوجود الخوارق سبق أن أحضر صبياً بريطانياً عمره ١٣ عاماً ويدعى ستيفن نورث، إلى جرينوبل حيث وضعه البروفيسور دريفوس تحت الاختبار..... والنتيجة: لا شيء..... لا خوارق!

مكيدة السحرة!

لكن مما زاد الطين بلة أن العلماء الذين ارتضوا لأنفسهم أن يجروا وراء سراب خادع، أو أن يبحثوا في خدع يقوم بها بعض الحواة، ويحاول تفسيرها بخوارق ومعجزات، قد أصبحوا أضحوكة بين زملائهم من العلماء الجادين أبوا أن يشتركوا في مثل هذه البحوث الكاذبة، لعلمهم أنها تقوم على الحيل والغش والدجل والخداع، وبحيث حولت بعض العلماء عن جادة الصواب، وراحوا يبحثون عن أوهام لا وجود لها إلا في خيال العوام.

ففي العام الماضي تناولت مجلة الرجل العصري (نيوساينتست) البريطانية أحداث فضيحة أوضحت استغفال السحرة للعلماء، وأظهرتهم بمظهر البله والسذاجة وأنه من السهل أن ينخدعوا ببعض حيل بسيطة لا تجوز إلا على البسطاء، وملخص هذه الفضيحة أن راندي قد اتفق مع شابين من أدعياء الخوارق أن يدخلا أحد تلك المعامل التي يطلق عليها معامل الباراسيكولوجي، وأن يمثلا بضع خدع يجيدانها أمام العلماء المعتقدين في ظواهر ما وراء الطبيعة أو الخوارق، وبالفعل كتبوا عنهما أنهما يمتلكان طاقات يحركان بها الأشياء، ويلصقان بواسطتها حلقات من الخشب تلقائياً، ويقرآن ما خفي من معلومات، ويحددان أشكال وصوراً مطوية ومخبأة في ظروف مغلقة، وأيضاً يلويان المعادن ويحطمانها....الخ!

أما الشابان فهما ستيفن شو، وميشيل ادواردز، والمعمل بجامعة واشنطن في سنت لويس، والممول سانفورد ماكدونيل من شركة ماكدونيل – دوجلاس لصناعة الطائرات (وقد دفع للجامعة مبلغ ٥٠٠ ألف دولار) والمشرف على هذا البحث هو الدكتور بيتر فيليبس مدير معامل الفيزياء بالجامعة المذكورة، ولكي يبدأ البحث في البحث عن الخوارق، كان لابد من وجود من يمتلك هذه الظاهرة، وأقحم راندي الشابين شو وإدواردز على دكتور فيليبس، وتم كل شيء على ما يرام، أو حسب ما يهوى الساحر وبطانته.

هذا رغم أن راندي قد حذر فيليبس من ضرورة الحذر حتى لا يقوم الشابان بخداعه، ولكن فيليبس لم يقبل نصائحه، ثم ثبت أن الشابين قد أجريا التجارب بطريقتهما الخاصة، هذا بالإضافة إلى التسيب والتساهل في الشروط.....

من ذلك مثلاً أن الشابين قد تخلصا من الأجهزة الالكترونية والمسجلات والكاميرات التلفزيونية وغير ذلك مما قد يلتقط كل شاردة وواردة بدعوى أن موجات

هذه الأجهزة تتداخل في موجات قواهما الخارقة، كما أنها تسبب لهما صداعاً يمنعهما من التركيز.

ورغم أن فيليبس قد قرأ بادئ الأمر أن الشابين يمتلكان نصيباً لابأس به من القوة الخارقة، وأن أحد زملائه الذين أشرفوا على هذه التجارب قد راح يعلن رأيه بثقة بالغة عن طريق شبكات التلفزيون ويؤكد انه شهد الخوارق التي يقوم بها الشابان - شهدها وهي تحدث أمام عينيه، رغم الرقابة الصارمة التي فرضت عليهما (وهذا من أثار الساحر راندي، فكشف في مؤتمر صحفي أن الشابين كانا شريكين في اللعبة وأوضح في هذا المؤتمر للناس سذاجة العلماء الذين يعتقدون أن ظاهرة تسيد العقل على المادة "أي تحريك الأشياء وثنيها بطاقة غير منظورة" ظاهرة صحيحة وموجودة) - على حسب ما جاء بالنص في دراسة نشرها لا في العام الماضي بأحد أعداد مجلة نيوسايننست البريطانية دكتور هاري كولينز مدير مركز الدراسات العلمية بجامعة باث.

ويضيف راندي (لقد استغفل الشابان فيليبس ومن معه من البداية رغم تحذيري لهم بضرورة اليقظة وتشديد الرقابة على الشابين)!

إذاً فالعيب موجود في أنماط تفكير بعض العلماء، وكأنما هم لا يكتفون بخداع غيرهم لهم، بل يزيدون عليهم بخداع أنفسهم لأنفسهم، وهو نوع من الانحراف الفكري الذي يحتاج إلى دراسة أنماط التفكير عند هذا الصنف من العلماء.

فمنذ زمن طويل والمتهمون بالبحوث الروحية أو الباراسيكولوجية يودون من صميم قلبهم اعتراف العلم بهذه القوى الخارقة، لكن مجريات الأمور تشير إلى أن هذه الخوارق زيف وخداع لا يجوز إلا على أصحاب العقول الضعيفة!

ليست من العلم في شيء:

ومنذ سبع سنوات، ظهر على صفحات مجلة (الهيومانيست) أي القيم البشرية سلسلة من المقالات تحت عنوان (فضح الروحية والخوارق)، وقد تناول كل مقالة منها عالم من العلماء، وأوضحوا - بمنافسة موضوعية - أن هذه الأمور لا ترقى بحال من الأحوال إلى مستوى العلوم التجريبية، لأنها في مجملها غش وخدع ذكية يقوم بها نفر من الحواة، لا ليكسبوا عيشهم فحسب، بل لتحقيق شهرة شخصية - فالمعروف عن الحاوي أنه مخادع في كل ما يقدمه، وهذا وحده كفيل بوضعه فيوضع اجتماعي لا يحسد عليه، لكن أن يدعي امتلاك قوى خارقة، تجعله في مرتبة أسمى من مرتبة البشر العاديين.

فهذا شيء آخر يحيطه بهالة من الاحترام والقدسية والرهبة، وكأنما هو من ذوي المعجزات والكرامات التي ينحني لها الناس بما فيهم بعض العلماء الذين يعشقون ذلك!

خذ على سبيل المثال عالم من علماء الرياضيات يدعي البروفيسور تشارلز تارت من جامعة كاليفورنيا بديفيز...... هذا الرجل ألف كتاباً بعنوان (كيف تتعلم الإدراك فيما وراء الحدس) – بما في ذلك الغيب بطبيعة الحال، وفي الكتاب تحليلات إحصائية توضح أن مجال الصدفة لا ينفع في شرح ظاهرة الخوارق، فهي لا تقع تحت أي بند من بنود المنطق أو المعقول......

ولقد أفزع ما جاء في هذا الكتاب علماء الرياضيات، واضطروا أن يعودوا إلى التجارب والأجهزة التي استقى منها تارت أرقامه وإحصائياته، وتبين لهم أن ما توصلوا هم إليه كان عكس ما ذكره تارت، أي أنها تقع تحت بند الصدفة – لا الخوارق.

ومن أجل هذا كتبوا تعليقاً على الكتاب وقرروا فيه بالحرف الواحد (إلى حين إعادة هذه التجربة أي التي ذكرها تارت في كتابه).

فلا زلنا حتى الآن (وبالنسبة لهذه الخوارق) في موقف يشبه موقف الكيميائي الذي اكتشف أنه كان يجري تجربته في أنبوبة اختبار قذرة، وبغض النظر عن كونها قذرة قليلاً أو كثيراً، فإن ذلك ليس مهماً بقدر ما يهمنا أن تبدأ التجربة بأنبوبة اختبار نظيفة!

والمغزى هنا لا يخفى على لبيب، فهذه العبارة المهذبة تعني أن مثل هذه البحوث أو النتائج تشوبها شوائب، وأنها ليست نظيفة تماماً.....

أو بمعنى أوضح: أن شوائبها هو التحيز والكذب والخداع والتسيب، وطبيعي ألا يقبل العلماء نشر هذه البحوث الكاذبة في مجلاتهم العلمية، وليذهب بها أدعياء الروحية لنشرها في مجلات الروحية والخوارق والمعجزات والباراسيكولوجي وما شابه ذلك، أو يقدمونها في كتب تدر عليهم أموالاً طائلة، خاصة إذا كان مؤلفها أحد العلماء الذين استهوتهم هذه الخدع، فاعتبروها خوارق ومعجزات، ثم أن هذه الكتب والمنشورات تجد لها سوقاً رائجة، وقراء كثيرون مغرمين بها، وعنها ينقل بعض الكتاب العرب، ويتحيزوا لها، ويفتون بأن العلم قد اعترف بها، رغم أن العلم بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب.....

لكن يبدو أن هذه الأفكار تبدو جذابة، لأنها مستوردة، وكل مستورد جذاب، كما أنها تبدو ظاهرياً وهي تلبس ثوب العلم، ولكن الباطن عفن وخادع ورديء، ولا يتمشى مع عقل راجح، وفكر واضح!

والواقع أن سر اهتمام كاتب هذه الدراسة بمثل تلك الخوارق يرجع أيضاً إلى تجارب شخصية مرت به مع من يدعون تحضير الأرواح، أو التخاطب مع الأشباح أو معرفة الغيب عن طريق التنويم، أو استخدام الجن، أو الإتيان بالمعجزات وغير ذلك من أمور تقع تحت بند الباراسيكولوجي أو الخوارق، وفي كل مرة من المرات الخمس أو الست التي اضطررت إلى حضورها مع أصدقاء يعتقدون فيها.

في كل مرة كنت أطلب من مدعي الإتيان بالخوارق أن ينفذ شرطاً أو أكثر من شروطي، حتى لا تجوز علينا خدعة في غفلة منا، وفي كل مرة تفشل التجربة، ويمتنع المدعي عن الاستمرار بحجة أن هذه الغيبيات لا تقبل التحدي، ولا هي تظهر في وجود متشكك، وأحياناً ما يأتيني اللوم من أصحابي، لأنني أفسدت كل شيء بعلمي المزعوم (هكذا!!).....

وكثيراً ما كنت أتوصل إلى سر الخدعة، ولكني لا أستطيع أن أبوح بها، وإذا بحت بالسر، صمت الآذان وكان لها وقراً، أو هوجمت لأنني كشفت الحقيقة، إلا أن هذا موضوع آخر لا مجال له هنا، ولكن مما لاشك فيه أن معظم الناس مولعون بالخيال والغيبيات، وربما كان غياب وعيهم بما يدور حولهم نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لذلك.

كلمة أخيرة:

ونود أن نوضح في ختام هذه الدراسة أن العلماء يرفضون هذه الخوارق – ليس حباً في الرفض، بل يرجع ذلك إلى عقليات العلماء وأفكارهم مستقاة من نظام الخلق الذي يبحثون فيه (البعض يفضلونها مادية العلم!).....

فالذين درسوا المادة ومكوناتها، والحياة وأسرارها، والأرض وثرواتها، والبحار وخيراتها، والأكوان وقوانينها، والأجرام السماوية بحركاتها ومداراتها.. الخ.. الخ، يعرفون – قبل غيرهم – النظم المذهلة في كل خلق، صغر شأنه أو كبر، وبهذا التنظيم الذي يرونه ليل نهار، انتظمت تبعاً لذلك عقولهم، ولهذا يعتبرون كل شذوذ عن هذا النظام، إنما هو خرق له، وتلاعب به، والخوارق التي نتحدث عنها تقع تحت هذا البند.

ولقد صحت أراء العلماء، إذ ثبت – كما قدمنا – أن الخوارق ليست – في الحقيقة – إلا غشاً وخداعاً يقوم به بعض السحرة، وقد اعترفوا بذلك عندما فشلوا.....

أما العلماء الذين يعتقدون في ذلك فهم قلة قليلة، وتعتبرهم الغالبية من الشواذ، ولا حكم على الشواذ بطبيعة الحال!

إن واحداً مثل دكتور جورج برايس من جامعة مينيسوتا الأمريكية يعلق في مجلة (ساينس) الأمريكية (العلم) عن ظاهرة الخوارق بقوله (إن أحسن النتائج التي تحققت في هذا المجال، وقيل عنها أنها من الخوارق التي لا يمكن تفسيرها – هذه النتائج يمكن تكرارها عن طريق خدع ذكية)!

وواحد مثل البروفيسور إدوارد كوندون من جامعة كولورادو ينظر إلى الهوس الذي أصاب الناس في عصرنا الحاضر من جراء عدة ظواهر خادعة يمكن شرحها ودحضها بأسباب معروفة، فنراه يقول: (إن مسألتي الأطباق الطائرة والتنجيم ليستا الظاهرتين الوحيدتين اللتين يمكن تصنيفهما تحت بند العلوم الكاذبة أو الخادعة، بل يلحق بهما في هذا المجال الظاهرة الروحية والاستدراك والإدراك عن طريق حواس غير حواسنا التقليدية، أو غير ذلك مما ينتشر بين الناس.

ولهذا فمن رأيي أن الناشرين الذين ينشرون ذلك، أو المعلمين الذين يذكرونه أمام تلاميذهم – من رأيي أنهم إذا وجدوا متلبسين، أن يجلدوا بالسياط في ميدان عام، وأن يحرموا من ممارسة نشاطهم في مجال هذه الوظائف التقليدية!

وطبيعي أن كوندون متطرف في حكمه، إذ يكفي لومهم وإنذارهم وطردهم في نهاية الأمر، ما لم تستقم أفكارهم، وكنا نود أن يلحق بهم العلماء الذين يثبت خداعهم لأنفسهم، أو خداع السحرة لهم، فهذه غفلة لا يصح أن تكون سمة عالم من العلماء.....

ونحن نستند هنا أيضاً إلى قول الإمام الغزالي في مسألة شبيهة بالخوارق أي مسألة الجن، إذ يقول (من ادعى أنه يرى الجن، فلا تقبل شهادته).... والجن من الغيبيات، ويعني ذلك أن مثل هذا الإنسان مشكوك في قواه العقلية!

وينطوي تحت هذه المزاعم أيضاً معرفة مسألة الروح وقراءة الغيب وغير ذلك من أمور يزعم بعض الناس أنها مسخرة لحسابهم..... كل هذا وغيره قد حسمه القرآن الكريم في أكثر من آية...... ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ {الإسراء: ٨٥} ..... ويعني هذا بوضوح تام أنه لا سلطان لأحد على الروح، وذلك ما ينادي به العلماء الآن، ويعترفون به، وكل ما عداه فهو خداع وضلال.

وعن الغيب الذي يمكن معرفته بحواس غير حواسنا، فقد حسم القرآن الكريم الأمر في أكثر من آية ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ {الجن: ٢٦} .... ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ {الأعراف: ١٨٨} ...... ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ {يونس / ١٠} ...... ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ {آل عمران: ١٧٩} .. الخ.

هذا هو القول الفصل...... وما عداه فسراب وضلال وخدع لفظها العلم، واعتبرها خوارق تخرق عقول من اعتقدوا فيها، فتصيبها بثقوب تؤدي إلى البله والسذاجة، لكن لا شأن لها بخرق قوانين الكون الصامدة، أو نواميسه المتقنة..... فهذه أقوى من أي شيء عرفناه في الكون والحياة..... ولكل ما سعى أن تعقلا فتعقلا، وإن خيالاً فخيالاً!

فرويد يحدثك عن السحر

❖ نظمي لوقا

لقد كان السحر هو الوسيلة البدائية التي ظن الإنسان أنه يملي بها رغبته وإرادته على الواقع، إلى أن تطور التفكير فكانت الحضارة القائمة على مواجهة الواقع وإعادة تشكيله بالعلم والتكنولوجيا.

يفتتح سيجموند فرويد كلامه عن السحر - في كتابه الشهير "الطوطم والتابو" - برفض قاطع للفكرة الشائعة عند سواد الناس عن نشأة أول تصور للكون عند البشر، فيقول:

" ينبغي ألا يقوم في الأذهان أن البشرية ابتدعت تصورها الأول للنظام الكوني بدافع من الظمأ الفطري للمعرفة التأملية ".

ويؤكد "فرويد" بعد ذلك أن الأغراض العملية هي التي كان لها السبق عند الإنسان "البدائي" على الأغراض النظرية أو التأملية. فقد كان هذا الإنسان القديم مدفوعاً إلى التعرف على العالم بحاجته إلى السيطرة عليه، لا برغبته المجردة في فهمه واستكناه معناه. فمراد هذا الإنسان البدائي قبل كل شيء هو الوصول إلى " السيادة " بقدر الإمكان على الناس والحيوان والنبات والجماد.

وكان في طوره البدائي يعتقد أن كل شيء في الدنيا مجبول على غرار تكوينه، أي أن في كل شيء حياة، حتى ما ندعوه نحن جماداً كانت له في اعتقاده حياته، فقوى الطبيعة كلها لها " أرواح " مثل روحه. وأسلوب هذا الإنسان القديم - الذي كان أيضاً أول أسلوب للسيطرة على الطبيعة - هو ما يسميه " رينباخ " الشعوذة والسحر. ففي هذين المظهرين البدائيين تنحصر "إستراتيجية" ذلك التفكير البدائي، على حد تعبير "فرويد".

الفرق بين الشعوذة والسحر:

ويفرق "فرويد" بين الشعوذة والسحر، فيقول أن الشعوذة أساساً هي فن التأثير في أرواح الموتى بمعاملتهم على نحو ما يعامل الأحياء من البشر إذا كانوا في مثل ظروفهم، أي بالتهدئة والاسترضاء أو بالتهديد والترويح والإرهاب، ولا يختلف هذا الإرهاب عما هو متبع لدى الإنسان البدائي مع عدوه من البشر، حين يلجأ إلى إحداث ضجة عالية

لتخويفه كي يلوذ بالفرار، أمّا وسائل الاسترضاء فمعروفة، وأهمها تقديم الهدايا والتقرب بأناشيد الثناء والتحبب.

أما السحر فشيء آخر، وهو على كل حال – في رأي فرويد – أقدم عهداً وأرسخ قدماً من الشعوذة، وينطوي هذا الفن القديم على وسائل إجبار الشبح أو الروح على فعل معين، عن طريق الاستيلاء على اسمه الحقيقي، فللاستيلاء على الاسم أهميته الكبرى في نظر الإنسان البدائي (كما سنرى فيما بعد).

ويؤدي السحر أغراضاً متباينة جداً، إذ يخضع عمليات الطبيعة لإرادة الإنسان – أو هكذا ينبغي في نظرهم ويرمي إلى حماية المرء من الأضرار والأخطار، ويزوده بالقدرة على الأضرار بأعدائه.

والمبدأ الذي يعمل فن السحر بمقتضاه قد لخصه " تيلر " بإيجاز وأحكام عظيمين حين قال: يقوم فن السحر على اعتقاد الإنسان البدائي بأن العلاقة الذهنية علاقة واقعية أيضاً ويمضي "فرويد" في تفصيل هذا المبدأ، فيقسم النشاط السحري إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى هي: "العمل السحري الضار" أي الموجه ضد العدو، من قبيل "العمل" السحري الذي تصنعه الزوجة للأضرار بضرتها، أو الرجل للأضرار بغريمه في حب أو حرب.

ومن أشيع صور هذا النوع من السحر أن تصنع لعدوك تمثالاً من أي نوع من أنواع المادة.

ولا يلزم لهذا أن تكون مثالاً بارعاً مثل " رودان " أو " ميكل أنجلو " أو " محمود مختار " فالشبه هنا ليس ضرورياً، بل يكفي أن تقول عن أي شيء إنه تمثال خصمك، حتى لو كان قصاصة ورق (على نحو ما تصنعه بعض عجائزنا من افتراض أن قصاصة ورق على شكل شخص آدمي أياً كان " الحاسدة " التي تريد عمل " الرقية " لإبطال حسدها، ثم تخرج القصاصة بإبرة وتزعم أنها تفقأ عين الحسود). فالقاعدة الكبرى في هذا السحر أن كل ما يصيب التمثال المزعوم يصيب " الأصل " الذي يرمز إليه لا محالة. ويقول "فرويد" إن هذا الأسلوب السحري لم يكن مستخدماً في الزمن الغابر ضد الأعداء العموميين، بل وأعداء الآلهة، ولمساعدة الأرباب ضد شرار الجن.

وينقل فرويد عن "فريزر" هذا النص من آثار قدماء المصريين:

"في كل ليلة عندما يغيب إله الشمس "رع" في الغرب المتوهج وتهاجمه جيوش الجن تحت إمرة رئيس الشياطين أو أرواح الشر الذي عرفه قدماء المصريين باسم "أبيبي" ويظل إله الشمس "رع" يقاتل "أبيبي" وجنوده طول الليل، ولكنهم في أحيان كثيرة لا يقلعون عن التصدي لمناوأته بانقضاء الليل، بل ينفسون على "رع" إله الشمس تربعه على عرش ملكه في رائعة النهار، فيحدث أحياناً أن ترسل قوى الظلام السحب القاتمة على سماء مصر الصافية الزرقاء كي تعتم ضوء الشمس وتحجبه عن عباد "رع"، وتضعف قوته على الدفء، والنماء.

ولشد أزر إله الشمس "رع" في نضاله اليومي هذا تقام الطقوس يومياً في معبده بمدينة طيبة، فيصنع الكهنة من الشمع تمثالاً لعدوه الأكبر "أبيبي" على شكل تمساح قبيح الوجه، أو على شكل ثعبان كثير الطيات، ويكتب فوق تمثال الشمع هذا اسم "أبيبي" بالحبر الأخضر، ثم يلف في البردي، ويرسم على هذا البردي بالحبر الأخضر صورة "أبيبي" أي صورة التمثال الذي بداخل اللفافة، وتربط هذه اللفافة جيداً بالشعر الأسود، ثم يبصقون فوقها ويضربونها ضربات متلاحقة بسكين من الحجر، ويلقونها على الأرض ليدوسها الكائن الأكبر بقدمه اليسرى مراراً وتكراراً، ثم يحرقها في نار يتخذ حطبها من نبات معين.

" وبعد أن يتم القضاء على أبيبي بهذه الطريقة الفاجعة، تصنع من الشمع تماثيل لكل واحد من كبار معاونيه من الجن، وكذلك تماثيل لآبائهم وأمهاتهم وأولادهم، ويصنعون بهذه التماثيل مثلما صنعوا بتمثال "أبيبي" وتحرق كما أحرق ".

(وتجري هذه الطقوس مصحوبة بإنشاء رقى وتعاويذ خاصة ويجري تكريرها لا صبحاً وظهراً ومساء فحسب، بل أيضاً كلما هبت زوبعة، أو هطل مطر غزير، أو انتشرت سحب سوداء عبر السماء الصافية لتخفي قرص إله الشمس الوهاج.

ويعتقدون أن شياطين العواصف والمطر والظلام والسحب تشعر لا محالة بهذه الضربات التي تكال للتماثيل وكأنها تكال لها شخصياً، وبذلك تنقضي هذه المحن ولو لفترة، ويشرق إله الشمس مرة أخرى باهراً منتصراً).

ولا يفوت "فرويد" عند التعليق على هذا النوع من السحر، أن يلتفت إلى ما ورد في التوراة من تحريم صناعة التماثيل للكائنات الحية، فيقول أن الأرجح عنده أن هذا التحريم لم يكن باعثه محاربة "الفنون التشكيلية"، بل سد المنافذ على " أعمال السحر " التي كانت التماثيل أهم وسائلها.

وبديهي عندنا أن "فرويد" في هذا التعليق قد تجاهل الغرض الأساسي من تحريم صناعة التماثيل في الأديان السماوية، فهذا الغرض هو محاربة عبادة الأصنام، فذلك بداهة مقدم على هدف ثانوي هو محاربة السحر.

المطر والخصب:

ويبدي "فرويد" اهتماماً، بعد ذلك بالسحر الفرعوني..... بهدفين للسحر، هما استنزال الغيث واستجلاب الخصب ووفرة الثمار للتربة.

ويقول فرويد – بإسناده من الكتاب المتخصصين وأهم هؤلاء " فريزر " و" تيلر " إن استنزال المطر بوسائل سحرية يتم بطريقة " المحاكاة " لنزول المطر فعلاً، وربما أيضاً بمحاكاة السحب والعواصف التي تسبب نزول المطر، وعندئذٍ يبدو للعين المعاصرة أن البدائيين بهذه المحاكاة يلعبون لعبة المطر أو لعبة العواصف.

فقبيلة " الاينو " في اليابان كانت تستنزل المطر بصب الماء من غربال كبير كثير الثقوب، في حين يعد آخرون من أفراد القبيلة وعاء كبيراً يزودونه بالأشرعة والمجاديف، وكأنه سفينة، ثم يجرونه وراءهم بحبل في طرقات القرية وأزقتها، ويطوفون به الحدائق التي باتت تشكو الجفاف.

أما استجلاب الخصوبة للتربة فيتم بطريقة سحرية أخرى، وذلك بجعل الأرض المراد استثارة كوامن الخصوبة في نباتها تشهد – في الوقت المناسب – عملية الجماع، التي يقوم بها الرجال مع زوجاتهم جماعات في العراء.

وهناك أمثلة كثيرة محفوظة لهذه الطقوس "والوسائل السحرية الجنسية" في أنحاء شتى من الأرض، وفي عصور شتى، نذكر مثلاً واحداً منها هو ما كان متبعاً في بعض أرجاء جزيرة "جاوة" الأندونيسية في ذلك الزمان الخالي، إذ يخرج الفلاحون مع زوجاتهم إلى الحقول ليلاً، وهناك ينهمكون في الجماع قدر استطاعتهم.

ولكن لابد أن يختاروا لهذا "العمل السحري الجنسي" الوقت الذي يكون فيه نبات الأرز على وشك الإزهار في هذه الحقول، كي يحثوا الأرز على محاكاة انهماكهم في الجماع بالانهماك في تلاقح أزهاره، فيكثر المحصول ويربو أضعافاً مضاعفة.

ولا غرابة في جميع هذه " الأعمال السحرية الجنسية " من تحاشي أي "زنا بالمحارم" فأساطير الأولين تحفل بكثير مما تحفل به أسطورة " أوديب " – على النحو الذي أورده "سوفوكليس" في مأساته الشهيرة "أوديب ملكاً" – من أن "الزنا بالمحارم" (كالأخت والأم والابنة وما إلى ذلك) من شأنه أن يجلب الخراب والجدب على الحقول

والدول، لأن ذلك الزنا من شأنه أن يستثير النباتات " غير الشرعية " – أي "الشيطانية" كما يسميها فلاحونا – مثل الأعشاب الضارة أو السامة التي تخنق النبات "الشرعي" من أرز وغلال وما إلى هذا.

وتنبه "فرويد" إلى وجود "نواة" أو "محظورات" لابد من مراعاتها في ذلك النوع الأول من أعمال السحر، وهو "السحر بالمحاكاة". فمثلاً إذا خرج نفر من سكان القرية البدائية لصيد الخنازير البرية، فعلى الذين بقوا في القرية أن يحذروا كل الحذر – في تلك الفترة – كيلا تمس أيديهم الزيت أو الماء، لأن ذلك من شأنه أن يكسب أصابع الصيادين – على البعد – رخاوة فتفلت الطريدة منزلقة من أيديهم.

وعندما يخرج صياد من قبيلة " الجلياك " لمطاردة حيوان في الغابة يجب على أطفاله أن يمتنعوا عن الرسم أو " الشخبطة " على الخشب أو الرمل، لئلا تتشابك – على البعد – دروب الغابة وتختلط على أبيهم على منوال " شخبطتهم " هذه، فيتعذر عليه الرجوع إلى داره. وهنا يلاحظ "فرويد" على هذه الأعمال السحرية بالمحاكاة، أنها – على اختلاف أنواعها – لا تقيم وزناً للمكان أو المسافة إطلاقاً، وأن " التخاطر " (أي التليباثي) أمر بديهي مفروغ منه عند البدائيين. فالعمل السحري بأسلوب المحاكاة يؤثر – في اعتقادهم – في الموضوع المراد التأثير فيه مهما بعدت المسافة.

علاقة الاتصال:

أما المجموعة الثانية من الأعمال السحرية فلا تقوم على التشابه أو المحاكاة بغض النظر عن المسافة، بل تقوم على علاقة الاتصال أو الانتماء. وبحسبك في هذه الحالة أن تحصل على أي جزء كان ينتمي إلى الشخص المراد الإضرار به، كخصلة من شعره، أو قلامة من أظفاره، أو قطعة من ثيابه بها أثر عرقه.

ونلاحظ أن الدجالين في عصرنا بمصر . وربما أيضاً في أقطار أخرى . يسمون هذه الأشياء "الأثر" وأتذكر جيداً أنني كنت في طفولتي أقصد مع أبي حلاقاً في مدينة السويس لقص شعري، وأدهشني أن أرى رجلاً من زبائنه يحرص بعد قص شعره على جمع ما تطاير منه بعناية فائقة ووضعه في لفافة حملها معه، وسألت الحلاق الذي أكد لي في إيمان جازم أن الرجل محق، لأنه يخشى أن يقع شعره في يد عدو فيصنع له بذلك الشعر "عملاً سحرياً" لا تكون له حيلة في دفع غوائله.

ويقول "فرويد" مصداقاً لذلك فيما يرويه عن البدائيين: إن كل ما تصنعه بهذا "الأثر" فكأنما تفعله بشخص نفسه مباشرة. فكأنك بامتلاك " أثر " عدوك قد سيطرت على شخصه.

ومن أهم معتقدات البدائيين أن " الاسم " جزء أساسي من الشخص أو الروح، بل هو ألصق شيء وأدله على شخصيته. فإذا عرفت اسم شخص أو روح أو جن فأنت إذن تملك السلطان على صاحبه. وخليق بنا أن نورد في هذا الموضع طرفاً من الأمثلة على أهمية الأسماء ولاسيما أسماء الموتى، فتجنب التفوه باسم المتوفي قاعدة مرعية بدقة وصرامة غير عادية.

ولذا كانت أفدح إهانة توجه إلى الباقين على قيد الحياة من ذويه – في كثير من قبائل الهنود الحمر بأمريكا الشمالية – ذكر اسم المتوفى أمامهم، وعقاب هذا التفوه هو بعينه عقاب جريمة القتل، كما يقول " فريزر " وهو الدليل القاطع على فداحة هذا التفوه.

ولسنا نعرف على التحقيق سبب مقتهم ذكر فقيدهم إلى هذا الحد، ولكننا نعرف أطرافاً من الحيل التي يتذرعون بها لتجنب التفوه باسم الميت الحقيقي، فقبيلة "الماساي" في أفريقيا مثلاً توصلت إلى حيلة للروغان من هذا التفوه المحظور، وذلك بأن يغيروا اسم "المرحوم" عقب وفاته مباشرة، فيتسنى لهم بذلك التحدث عنه باسمه الجديد بلا حرج، لأن التحريم يظل مرتبطاً باسمه القديم. والمفروض أن الروح لا تعلم ما طرأ على هذا الاسم من التغيير، فتجهل إنهم يتحدثون عنها.

وبعض القبائل الاسترالية من السكان الأصليين أشد من هؤلاء الأفريقيين التزاماً بالحيطة في هذا الشأن، فمتى حدثت عندهم وفاة، أسرع كل شخص يحمل نفس اسم المتوفى إلى تغيير اسمه، حتى لا تتوهم روح " المرحوم " إذا ما نودي أحدهم، أنه هو المقصود..

وثمة توسع آخر في الحيطة يأخذ به بعض الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، وفي فكتوريا، فنجد كل أقارب الفقيد يغيرون أسماءهم، سواء تشابهت مع اسمه أو لم تتشابه.

وفي إحدى قبائل " برجواي " بأمريكا الجنوبية يقوم زعيم القبيلة بإطلاق أسماء جديدة على جميع أفراد القبيلة في هذه المناسبة الحزينة، ويظلون بعد ذلك يتذكرون أسماءهم الجديدة وكأنهم يحملونها منذ ولادتهم.

وفضلاً عن هذا إذا كان المتوفى يحمل اسم حيوان أو جماد كالجبل أو النهر، حرصت القبائل التي ذكرناها آنفاً على إطلاق أسماء جديدة على هذه الحيوانات والجمادات لكيلا يتذكروا الميت حينما يذكرون هذه الأسماء. وبذلك تتغير مفردات اللغة المتداولة كلما حدثت في القبيلة وفاة.

ونستنتج من هذا أن هؤلاء البدائيين كانوا يعملون على محو ذكرى الفقيد، وهو عكس ما نصنعه نحن "لتخليد" ذكراه، وهو الدليل على أنهم كانوا يخافون أرواح موتاهم ويشعرون من جانبها بخطر ما حق عليهم يتقونه بكل حيلة.

وينتقل "فرويد" إلى الحديث عن "آكلة لحوم البشر" ويربط ذلك أيضاً بتلك المجموعة الثانية من الأعمال السحرية. ذلك أن استيعاب وهضم أجزاء من جسم شخص ما بعد التهامها يجعل الآكل يكتسب بهذه الوسيلة كل خواص ذلك المأكول.

وتترتب على هذا المبدأ احتياطات وقيود ومحظورات فيما يتعلق بالتغذية في ظروف معينة. فيجب – مثلاً – على المرأة الحامل ألا تأكل كل لحم حيوان ذي صفة مذمومة – كالأرنب مثلاً لأنه متصف بالجبن – حتى لا يولد الجنين جباناً بطبعه كالأرنب، ويمتد هذا التحريم أيضاً إلى فترة الرضاع، لأن غذاء الرضيع كغذاء الجنين مستمد من جسد أمه، التي تغذت بلحم ذلك الحيوان.

وبديهي أنه يقابل ذلك التحريم السحري، حث على أكل لحوم الحيوانات المرغوب في الاتصاف بمثل طباعها. وكم سمعنا في الفولكلور عمن قلبه كالأسد، لأنه أكل من لحم أسد، أو من ضراوته وجسارته كالذئب، لأنه أكل كبد ذئب، وهلم جرا.

السحر بالعدوى:

ولا يختلف التأثير السحري عن طريق " الأثر " أو " العلاقة " سواء أكانت هذه العلاقة باقية أو كانت قد انقطعت منذ زمن طويل بعد فترة وجيزة من الصلة ذات الأهمية الحاسمة. ونضرب مثلاً لذلك ارتباط مصير الجرح بمصير السلاح الذي أحدث هذا الجرح، وقد مضى على هذا الحادث زمن يحسب بالأعوام. فإذا استطاع "مالينيزي" الحصول على السهم الذي جرحه، عني بحفظه في مكان بارد فيقل بهذه الوسيلة التهاب الجرح. أما إذا بقي السهم في حوزة عدوه فإنه لا محالة يبقيه في أقرب مكان من نار مشتعلة كي يظل الجرح ملتهباً، ويدب إليه الفساد فلا يلتئم أبداً...

ومما يرويه المؤلف الروماني الشهير "بليني" في كتابه "التاريخ الطبيعي" أنه يجدر من أصاب بيده شخصاً ثم ندم على ما أصابه به أن يبصق على يده تحقيراً لفعلتها، فيخفف ألم المصاب فوراً..

ومما يرويه " فرنسيس بيكون " عن أوهام العوام اعتقادهم أن وضع البلسم على السلاح الذي أحدث جرحاً يسبب اندمال الجرح من تلقاء نفسه.

بل في أوائل القرن العشرين ذكرت حوادث في العالم المتحضر تدل على بقايا هذا الاعتقاد الخرافي السحري، ففي شهر يونيو سنة / ١٩٠٢ / نشرت مجلة انجليزية – هكذا يقول "فرويد"– أن امرأة تدعى "ماتيلد هنري" من "نوروتش" دخل مسمار حديدي في كعب قدمها، فلم تذهب إلى طبيب، ولم تحاول تنظيف الجرح، بل ولم تفكر في خلع جوربها، واكتفت بأن أمرت ابنتها بتزييت ذلك المسمار تزييتاً جيداً، متوقعة أن يكفي هذا لشفاء جرحها من تلقاء نفسه... ولكن المسكينة ماتت بعد بضعة أيام بالتتانوس، نتيجة عدم تعقيم جرحها.

ويسمى "فرويد" هذا النوع من السحر "السحر بالعدوى" أو "بالاتصال" أو "بالتماس" أو "بالعلاقة" في مقابل المجموعة الأولى القائمة على السحر بالمحاكاة وبالمشابهة.

والآن... ماذا عن رأي التحليل النفسي، ورائده "فرويد" في موضوع السحر؟

خلاصة هذا الرأي، كما يقول فرويد نفسه: إن الدوافع النفسية لممارسة أعمال السحر من السهل جداً معرفتها. فهذه الدوافع هي رغبات الناس، فلا نحتاج إلا إلى افتراض أن الإنسان البدائي كانت له ثقة كبيرة بقوة تأثير رغباته. فمن وراء كل ما كان ينجزه البشر عن طريق السحر رغبة الفاعل الشديدة في حدوث الأمر على نحو معين. لذا نجد رغبة الإنسان البدائي هي العامل البارز الأهمية في كل حياته النفسية.

وإذا حولنا أنظارنا إلى الطفل، وجدنا أن الطفل الذي يجد نفسه في ظروف نفسية مماثلة لظروف الإنسان البدائي، أي في حالة رغبة متأججة، مع عدم قدرته على القيام بالنشاط الحركي الضروري لتحقيقها، رأيناه يرضي هذه الرغبات بواسطة الإفراط في تخيل أو توهم إشباعها، أي عن طريق "الهلوسة" أو "الهذاء".

وبذلك يخلق الموقف الذي يرضي رغباته عن طريق إثارات "مركزية طاردة" لأعضاء حواسه، أي أن إثارته لأعضاء حواسه تنبع من داخله إلى الخارج أي من التوهم، ولا تكون إثارة حواسه صادرة من خارجه، أي من الواقع.

أما البدائي البالغ فلديه وسيلة أخرى، عبارة عن "دافع حركي" لا اشتهائي فحسب. وهذا الدافع الحركي هو " الإرادة " التي تتشبث برغبته. وهذه الإرادة هي التي ستقوم فيما بعد – لدى الإنسان المتحضر – بالاتجاه إلى الواقع الخارجي فتغيروجه الأرض لتنفيذ رغباته وأمانيه، ولكنها في حالة الإنسان البدائي تستخدم "التمثيل" لهذا الإرضاء لرغباته، الذي يجعله ينعم بتحقيق رغباته تلك بما يبدو هلوسة أو هذاء حركياً.

هذا التمثيل للرغبة التي أشبعت عن هذا الطريق يمكن مقارنته بلعب الأطفال، بحيث يحل هذا التمثيل محل الأسلوب الحسي الخالص للإشباع، ولئن كان اللعب والتمثيل المحاكي كافيين للطفل وللإنسان البدائي، فلا يجوز أن نعد ذلك علاقة تواضع – بالمعنى العصري لهذه الكلمة – أو آية على الإذعان الناجم عن أدراكهما لعجزهما، كلا! بل الأمر بالعكس! فهو ثمرة واضحة جداً لمغالاتهما في تقدير أهمية وتأثير رغباتهما، وللإرادة المعتمدة على هذه الرغبة، وللدروب التي تستطيع أن تسلكها هذه الرغبة.

وهكذا كان السحر – في رأي فرويد – هو الوسيلة البدائية التي يملي بها الإنسان رغبته وإرادته على الواقع.... أو هكذا خال إلى أن تطور التفكير، فكانت الحضارة القائمة على مواجهة الواقع وإعادة تشكيله بالعلم والتكنولوجيا.

الرُّقي والتعاويذ: القديم يتجدّد!

❖ فخري الدباغ

الرقي والتعاويذ وسائل وحيل غير طبية مختلفة الأنواع والأساليب يستعين بها الإنسان لدرء المخاطر والأذى عنه، أو لتخفيف معاناته وعذابه من أمراض نفسية أو خبيثة.. أو لوقايته من أرواح شريرة وقوى ضارة يتوقع حدوثها أو حلولها فيه والسيطرة على أفكاره وسلوكه استناداً إلى عقيدة موغلة في البدائية والقدم هي: أن المآزق واضطرابات وانحرافات السلوك والفكر والشعور ـ وحتى الآلام الجسمية والشقاء تعزى إلى «أرواح شريرة» تحيط بالمصاب وتهيمن عليه وتجعله عاجزاً لا حول له ولا طول إلا إذا جابهته قوة أخرى تكمن في تعويذة أو «طلسم» أو تميمة يعدها ويصنعها شخص ذو نفوذ ديني أو سحري يدعى بصانع التعاويذ يعمل على طرد وإبعاد تلك الأرواح المؤذية بعد صراع ـ قد يطول أو يقصر.

ويلاحظ القارئ أنني راعيت الدقة في التعريف للأسباب والنواحي التالية:

أ ـ أن الرقي وسائل «روحية» غير طبية ـ أو غير علمية، إذ لم تدخل لحد الآن في عداد العلاجات الطبية والنفسية المعترف بها.. ولأنها تستخدم لعلاج شتى الاضطرابات بما في ذلك الضعف الجنسي والعشق.

ب ـ وأنها مختلفة الأنواع: لأنها كثيرة، وتتراوح من مجرد دعاء وكلام وسطور مباركة ومقدسة، إلى أعقد العمليات المنظمة المحيرة بما في ذلك من طقوس ومراسيم.

ج ـ وأنها ملجأ جذاب (ومبهم في الوقت ذاته) للإنسان الذي يعتبره حصنه الموهوم عند الأخطار والأمراض أو الشعور بمداهمتها، فهي إذن لا تقتصر على المرضى من البشر ولا تقتصر على الشخص المهدد. بل قد تعد وتحاك ضده من قبل الأعداء والحساد، أو «تعمل له» دون علمه من قبل ذويه ومعارفه حرصاً عليه وشفاء له.

د ـ وأن من يصنع التعويذة والتميمة شخص مختص أو «خبير» مؤهل ـ بالوراثة العائلية، أو بالتعلم المهني الخاص، أو بالممارسة الروحية ـ التصوفية الدينية، فيكتسب مكانة ونفوذاً خرافياً ساحراً قد لا يتعمده هو أو لا يرغب فيه إذا كان من نوادر من يقوم بالتعاويذ للخير والإحسان ولوجه الله تعالى «لا يبتغي جزاء ولا شكوراً».

في المدلول اللغوي نقول:

عاذ به عوذاً: أي التجأ إليه واعتصم به.

وأعاذه بالله: حصنه به وبأسمائه.

والعوذة: هي التميمة، وجمعها عوذ وتمائم.

وعوذه: علق عليه العوذة.

والرقية: يرقي بها الإنسان من فزع أو جنون.

فالرقي والتعاويذ والتمائم إذن: حماية وحرز وتحصينات للإنسان ضد شيء مؤذ أو خطير أومرض جسيم.

جذور وتاريخ:

لعل تاريخ الرقي والتعاويذ قديم جداً لأنها ظهرت قبل الطب القديم بزمن بعيد، ثم عاصرته وزاملته، وتداخلت معه في أحلاف ثنائية من صداقة وتعاون، أو فترات من غض النظر والهدنة والترقب وعدم التحرش.. ثم واجهت علم الطب والأطباء والفلاسفة والفقهاء بمواقف وأزمات عصبية تخللها سجال ونزاع وعداء سافر ـ وإلى يومنا هذا، عندما ظهرت بوادر وعلائم جديدة وأحاديث خافتة هامة حول إمكانية صحة أو «معقولية» التعاويذ كما سنتطرق إليه.

ولكن، كيف بدأت الرقي ولماذا؟.. هذا ما لم يدون بدقة كالأحداث التاريخية، إلا أن دراسة الحياة الاجتماعية كما كشفت عنها الإشارة والحفريات والدراسات الانتروبولوجية والتاريخية والدراسات الثقافية القديمة والحديثة (الاثنولوجية) ethnology، ألقت الضوء على سلوك الإنسان القديم ومعتقداته والأطر الاجتماعية والدينية والروحية التي كانت سائدة بين المجموعات المتفرقة من البشر بشكل قبائل صغيرة منتشرة هنا وهناك في أرجاء المعمورة ـ ولا تزال موجودة ـ في إفريقيا وجزر آسيا الجنوبية وقد تبين أن الرقي والتعاويذ احتلت جزءاً مهماً من السلوك البشري وأفكاره عن الكون والموت والحياة والمرض والجريمة (الخطيئة). فعندما كان الإنسان يدقق في نفسه وفي الكون الغامض المخيف وفي الأخطار التي لا تحصى المحيطة به، كان يجاهد لمعرفة علة الوجود وسر الخليقة ويبحث عن تفسيرات لها. وكانت المجاهيل أمامه كثيرة تعد بالمئات والآلاف، إلا أن ما كان يصدمه هو المرض بشتى أنواعه: المرض الجسمي والمرض العقلي وما يحيط بهما من معاني الموت والحياة والخلود والعدم.

وهكذا تحتم افتراض وجود القوى الأخرى خارج إرادة الإنسان وحسه وقواه. ولما كانت تلك القوى غير مرئية ولا محسوسة، فقد أصبحت ظواهر روحية غامضة. فلما صمموا أن تكون ملموسة أو مرئية شبهوها بالنصب والتماثيل ذات التعابير والأشكال الرمزية القريبة لتكون «استعارة» ومجازاً لصورة أو روح الآلهة.

والطوطمية ارتبطت بفكرة الخطيئة والمحرمات التي آمنت بها بعض القبائل البدائية. والطوطم هو نبات أو حيوان أو شيء جامد (بشكل نصب أو تمثال) تتخذه تلك القبيلة رمزاً وشعاراً مميزاً لها (كأعلام الدول أو الفرق الرياضية المعاصرة)، اعتقاداً منها أنه يذكر القبيلة بالحرمات وأسباب الشر والخطيئة، كما أنه يذود عن الفرد كل خطر طالما التزم بتقاليد القبيلة.

وكانت معرفة الكهنة بعلم الهيئة (أو الفلك) واستعانتهم بالنجوم لاستجلاء الحوادث الطبيعية قد شجعتهم على استطلاع المستقبل والمصير عموماً لأن الظواهر ساعدتهم على معرفة الحوادث الطبيعية من مواسم وفيضانات وكسوف وخسوف وكوارث أخرى، وأصبح علم الفلك باباً إلى علم التنجيم وفي خدمته، وهكذا انسلخ التنجيم عن الفلك وأصبح فناً مستقلاً بأيدي الكهنة وقراء المستقبل. واكتسب التنجيم نفوذاً واحتراماً بين عامة الناس لأنه فتح نافذة على المجهول أو هكذا تصوروا.

وما يتصوره الإنسان من استقراء المجهول يبث فيه روح الطمأنينة ويهدئ من قلقه ومخاوفه.

وهكذا تستطيع أن تربط بين الفكر البدائي للطوطمية، وكاهن المعبد والعراف وقرابينهما التي يطلبانها والعلاجات والتعاويذ، والمنجم والساحر الذي يستطلع النجوم ليعرف المستقبل ويحترز من الكوارث أصبح السحر «صنعة» خاصة بين المتطببين والدجالين الدهاة.

وانفصم السحر عن المعبد وأصبح صنعة (مدنية). وانتشرت الساحرات في أوروبا كما ذكرنا، وتولين إعداد الرقي والتعاويذ والأدوية الغريبة والطقوس المذهلة للإيقاع بالناس المساكين والبسطاء الحيارى.

وما لبث الوعي العلمي والتنوير ورجال الدين أن شنوا حملة كاسحة لتطهير أوروبا من السحرة، وراح نتيجة تلك الحملات المتعصبة مئات الضحايا بحكم العدالة العاجلة أو الخاطئة.. إلا أن مفهوم السحر والرقي والأساليب الروحية بقيت مغروسة وراسخة في الفكر البشري بصور سالبة أو باهتة حتى عادت بشكل موجات شاذة

وإجراءات عنيدة من ممارسة السحر والنزق والدعارة والإدمان كما حصل لدى جماعات الخنافس والهيبز في أوروبا وأميركا... وظهر بين تلك الجماعات رؤساء ادعوا السحر والقوى الخارقة!

ويبدو من كل ما تقدم أن الرقي وجدت لتطهير الإنسان المريض من الروح الشريرة التي حلت فيه وسببت مرضه أو لتطهيره ووقايته من الإثم والخطيئة التي تلبس بهما. ولكن الإثم والدنس لم يكونا واضحي المعالم ومحددين. وسنرى كيف اختلطت المشاعر البدائية بالعقائد الوثنية. ثم بالتفاسير الدينية ثم بالتفاسير والظواهر المرضية والطبيعية الأخرى لتجعل من معنى الشر والإثم والخطيئة مبهماً ومتشابكاً مبدد الملامح.

كان الأجداد المسيحيون مثلاً يتهيئون لصلاة يوم الأحد ويتطهرون حتى بأخذ العقاقير المسهلة والملينة للأمعاء وتنظيف بطونهم من الأوساخ. وكان إذا طال الإبراز في الجسم يعتقدون أنه ربما ينتقل من الجسم إلى الرأس فيؤذي الدماغ. وكان يظن أن الأنثى تتخلص من الأدران بالحيض الشهري.

ظواهر انشطارية:

ومما يدفع بالإنسان إلى التعلق بالرقي والتعاويذ حدوث ظواهر نفسية ـ طبية غريبة: كازدواج الشخصية أو انشطارها الوقتي خلال برهة سريعة من الزمن. ففي الطب النفسي هناك ظاهرة معروفة تدعى بتبدد الواقع والشخصية أو «اختلال الانية» derealization depersonaliation تحدث في كثير من أمراض العصاب والرهاب والذهان. والمثال التالي يوضح ما هو المقصود بها:

يذكر أحد المرضى بلسانه «.. كان هناك شخصان ورأيت نفسي لوحدها في المرآة ولم يكن لها وجهي.. كنت أنا وليس أنا.. والذي تكلم لم يكن أنا بل شخصاً آخر.. وكنت أنظر ولم تكن ذاتي الصغيرة قادرة على التحكم في ذاتي الأخرى المنشغلة بإزعاج الآخرين.. كان موقفاً رهيباً».

مثل هذه الظواهر ورؤية الذات مواجهة وكأنها شخصية مستقلة متكاملة خارجياً تتخذ مظهراً أشد في حالات معينة من نوبات الصرع ومرض الفصام (الشيزوفرينيا). وقد قتل مصاب بالفصام شخصاً غريباً لم يكن يعرفه قط وقال إنه رأى نفسه في ذلك القتيل فأراد أن يقضي «عليها» فيه. كذلك رأى (دوربان جراي) في

قصة (أوسكار وايلد) نفسه الشريدة في اللوحة أمامه وكأنها تهجم عليه فمزقها ليقضي على ذاته.

ويصور (دوستويفسكي) في (الإخوة كارامازوف) الازدواجية على لسان (إيفان) وهو يخاطب زائره الشيطاني: «.. لم أكن أعتبرك حقيقياً ولو لبرهة فأنت كذبة... وأنت علتي.. أنت شبح.. لا أعرف كيف أحطمك ويخيفني أن أتحملك أكثر من هذا أنت وهم أنت تجسيد لنفسي.. وبالتحديد أرذل وأحمق جزء مني..» ثم يعود إيفان ليخبر الوسيط معقباً لكنه أنا نفسي.. كل ما هو أساسي ومحتقر ومتفسخ في ذاتي..»

ومعظم الذين كتبوا عن شخصيات مزدوجة أو منشطرة في قصصهم وإنتاجهم الأدبي كانوا قد مروا بتجارب ذاتية حقيقية مشابهة مثل دوستويفسكي المصاب بالصراع و(ستريندبيرج) Strindberg المتصوف صاحب القوى الروحية الاستجلائية كما يتضح ذلك في روايته (الجحيم) Inferno. و(ادجار الان بو) المدمن على الأفيون.

إن تلك الظواهر المتداولة ومعاناة عدد من الناس لها، وفي الأخص رؤية الإنسان لشبح أو ظل ذاته، أشاع الاعتقاد الشعبي بأنها من علامات الموت، أو أن الشبح الثاني المنشطر والمشابه للذات يجب أن يموت. وقد يتم القتل فعلاً: أما للذات الأصلية أو للخيالية.. أو أن يكتفي الإنسان باللجوء إلى الرقي والتعاويذ لأنه أيقن أن شبحاً أو روحاً لابد موجودة وتسكن فيه وإلا لما غادرته.

ومرض الوسوسة:

ومرض الوسوسة أو (الحصر ـ القهري) Compulsive obsessive هو أحد أمراض العصاب الذي يصور لنا بوضوح تأثير الشعور بالإثم وعلاقة ذلك بالطقوس والرقي والتعاويذ. وتتلخص الأعراض بأن المريض تراوده أفكار تسلطية غريبة وسيئة وشاذة رغماً عنه، أو يندفع للقيام بأعمال وتصرفات يعتقد أنها سخيفة ولا مبرر لها. ورغم ذلك لا يجد مناصاً من تنفيذها على سخافتها: كأن يضحك في مجلس عزاء، أو ترتفع في ذهنه قطعة من أغنية لعبد الحليم حافظ وهو في قاعة المحاضرات، أو يلمس أعمدة الكهرباء وهو في طريقه إلى دائرته.. أو يغسل يديه كلما لمس كتاباً أو صافح يداً غريبة. وقد يغسلها ثلاثاً أو خمساً أو عشراً أو عشرين مرة قبل أن يطمأن ويشعر بالراحة. وهناك أعراض أكثر وأشد غرابة.

والمهم في هذا أن التفسير النفسي «الديناميكي» لمثل هذه الأعراض أنها ردود أفعال «احترازية» ودفاعية يقوم بها المريض ليشعر بالأمن والراحة ضد شعور دفين «مكبوت» بالخطر أو الإثم. وقد يتولد هذا الشعور بالذنب منذ الطفولة لا شعورياً إلى العقل الباطن إما لأن تربية الوالدين كانت قاسية متزمتة ومركزة على النظافة والوقاية من الأوساخ والتطهر الشديد بعد أي عمل أو تواليت، أو لأن عقاب الوالدين لهفوة بسيطة يولغ فيه إلى حدود القسوة والعصبية. أو لأن العادات السائدة في البيت جامدة صارمة (حرفية) مقتة بحيث يجد الطفل نفسه وقد كبر وأصبح رجلاً ولا يزال يشعر بالذنب لأدنى سبب وأي قول أو فعل يتوهم أنه مخالف للعرف والتقاليد أو يجرح شعور الآخرين.

وهكذا تبدأ الوسائل الدفاعية النفسية في مرض الوسواس لتحميه من شدة عذاب الضمير أو من الشرور والأخطاء، فيلجأ إلى تلك الأفكار والأفعال والطقوس المرضية التي ذكرناها وإلى تعليق التعاويذ في رقبته أو على باب داره أو إحدى حاجياته، أو استخدام أشياء منفرة وعنيفة كحذاء ممزق أو نعل فرس أو صورة عين أو رقي يعدها له متطبب أو شيخ أو سيد أو رجل دين وكلها وسائل دفاعية رمزية تعرض له عن شعور دفين بالخطيئة أو بإتيان فعل حرام غير حقيقي أو مبالغ فيه.. أو درءاً لعين الحسود.

ونلاحظ أن عملية طرد الأرواح الشريرة والوقاية من غضب الآلهة الناقمة بالطقوس والرقي والتعاويذ كان يقابلها منذ القدم عمليات التملك Possession من قبل الآلهة والأرواح الطاهرة الخيرة. أي أن الجماعات البشرية البدائية ـ وحتى بعض الناس المتحضرين والمنتمين إلى فرق دينية مسيحية تقوم بطقوس خاصة من موسيقى ورقص وتصفيق وترتيل وصياح لأجل حلول الروح الطيبة في الفرد (سواء أكان مريضاً أم شخصاً سوياً يتوق إلى المزيد من التطهر والتسامي..) ويلقب الشخص الذي تحل فيه الروح الطيبة (بالمأخوذ). ولا تزال تجري هذه الطقوس بين قبائل جنوبي السودان وفي جزر هايتي وترينداد وفي كينيا وزامبيا والبرازيل والولايات المتحدة، حيث ينتهي الاحتفال «الديني» بالذهول والإغماء والارتخاء والاستلقاء على الأرض ثم الإفاقة في حالة نشاط وفعالية وشعور بالصحة والعافية والطهر ـ أي الخلاص من الأدران «وامتلاك» الروح الطيبة.

وتجري إلى يومنا هذا في مقاطعة (كارولينا الشمالية) في أميركا طقوس ملامسة وتناول الأفاعي واللعب بها ـ وبعضها سامة ـ اعتقاداً بما جاء في (إنجيل مرقص) من أن الإيمان يحمي الإنسان من الشر.

دور الأديان السماوية:

إن الأديان السماوية أنقذت البشر المهتدين من ضلالة الجهالة وأدخلت في قلوبهم الإيمان والطمأنينة بعزوها ظواهر الكون والحياة والسلوك البشري إلى القوة الإلهية الواحدة وبذلك حاربت الخرافة والوثنية والسحر والدجل.. بل شجعت بصورة مباشرة أو غير مباشرة التفكير العلمي. وكان ذلك واضحاً في الدين الإسلامي الذي لم يتعارض بجوهره مع العلم ولم يدخل في أزمة حقيقية أو كبيرة معه.

ومع ذلك، فإن بعض الأفكار والاجتهادات والوقائع ـ وربما الانحرافات ـ بعد مرور مرحلة الرسل وحياتهم، شجعت الناس على اللجوء إلى الرقي والتعاويذ. ولإيضاح ذلك نذكر مثلاً ما حدث في المسيحية: فالتخلص من الأدران والآلام والتوصل إلى الطهر والعفاف جاءت مؤكدة لفكرة الخطيئة الأولى التي انتعشت في المسيحية ودعمتها الكاثوليكية بعدئذ بالاعترافات. وتوسط القساوسة بين الإنسان والرب. كما جعلت من رجل الدين في مكانة العراف القديم الذي يساعد على رفع وتخفيف الخطيئة.

وقد ساد في الكنيسة المسيحية مفهوم إمكانية طرد الأرواح الشريرة من الناس الذين سيطرت عليهم. وقد طرد المسيح نفسه الشياطين بكلمة وأمر منه. وكان ذلك علامة حلول مملكة الرب. وتبع ذلك قانون كنسي بطرد الشياطين باسم المسيح، وفي الغرب يحتم القانون الكنسي الحصول على موافقة الكاردينال قبل إجراء التعويذة على المصاب (وليس من الضروري تحصيل الموافقة في حالة العزائم على الأمكنة) وقد تسرع وانتظم إجراء طرد الأرواح الشريرة في القانون الكنسي منذ عام ١١٥١م.. وهو اعتراف ضمني من الكنيسة بأن عملية طرد الروح تتخللها خطورة أو ينتج عنها ضرر للمصاب بعلة. ولا يشترط في القائم على التعويذة أن يكون رجل دين أو قسيساً.

أما الإسلام، فإنه أكد على أن الأنبياء بشر مثلنا، وأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس ساحراً أن الشفاعة هي استرحام ورجاء من الله عز وجل.. وأن الإنسان له من العقل ما يميز به بين الخير والشر.. أما الجن والشياطين فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم. ومعصية إبليس وخطيئته الكبرى، ثم إغواؤه وأعوانه من الجن

للإنسان أعادت للفكر البشري ذكرى الأرواح الشريرة واحتمال إضرارها بالإنسان والإيقاع به فعلاً.

وانتشرت بعدئذ عادة زيارة الأضرحة المقدسة وكذلك تقديم التبرعات والحسنات درءاً لعين الحسود أو جلباً للطالع الحسن. وتطور ذلك إلى عقد الأشرطة ونتف الملابس الشخصية على جدران وأسوار الأضرحة هنا وهناك، وإلى تعليق القلائد والعلب الصغيرة الحاوية على أوراق مكتوب عليها آيات من الذكر الحكيم أو الكلام المقدس تيمناً وبركة.

ثمانية أسباب:

وهكذا نجد من محصلة الجذور الدينية والتاريخية والثقافية والدراسات النفسية والطبية الحديثة التي استعرضناها أن الإنسان لجأ إلى الرقي والتعاويذ - وكذا العزائم - لأسباب مختلفة:

١ - الوثنية الجاهلية كما نعرفها بوضوح أكثر في عصر، ما قبل الإسلام عندما لجأ الناس إلى الآلهة المختلفة وعبدوها خوفاً أو تطيراً أو تفاؤلاً، وأضفوا على الحيوان والجماد قوى سحرية حيوية تكمن فيها من مصائب وخير وشر.

٢ - التطيُّر والتفاؤل من علامات ورموز وأسماء وحيوانات وظواهر تحدث في الحياة اليومية وتتوارثها الأجيال لتصبح مصدر قلق ورهبة وتثير في الإنسان نوازع الحذر والدفاع والحيطة سواء بالنذور أو بالعبادة والعزائم. أو بزيارة الأماكن المقدسة بإعداد الرقي والتعاويذ من قبل شخوص متنفذة روحياً أو دينياً أو ذوي سمعة شعبية «سحرية».

٣ - واستمرت هذه الأفكار الموروثة على قوتها ونفوذها رغم أن الإسلام حارب التطير واعتبره النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نوعاً من الشرك.

٤ - ومن هذا التطير والتشاؤم ظلت الخرافات القديمة سائدة بشكل أو بآخر تتزيا بزي العصر وتحتفظ بروح القدم أو البراءة. فالشعور بالإثم والاهتمام بالظواهر الطبيعية الخارقة (الفلكية).. واطلع من حوادث معينة كان موجوداً من عهد الفراعنة والبابليين والآشوريين منذ آلاف السنين. وكان الفرد البابلي إذا شعر بخطر موهوم أو بمرض هرع إلى الكاهن والمعبد ليقدم القرابين ويطلب البركة والعزائم والرقى والتمائم.

٥ - الخوف من المرض أو الرغبة في الشفاء لأن المرض النفسي لا يزال من المجاهيل العلمية. كما أن المرض الجسمي المستعصي يثير الرهبة والوسوسة ويدفع الإنسان

إلى الإلحاح بالتفكير بأسباب خارقة وغامضة أو بعوامل شيطانية وخبيثة مرتبطة بمفاهيم الخير والشر والعقاب والتفكير.

٦ - وهي وسيلة للهجوم من أجل الدفاع.. أي أن التميمة قد يعدها الإنسان ضد غيره تقيه لتلبسه بالمشاكل والمضاعفات فيتقي شره أو ينتقم من عدوه وهنا يبرز دور الدعاة من السحرة والمشعوذين.

٧ - أو أن التميمة وسيلة تطمينية للإنسان تقيه الكوارث الأزمات - لو حدثت - وتجلب له الخير دون أن يكون مصاباً بشيء في ذلك الحين. وقد يتمادى في هذا المنحى إلى العمل على إحلال الروح الطيبة فيه بالجذب والتوسل والطقوس الخاصة والتعاويذ.

٨ - ولا نستغرب، حسب نظرية يونج في علم النفس، أن الإنسان المعاصر قد يحمل كل ما ذكرناه من دوافع ويختزنها في عقل «سلالي - أثري» هو أعمق من اللاشعور الفرويدي.

تفسير نفسي للتعاويذ:

رغم تطرقنا إلى دوافع الإنسان للتعلق بالرقي فإنها عسيرة - من حيث كيفية عملها وتأثيرها - على علم النفس الحديث والطب النفسي.

صحيح أن المصائب البشرية والأخطار المحدقة والمرض العقلي والنفسي تدفع الإنسان المتحضر في القرن العشرين أحياناً إلى البحث عن الاحتراز والخلاص في تعويذة يستلمها من صانع الرقي، إلا أن علينا تفسير ذلك في ضوء علم النفس الحديث وكيف تنجح الرقي أحياناً في شفاء البعض. وهل لذلك نصيب من أي علم معروف لدينا لحد الآن أم نكتفي بذريعة الصدفة؟

١ - إن دور الإيحاء لا يمكن تجاهله في مفعول التعاويذ. فمعروف في الطبابة أن بعض الأدوية تنجح «نفسياً» قبل أن تعمل بمفعولها الكيميائي في الجسم كما أن معاملة الطبيب الإنسانية وكلامه الرقيق وعطفه يريح المريض قبل الدواء، ويمكن أن نعزي إلى حمل الرقي من قبل الإنسان دوراً إيحائياً مطمئناً يبث فيه روح المقاومة والشجاعة واللامبالاة تجاه مسببات القلق وعواقبه الأخرى.

٢ - إن الرقي والتعاويذ وما يصاحب العزائم من إجراءات وطقوس تضع الإنسان في موقف التوجس والترقب والتوتر الذي يؤدي إلى نوع من عملية «التطهير» أو التنفيس، أشبه بالتنفيس خلال الاعترافات الدينية أو خلال العلاج النفسي أو حفلات الزار والرقص البدائي العنيف عند القبائل القديمة. فالتعويذة تطلق العنان للانفعالات الحبيسة - وبذلك يتم الشفاء.

٣ ـ وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ثار الجدل بين (براون) من جهة و(مكدوجل ويونج) من جهة أخرى عن كيفية علاج الازدواجية. وكان المثل الذي أصبح مدار النقاش هو (ما ملأ القلب سال من الفم..). واتفقوا أن الحادث المؤلم العنيف يؤدي إلى الانشطار أحياناً وأنه يظهر في الحلم كحيوان شرس أو شبح مخيف. واقترح مكدوجل أن يكون العلاج بالتئام وجبر الانشطار وأعاد المزدوج إلى الواحد. وتوصل (فرويد) إلى هذا الرأي قبله وذلك بتبنيه أسلوب التحليل النفسي في الكشف عن العقد المكبوتة والتطهير. ولعل في آلية وأسلوب التعويذة شيئاً من الجبر والالتحام وحلاً لعقدة الكبت undoing كما يبدو.

٤ ـ ويمكن القول إن التعويذة تنجح فقط عندما تؤدي إلى نوع من التفاهم والوئام بين الشخص والآخرين الذين كان يشعر نحوهم بالغربة نتيجة شعوره بامتلاك التعويذة. أما أنها تطرد الروح الشريرة فهو ما لا يمكن التكهن به والجزم بصحته.

نظرة نقدية للرقى:

وبعد ، فلابد أن نتساءل عن موقف الفكر البشري إلى الرقى والتعاويذ وخاصة في حقل علوم النفس والاجتماع والفيزياء..؟

لقد جرت ندوة حول الموضوع في الإذاعة البريطانية عام ١٩٧٩ شارك فيها أطباء نفسيون وروحانيون وباحثون اجتماعيون ومرضى « مأخوذون ». وما سأذكره هنا نتف مما جرى ونتف مما أرى ويراه غيري من المهتمين بالموضوع. ولنتناول الموضوع بالمنطق والحياد والعلمية المتيسرة لدينا حسب التدرج التالي:

أ ـ إن الظواهر الازدواجية والانشطارية في مجال الطب النفسي وذكر الشياطين والجن في الأديان السماوية.. والأزمات النفسية الحادة، والوسوسة الشديدة.. ولا يمكن أن تقنع الإنسان أو تمنعه عن التفكير باحتمال وجود أرواح شريرة وطيبة.

ب ـ إن ممارسي الرقى والتعاويذ من الرصينين الخيرين يعتقدون فعلاً بوجود الروح الشريرة ويفرقون بين ما هو «روحي» وما هو «نفسي» وماذا في جعبتنا لدحض هذا الادعاء وإثبات عدم وجودها؟ حتى العلم يعجز عن تفسير كل ظواهر الكون المعروفة والمدركة من كهرباء ومغناطيس وسرعة وحركة.. أفلا ينطبق ذلك إذن على شخصية الإنسان؟..

ج ـ إن التعاويذ نقطة التقاء بين الطب وعلم النفس والدين وما وراء الطبيعة، فهي تؤكد أولاً ـ وجود الله، وثانياً ـ وجود كيان غير مادي يدعى بالروح، وثالثاً ـ أن للأرواح حرية التنقل من مكان إلى آخر. ولو شئنا معرفة أصناف تلك الأرواح لجاز أن نقول إنها من صنفين:

ـ أرواح صرفة (نقية) كالملائكة والشياطين.

ـ أرواح (منسلخة) عن كيان مادي سابق (مخلوق) كإنسان أو حيوان.

وإذا جاز لنا تفسير تنقلها وتواجدها في أماكن مختلفة (ممنوعة وغير ممنوعة) فهي على نوعين:

- تنقل في أماكن تعاودها وتزورها haunting وعندئذ يطلق على ذلك المكان بأنه «مسكون».
- تنقل وحلول في إنسان أو حيوان.. وعندئذ يطلق على ذلك المخلوق بأنه «مأخوذ» possessed.

د ـ وجاء ذكر الروح والإنس والجن والشياطين في القرآن الكريم ولا يمكن أن نطبق المعايير الحسية والعلمية القاصرة المحدودة على قضايا المعرفة والإلهية الواسعة العظيمة. كذلك فإن مسألة الحياة بعد الموت والبعث.. والآخرة وانسلاخ الروح عن الجسد هي أمور دينية وليست مجرد فلسفة ميتافيزيقية. إذن لا يمكن نفيها أو دحضها.

هـ ـ أما موقف الطب النفسي وعلم النفس فواضح تجاه الشعوذة والخرافة والدجل. ومختبرات العلوم الطبية مشغولة بمحاولة الكشف عن تغيرات كيماوية وعصبية مسببة للمرض العقلي ودور الوراثة والجينات فيها. فلا نتوقع منها أن تستسلم بسهولة وتعزو المرض النفسي إلى الأرواح الشريرة. ففي ذلك رجوع إلى نظريات وعقائد قديمة ترعرعت في مراحل غير علمية. إلا أن الشيء المنطقي الوحيد الذي يربط بين علم النفس الحديث وعالم الأرواح وغير المحسوسات هو فرع جديد يدعى بعلم النفس الجانبي أو الخوارق (الباراسايكولوجي) Parapsychology لأنه يبحث في قضايا الإحساس والإدراك والأفعال غير الاعتيادية كقراءة الأفكار (التخاطر) ورؤية الأشياء على أبعاد شاسعة والتنبؤ بالمس وتحريك الجماد عن بعد.. الخ.

و ـ لذلك يعلق بعض علماء النفس على قضايا الأرواح ووجودها بأنها قد تكون ميداناً آخر يشابه الباراسايكولوجي، وأننا لا نعرف عنه ما فيه الكفاية، ولا يمكننا نفيه قطعاً. فالحقيقة أكبر من حصرها في إطار معرفتنا الحالية، والقوانين المتعارف عليها هي ليست كل القوانين. إن البعد المادي والقياس الحسي ليس البعد الوحيد. وإذا كانت الأمراض النفسية والعقلية مسميات وعناوين لأعراض وظواهر، فلماذا لا نعترف بأننا نجهل حقيقة ما يجري داخل العقل ولماذا لا يجوز الحلول الروحي في الشخصيات المزدوجة أو قوى الوساوس؟

كل هاته الملاحظات النقدية الهادئة يجب أن لا تقلقنا من ناحية ولا تقعدنا عن مواصلة البحث العلمي أو التساهل في محاربة الدجل والخرافة. لأن المنهج العلمي لا يتنكر للظواهر الشاذة أو غير المألوفة فوراً، وانفعالاً، ولا يتجاهلها تغابياً وعجزاً.. لكنه ككل تنظيم وتشريع حضاري معاصر، يحارب استغلال الإنسان للإنسان بحجة احتمال «شيء» في خدعة الناس بالرقي والتعاويذ.. ولا يمكن أن نسترسل أكثر من هذا، فما هو مجهول أكثر بكثير مما هو معروف.

السيمياء

مكدونالد D.B.Mocdonald

«سيمياء» على وزن كبرياء، وهي كسيماء وإيماء من الكلمات العربية القديمة (انظر سورة الفتح، آية ٢٨؛ تفسير البيضاوي، طبعة فليشر، ج١، ص٢٢١، س١٤، ١٥) بمعنى سمة أو شارة أو شعار (Lane، ص١٤٧٦، الصحاح، تحت هذه المادة، ج٢، ص٢٠٠ من طبعة بولاق ١٢٨٢هـ؛ ديوان الحماسة، طبعة Freytag، ص٦٩٦؛ لسان العرب؛ ج١٥، ص٢٠٥). ولكن الكلمة إذ تستعمل اسماً لأبواب بعينها من السحر لها اشتقاق آخر يختلف كل الاختلاف. وهي بهذا المعنى مشتقة من لفظ يوناني نقلاً عن أصل سرياني وتدل على العلامات أو حروف الهجاء، (Suppl: Dozy، ج١، ص٧٠٨ ب والمراجع المشار إليها فيه: Thesaurus Syriacus: Payne Smith، ج٢، عمود ٢٦١٤). وتؤدي الكلمة باطراد في المعاجم السريانية العربية بالكلمة العربية «علامة». والظاهر أن سيمياء قد استعيرت بمعنى اصطلاحي. ويجعل بابن سميث، الذي ينقل فيما يبدو عن برنز Brunz، المعنى الاصطلاحي البارز لسيمياء هو Chiromancy. وفي قاموس بقطر الفرنسي العربي Bocthor Dictionnaire francais Arobe. ج١، ص١٥٤ ب.) يؤدي لفظ Chiromancie بثلاث كلمات من بينها سيمياء. وقد استعمل ابن العبري (المتوفى سنة ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م) الصيغتين السريانية والعربية مجتمعتين (Chron، Syr .، طبعة باريس، ص١٤، س٧؛ المختصر طبعة Pococke. ص٢٣) ويستفاد من هذه الشواهد أن علم السيمياء قد أبدعه في عهد موسى رجل يدعى أنونيوس، وقد أداه برنزوكيرش بصيغة أونوميوس، على أن هذا الرجل لم يكن يعرف أحد عنه شيئاً فيما يظهر. ويذهب محيط المحيط إلى أن الكلمة مشتقة من اسم الله، ولاشك أن أسماء الله لها شأن كبير في السيمياء (انظر Doutte Magie et Reuigion، ص٣٤٤، وهو يذهب أيضاً، ص١٠٢، إلى أن صيغة الكلمة متأثرة بكلمة كيمياء، ولكن انظر ما أسلفنا بيانه).

وبصرف النظر عن المعنى الملتبس للفظ Chiromancy، فإن كلمة سيمياء كانت ولا تزال تستعمل للدلالة على فرعين من السحر مختلفين كل الاختلاف:

١ ـ فهي تستعمل اليوم على نطاق واسع للدلالة على ما يعرف في كثير من الأحيان بالسحر الطبيعي، وإن كان من الواضح أن المقصود به هو التنويم المغناطيسي، ويقول ابن خلدون (المقدمة، طبعة كاترمير، ج٣، ص١٢٦) في تصنيفه للسحر إن هذا هو النوع الثالث منه، وإن الفلاسفة يسمونه الشعوذة والشعبذة (ومن المفيد أن نلاحظ

مناقشة لين لهاتين الكلمتين، ص١٥٥٩، حيث نراه يجاهد لتفسير فكرة التنويم المغناطيسي في عهد لم يكن اكتشف فيه هذا التنويم). وهو يشرح هذا النوع شرحاً بيناً فيقول: «والثالث تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة صوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك». ونجد شواهد جيدة الوصف على هذا النوع في: (Arabiau Nights: Lane الفصل الأول، تعليق ١٥، ص٢، Modern Egyptians، الفصل الثاني عشر؛ ابن بطوطة طبعة باريس، ج٣، ص٤٥٢ وما بعدها، ج٤، ص٢٧٧ وما بعدها؛ Doctor und Garkoch ،Noldeke . ص٥ وفي مواضع مختلفة، وانظر أيضاً Doutte، ص١٠٢، ٣٤٥ وما بعدها. وهو يسمي هذا السحر «نيرنج»؛ المحيط، ج٢، ص١٠٣٢ ب؛ Ar ،Chauvin Bibl .:.، ج٧، ص١٠٢ والمصادر المذكورة هناك).

٢ ـ وقد تناول ابن خلدون الفرع الثاني بإسهاب في فصل خاص عقده لذلك (المقدمة طبعة كاترمير، ج٣، ص١٣٧، وما بعدها؛ ترجمة دوسلان، ج٣، ص١٨٨ وما بعدها، بولاق ص٤٢٠ وما بعدها، ولم يرد ذلك في طبعات بيروت). وكان هذا الفرع في عهد ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) يعرف باسم متميز هو السيمياء، ونجد في الوقت الحاضر رسائل كثيرة مطبوعة عنه وهي تدرس على نطاق واسع، ويمكن القارئ أن يرجع إلى بعضها في الأرقام ١، ٢، ٣، ٤ من ثبت كتب السحر الوارد في مادة سحر من هذه الدائرة؛ على أن جميع الكتب التي كتبت في السحر المباح متأثرة به، وما الزايرجة إلا صورة منه كثيرة التعقيد. ويؤثر ابن خلدون تسمية السيمياء بعلم أسرار الحروف، فقد كان المصطلح سيمياء في الأصل أوسع معنى من ذلك يطلق على علم الطلسمات عامة، وإنما استعمل بهذا المعنى الخاص عند غلاة المتصوفة الذين قالوا إنهم قادرون على التصرف في العالم الطبيعي بهذه الحروف والأسماء والأشكال الناشئة عنها، ومن ثم عد هذا العلم مباحاً دراسته وممارسته لأهل التقى من المسلمين. على أن الصوفية الذين اصطنعوه كانوا من المتفكرين القائلين بوحدة الوجود، وقد زعموا أنهم من أهل التصرف في عالم العناصر وأن خوارق العادة تظهر على أيديهم، وقالوا بأن الوجود تنزل عن الواحد وترتيبه (التسلسل في مذهب الأفلاطونية الحديثة)، ودونوا لذلك مصطلحات صنفوا فيها رسائل، وزعموا أن الكمال الأسمائي (أسماء الله الحسنى) مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام، والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتقرب من أسراره فحدث لذلك علم أسرار الحروف.

وثمرة هذا عندهم تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان، وذلك هو مذهب البوني وابن عربي وأتباعهما، ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف، فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر؛ ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف للنسبة العددية، فإن حروف أبجد دالة على أعدادها المتعارفة وضعاً وطبعاً. ويقول ابن خلدون إن التصرف في العالم الطبيعي موجود ولكنه يحدث بكرامة من كرامات الله يؤتيها للأولياء، أما إذا خلا صاحب الأسماء من معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الأسماء وطبائع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه الحيثية كان من أهل السيمياء لا فرق بينه وبين صاحب الطلسمات، بل صاحب الطلسمات أوثق منه لأنه يرجع إلى أصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة فهو قد يستطيع استحداث التأثيرات بالنفس والهمة، وهما عند ابن خلدون أساس هذا التصرف جميعاً مباحاً أو محظوراً، ولكن هذه التأثيرات مذمومة هي وغيرها مما يأتيه السحرة المحترفون، ولذلك ينكر ابن خلدون هذا السعي من جانب البوني وغيره للإتيان بالسحر المباح الذي يرضى عنه الدين. على أنه لا جدال في أن البوني قد أقحم نظامه هذا على الإسلام. وثمة شواهد كثيرة على هذا النوع من السحر وردت في كتب المسلمين، مثال ذلك الإشارات العديدة التي جاءت في النسخة المطولة من قصة «الوزراء الأربعين» (ترجمة Histoire de la: Petits de la Croix Sultane de Perse et des Visirs) وانظر أيضاً عرضاً مطولاً لهذه القصة في ص١٨٦ وما بعدها من طبعة أمستردام ١٧٠٧م) ونجد خير وصف فيه عرض منهجي يؤيد هذه النظرة التي ترى أن الحروف تنطوي على صلات بالكون والعلم به في كتاب ماسينيون (Ai Hallaj: Louis Massignon، ص٥٨٨ وما بعدها؛ انظر أيضاً Doutte، ص١٧٢ وما بعدها).

ومن الواضح أن هذه النظرة مرحلة من مراحل التفكير صنو لمذهب القبالة عند اليهود في باب أسرار الحروف والإتيان بالخوارق، وترتبط بأسماء الله الحسنى وتقول بأن علم الحروف هو علم أرواح الأشياء وأن الله بالحروف خلق العالم وهيمن عليه وأن البشر بالعلم بها يستطيعون التصرف في الأشياء المادية (انظر The Kabbalah: C. D. Ginsburg ص١٢٧ وما بعدها؛ مادة قبالة بقلم H. Loewe في Encyclopoedia of Religion and Ethics: Haatings، ج٧، ص٦٢٢ - ٦٢٨).

الدين والسحر والأسطورة

توفيق وهبي

يضع العلماء المعاصرون بعض النظريات لظهور الدين، ويتتبعون سير تطوره وتقدمه من مرحلته البدائية إلى حين بلوغه فكرة التوحيد، أو الإيمان باله واحد، وهو أسمى الاعتقاد دون شك أو ريب. ونحن نورد هنا - بصورة مختصرة - ما نفهمه من الابحاث الخاصة بالدين، وقد عثرنا عليها في مؤلفات البعض من اولئك العلماء.

يقول العلماء الاختصاصيون ان اساس فكرة الدين القديم نشأت عن عدم فهم البشر البدائي للظواهر الطبيعية الغامضة والمرعبة المخيفة والمحيرة للعقول. فالانسان منذ ظهوره لم يتأخر عن الشعور بالحيرة والرهبة نحو الظواهر الطبيعية التي كان يرى نفسه عاجزاً عن تفسيرها، بل ويجد نفسه ضعيفاً أمامها. وجميع تلك الظواهر سواء أكانت طبيعية ارضية، كالجبل ذي المنظر الرهيب، أو طوفان النهر الفائض، أم كانت ظواهر جوية سماوية: كالرعد المدوي المخيف، والبرق الخاطف المبهر، والصاعقة المخربة، والسحاب المظلم، والعواصف والزوابع، والخسوف والكسوف، وسقوط النيازك ونحو ذلك، أو كانت آفته الشخصية كعدم حصوله على الرزق الضروري ليشبع جوعه من المحصولات الطبيعية أو من الصيد، وثم المرض والموت مما يكون في قرارة نفسه رجفة خوف أو حيرة، فكان يشعر بوجود قوة خفية تسيطر عليه من ما وراء الطبيعة فتفرض سلطتها على حياته ورزقه، ويجب عليه أن يخاف منها ويحترمها، الأمر الذي ولد عنده فكرة تقديسها وعبادتها. وهذه اولى المراحل في الدين.

فالمرحلة في الدين وتسمى animatism (آنيماتيزم) كانت عبارة عن شعور الإنسان البدائي بقوة خفية محيرة تكمن فيما وراء الطبيعة وخوفه منها، ومحاولته الاتصال بتلك القوة الحية الخفية القدسية لتمكينه من الحصول على درجة ما من الحكم على العناصر الطبيعية الغامضة بغية درأ الاذى المتأتي عنها، وللحصول على حاجاته اليومية منها.

في هذه المرحلة كان الإنسان البدائي يحتفل بالمناسبات الطبيعية لديته وذلك بحركات ايقاعية قاصداً بها التزلف إلى القوة الخفية المقدسة.

ولكن هذا الإنسان لم يكتف بهذه الطريقة الدينية بل وجد أسلوبا آخر للحصول على مراده، وهو السحر. فكان الفرق بين الدين والسحر كما يأتي:

كان الدين الفطري - كما بينا - أسلوباً يجهد الإنسان البدائي فيه نفسه ليسيطر على سير الطبيعة بصورة غير مباشرة بغية استرضاء قوة ما وراء الطبيعة المسيطرة القادرة على الخير والشر، ناشدا بذلك تهدئة غضبها عن طريق التضرع والدعاء مع حركات رقصية وتمثيلية وتقديم القرابين، ليحملها على عمل الخير للإنسان ومنع الشر عنه.

اما السحر فكان أسلوباً يحاول الإنسان فيه طريقة السيطرة على سير الطبيعة بصورة مباشرة وذلك بممارسة الرقي والتعازيم والطلسم والطقوس الخاصة معتقداً انه يحصل بواسطتها على النتائج العلمية التي يتمناها من تلقاء نفسه دون مداخلة عامل ما وراء الطبيعة.

الدين والسحر عاملان مختلفان يستهدف الإنسان البدائي كلاهما للسيطرة على سير الطبيعة وحصول ما يتمناه من جميع الامور التي كانت خارج سلطته. ولا يعلم حتى الآن ايا منهما مارسه البشر قبل الآخر. وكثيراً ما اتحدت اعمال الكهنة والسحرة في الدور البدائي لتقيم طقوساً سحرية ودينية معاً.

ففي هذه المرحلة التي ابتدع الإنسان فيها اقامة الشعائر والطقوس الدينية السحرية مع الرقص لاظهار عواطفه، ابتدع الرموز والأساطير أيضا فكانت القصص الأسطورية تتفق مع عقيدته الدينية في العناصر الطبيعية لتفسير تصرفاتها، ولإيضاح العقيدة والعادة والنظام ويعتبرها أخبارا صحيحة. وكان يقص تلك القصص اثناء الطقوس وبعدها لتوجيه سلطان القوة الرابضة فيما وراء الطبيعة على الظواهر لحملها على استهداف خير الإنسان بحسب تمنياته.

والاسطورة هي القسم الروائي للشعائر الدينية، أو التعبير عن الشعائر الدينية بالكلام. فهي قصة مدونة لتصديق المعتقدات الدينية، وقد ولدت الاسطورة مع الدين بالضبط.

ربطت الاسطورة الشعائر الدينية إلى سلطان ما وراء الطبيعة الغامض وساعدت الإنسان على الاحتفاظ بصلاته معه وتقوية هذه الصلات التي هي الغاية الاولى من العبادة والدين. فكان عمل الاسطورة الاساس في ترسيخ الدين وتقوية قدسيته.

كانت الاسطورة في طفولتها ساذجة وبسيطة جداً حتى انها لم تبلغ درجة قصص التكوين وظهور الإنسان على وجه البسيطة. كان هم الإنسان البدائي حشد فعالياته

الدينية والسحرية وكذا أساطيره لجعل الغذاء متوفرا في الأرض فبجمعه بسهولة، ولضمان نجاحه في الصيد للحصول على ما يحفظ وعياله من مسغبة الجوع، فالبرد، فالمرض، فالموت، وكذلك من الحيوانات المفترسة.

يصنف العلماء الاختصاصيون الاساطير ـ بالنظر إلى منشئها ـ اصنافا منوعة تنوع الظواهر الطبيعية والاعتقادات التي تخصها، بالنظر للافكار التي توضحها كالاساطير الطبيعية والشعائر الدينية واللاهوتية والثقافية والتاريخية. وهم يختلفون بعض الاختلاف في تفسير الاساطير المعلومة وتعيين صنفها، وهذا موضوع مظلم وصعب لم يزل بحاجة إلى دراسات دقيقة صحيحة. ولكن منشأ الاساطير الاصلية ـ كما اسلفنا ـ العقائد الدينية وشعائرها المقامة، لهذا فهي تعد جزءاً من الدين.

لقد كان لجميع الأديان القديمة ولجميع المدنيات أساطيرها الخاصة. وكان أكثر الأساطير رواجاً من البداية لحد الآن وأقدمها رسوخا هو النوع الذي ذكرناه آنفا، أي القصص البسيطة الملفقة يقصونها تفسيراً للعقائد الدينية، عن سوق القوة الخفية لعناصر الطبيعة نحو خير الإنسان.

وقد تطورت الأساطير مع تطور ثقافة الإنسان وعقائده، فبعد ان وصل الإنسان مرحلة animism (آنيميزم) الدينية، أي مرحلة الوعي بوجود الروح «الآتي ذكرها» بدأ يتصور كيفية التكوين ودخول الالهة، والاجداد المألهين فيها وينسج قصصاً عنها واخرى عن الحياة بعد الموت: بعث الموتى، فانقلبت في هذا الدور أعمال ابطالهم إلى اساطير مزجوها بالأساطير القديمة.

كانت القصص تصور أعمال آلهة الطبيعة ـ بالنظر إلى اختصاصهم ـ من خير وشر، فكانت بداية المخاصمات بين الخير والشر، والتضرع لانتصار الخير. ان من بين اساطير الاولين المنسوجة في دور تعدد الآلهة politheism التي يأتي ذكرها، ربما كانت قصص جنات خلد ضائعة، حرم الإنسان منها آلهة الشر.

وكانت تمثل قصة الاسطورة بصورة درامية (هزلية) للحصول على الاعمال الطبيعية المجلية للخيرات والمطاردة للشرور. إن هم الإنسان الأكبر بعد الحصول على الرزق والاولاد، صونه من غضب القوة الحاكمة ومن ظلمها وغدرها.

كانت هذه القصص على الاكثر تمس التبدلات الوقتية والموسمية والجوية التي كانت تقع نتيجة طلوع الشمس وسيرها في النهار ثم غروبها وطلوعها مرة اخرى وكذلك الفجر والغسق والشفق، وتضاؤل حرارتها وضيائها في اثناء الشتاء وبعثها

ونموها في الربيع، فظهور القمر وتكامله وتضاؤله وغيابه ثم بعثه عندما يحل الشهر القمري، وغير ذلك من التبدلات التي كان الإنسان يشعر بتأثيرها المباشر على نمو النباتات وتكاثر الحيوانات وبالنتيجة على رزقه وحياته.

وفي الدور الـ Henotheism الآتي ذكره، كانت صناعة نسج الأساطير عند الأقدمين في أوج علاها. وأن كثيراً من الأساطير القديمة المدونة يعود إلى هذا الدور من العقيدة الدينية وقد اصبحت الأسطورة تعالج معرفة التكوين من خلق الأرض والسماء والإنسان وظهور الملكية وقص قصص الملوك والأبطال وتقدم البشر التدريجي في الثقافة وانصرافه إلى الزراعة وتأسيس المدنية.

ولنرجع الآن إلى بحث الدين، بصورة مختصرة، وسيره نحو التكامل:

ان الشيء الذي يجلب النظر في دين الإنسان الفطرة أي الـ (آنيماتيزم) هو اعتقاده بوجود قوة خفية مسيطرة على الكون، فهو الـ (آنيماتيزم) توحيد غامض بدائي وفطري وكان ينقصه أيضاً العلم بوجود الروح وبصفات القوة الحية الوحيدة الخالقة.

لقد تقدم الإنسان من الناحية الثقافية إلى دور تكون في نفسه وعي بأنه يحمل في بدنه شيئاً آخر حيا هو «الروح»، ثم تصور أن روحه هذه هي التي تحركه في الحياة وأن لها شكلا مثل شكله، وعقلاً وارادة مثلما هما موجودان فيه، وان هذه الروح تبقى حتى بعد موته وتخلد إلى الابد.

وبدأ هذا الإنسان يعتقد منذ ذلك الدور ـ بالقياس مع شخصه ـ أن كلا من الظواهر الطبيعية لها روح شخص ايضاً وأنّ لها حياة مثلها، وانها تعمل اعمالها الخاصة في الكون بمساعدة اعضاء الوجود التي يتصورها وكأنها شبيهة بأعضاء الإنسان البدنية، أو بمساعدة آلات اصطناعية كما يعمل الإنسان، فصارت الشمس والنجوم والأشجار والأنهار والرياح والغيوم..الخ، اشخاصاً ذوات الارواح.

واكثر من هذا، اعتقد هذا الإنسان بأن كل الموجودات في العالم لها روح. فبرزت من هذا كله فكرة شخصية آلهية.

ان منح الظواهر الطبيعية حياة شخصية يسميه العلماء بـanimism «آنيميزم» وهي المرحلة الثانية من تقدم الدين. ومما يرى جديراً بالملاحظة هنا ان هذه العقيدة انما يعبر عنه متصوفة اليوم بـ (وحدة الوجود)، ولكن ما تزال (وحدة الوجود) هذه في شكل ابتدائي فطري.

ان تكامل الـ (آنيميزم) هو الاعتقاد بالروح، وبحياة مسيرة غير مخيرة وبآلهة مسيطرة بيدها الخير والشر، أو أن الخير بين بعض منها، والشر بين البعض الآخر، وبأرواح تابعة لها. في هذا الدور ظهرت عبارة ارواح الأجداد والأبطال.

لقد تطورت هذه العقيدة وظهر للإنسان أن لكل جنس من الظواهر الطبيعية بالجملة الهاً واحداً وبدلاً من أن يقر بروح لكل فرد من افراده قبل، مثلاً، بآله واحد للغابات جميعاً بدلاً من اله واحد لكل غابة من الغابات. وهكذا ظهر الاعتقاد بوجود الهة متعددة غير محدودة تسيطر على امور الطبيعة المختلفة ـ غير المحدودة ـ يعمل كل منها بحسب اختصاصه، فظهرت من (آنيميزم) عقيدة يسمونها polytheism (بوليتيئيزم) أي «عبادة الالهة المتعددة» أو ما نسميه (بالشرك).

وقد تحسنت هذه العقيدة ايضاً بمرور الزمن بتنقيح وتنسيق الالهة وتحديد عددها. وتشكيل «مجمع الالهة» منها وقبول احدها رئيساً لجميع الالهة أو عظيماً عليهم، فدخلت في شكل ما يسمى بـ henotheism (هينوثيزم).

وأخيراً بزغ من «هينوتيزم» اسمى الاعتقاد الإنساني وهو monotheism (التوحيد).

الاستغاثة الكشمردية

وتنسب لأبي العباس أحمد بن كشمرد البغدادي، وكان هذا الرجل مع قافلة الحاج في خلافة المقتدر سنة ٣١١ فأسره ابو طاهر القرمطي هو وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وجماعة في رجوعهم بموضع يسمى الهبير، قال ابن الأثير: في حوادث سنة ٣١١ في هذه السنة سار ابو طاهر القرمطي إلى الهبير في عسكر عظيم ليلقى الحاج في رجوعهم من مكة فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج فيها خلق كثير فنهبهم واتصل الخبر بباقي الحاج وهم بفيد فأقاموا بها حتى فني زادهم وكان ابو الهيجاء بن حمدان قد اشار عليهم بالعود إلى وادي القرى وان لا يقيموا بفيد (وكان هو الصواب لو عملوا به لان وادي القرى بلد معمور يمكنهم التزود منه وفيد ليس كذلك) فاستطالوا الطريق ولم يقبلوا منه وكان إلى ابي الهيجاء طريق الكوفة وتسيير الحاج فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة فأوقع بهم القرامطة واخذوهم وأسروا ابا الهيجاء واحمد بن كشمرد ونحريرا واحمد بن بدر عم والدة المقتدر وعادوا إلى هجر. وقال في حوادث سنة ٣١٢ انه فيها اطلق ابو طاهر من كان عنده من الاسرى الذين كان أسرهم من الحجاج وفيهم ابن حمدان وغيره «انتهى».

القصة الكشمردية برواية ابن طاوس:

قال السيد رضي الدين علي بن طاوس في مصباح الزائر فيما حكي عنه محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني قال سمعت ابا العباس بن كشمرد في داره ببغداد وسأله شيخنا ابو علي ان يذكر لنا حاله اذ كان عند الهجري بالاحساء فحدثنا ابو العباس انه كان ممن أسر بالهبير مع ابي الهيجاء بن حمدان، قال وكان ابو طاهر سليمان بن الحسن مكرماً لابي الهيجاء براً به وكان يستدعيه إلى طعامه فيأكل معه ويستدعيه بالليل ايضاً للحديث معه فلما كان ذات ليلة سألت ابا الهيجاء ان يجري ذكري عنده ويسأله في اطلاقي فأجابني إلى ذلك ومضى إلى أبي طاهر في تلك الليلة على رسمه وعاد من عنده ولم يأتني وكان من عادته ان يغشاني ورفيقي في كل ليلة عند عوده من عند سليمان فيسكن نفوسنا ويعرفنا بأخبار الدنيا فلما لم يعاودنا في تلك الليلة مع سؤالي اياه الخطاب في امري استوحشت لذلك فصرت إليه في منزله المرسوم له وكان ابو الهيجاء مبرزاً في دينه مخلصاً في ولاء ساداته عليهم السلام متوفراً

على اخوانه فلما وقع طرفه علي بكى بكاء شديداً وقال والله يا ابا العباس لقد تمنيت اني مرضت سنة ولم اجر ذكرك، قلت ولم؟ قال لأني لما ذكرتك له اشتد غضبه وغيظه وحلف بالذي يحلف بمثله ليأمرن بضرب رقبتك غداً عند طلوع الشمس ولقد اجتهدت والله في ازالة ما عنده بكل حيلة واوردت عليه كل لطيفة وهو مصر على قوله وأعاد يمينه بما خبرتك به، قال ثم جعل ابو الهيجاء يطيب نفسي وقال يا اخي لولا اني ظننت أنّ لك وصية أو حالا تحتاج إلى ذكرها لطويت عنك ما أطلعتك عليه من ذلك وسترت ما أخبرتك به عنك ومع هذا فثق بالله تعالى وارجع فيما يهمك من هذه الحالة الغليظة اليه تعالى فانه جل ذكره يجير ولا يجار عليه وتوجه إلى الله تعالى بالعدة والذخيرة للشدائد والامور العظيمة محمد وعلي وآلهما الأئمة الهادين صلوات الله عليهم أجمعين. قال ابو العباس فانصرفت إلى موضعي الذي انزلت فيه في حالة عظيمة من اليأس من الحياة واستشعرت الهلكة فاغتسلت ولبست ثيابا جعلتها كفني وأقبلت على القبلة فجعلت اصلي وأناجي ربي وأعترف له بذنوبي وأتوب منها ذنباً ذنباً وتوجهت إلى الله تعالى بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة لله تعالى في أرضه المأمول لأحياء دينه صلوات الله عليه وعليهم اجمعين، ولم أزل في المحراب قائماً أتضرع إلى أمير المؤمنين وأستغيث به واقول يا امير المؤمنين أتوجهه بك إلى الله تعالى ربي وربك فيما دهمني وأظلني ولم أزل اقول هذا وشبهه من الكلام إلى ان انتصف الليل وجاء وقت الصلاة والدعاء وانا استغيث إلى الله تعالى واتوسل اليه بأمير المؤمنين عليه السلام اذ نعست عيني فرقدت فرأيت أمير المؤمنين فقال لي يا ابن كشمرد قلت لبيك يا امير المؤمنين فقال لي ما لي اراك على هذه الحالة فقلت يا مولاي أما يحق لمن يقتل صباح هذه الليلة غريباً عن أهله وولده بغير وصية يسندها إلى متكفل بها ان يشتد قلقه وجزعه فقال عليه السلام تخول كفاية الله ودفاعه بينك وبين الذي توعدك فيما ارصدك به من سطواته اكتب:

الاستغاثة الكشمردية برواية ابن طاوس:

«بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل فلان ابن فلان إلى المولى الجليل الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وسلام على آل ياسين محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن وحجتك يا رب على خلقك اللهم اني لمسلم واني أشهد انك الله إلهي وإله الاولين والآخرين لا اله غيرك أتوجه بك بحق هذه الأسماء التي اذا دعيت بها اجبت واذا سئلت بها اعطيت لما صليت عليهم

وهونت علي خروجي وكنت لي قبل ذلك عياذاً ومجيراً ممن اراد ان يفرط علي أو أن يطغى». واقرأ سورة يس وادع بعدها بما أحببت يسمع الله منك ويُجب ويكشف همك وكربك.

ثم قال لي مولاي اجعل الرقعة في كتلة من طين وارم بها في البحر فقلت يا مولاي البحر بعيد وانا محبوس عن التصرف فيما ألتمس فقال ارم بها في البئر وفيما دنا منك من منابع الماء.

قال ابن كشمرد: فانتبهت وقمت ففعلت ما امرني به أمير المؤمنين عليه السلام وانا مع ذلك قلق غير ساكن النفس لعظيم الجرم والمحنة وضعف اليقين من الآدميين فلما اصبحنا وطلعت الشمس استدعيت فلم أشك ان ذلك لما وعدت به من القتل فلما دخلت على ابي طاهر وهو جالس في صدر مجلس كبير على كرسي وعن يمينه رجلان على كرسيين وعلى يساره أبو الهيجاء على كرسي واذا كرسي آخر إلى جانب ابي الهيجاء ليس عليه أحد فلما بصر بي ابو طاهر استدعاني حتى وصلت إلى الكرسي فأمرني بالجلوس عليه فقلت في نفسي ليس عقيب هذا إلا خيراً ثم اقبل فقال قد كنا عزمنا في امرك على ما بلغك ثم رأينا بعد ذلك ان نفرج عنك وان نخيرك احد امرين اما أن تجلس فنحسن اليك واما ان تنصرف إلى عيالك فنحسن اجازتك فقلت له في المقام عند السيد النفع والشرف وفي الانصراف إلى عيالي ووالدتي العجوز الكبيرة الثواب والاجر فقال افعل ما شئت فالامر مردود إليك «الخبر» ووردت هذه الاستغاثة برواية أخرى للكفعمي وبرواية للصهرشتي وفيما يلي نصوصهما:

رواية الصهرشي للاستغاثة الكشمردية:

ذكر الشيخ الثقة الجليل الشيخ سليمان بن الشيخ حسن الصهرشتي قدس سره في كتابه (قبس المصباح) كما في البحار بزيادات حسنة وكان الصهرشي من افاضل تلامذة شيخ الطائفة المحقة ابي جعفر الطوسي ـ ره: حدثنا الشيخ ابو الحسن محمد بن الحسين الصقال ببغداد في مسجد الحذائين بالكرخ في رجب سنة اثنتين وأربعين واربعمائة قال: حدثنا الشيخ ابو المفضل محمد بن عبد الله بن البهلوان بن همام بن المطلب الشيباني يوم السبت التاسع من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاثمائة بالشرقية قال: سمعت ابا العباس أحمد بن كشمرد في داره ببغداد (إلى آخر ما ذكره السيد المذكور قدس سره كما نقلناه)، قال: الشيخ الصهرشتي قدس سره بعده: قال الشيخ ابو الفضل(ره): فذكرت هذا الحديث في مجلس ابي وائل داود بن حمدان

بنصيبين سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة هجر وحضر هذا المجلس يومئذ رجل من أهل نصيبين يقال له ابو عثمان سعيد بن البندقي الشاعر وكان من شهود البلد فقال ابو عثمان: عندي قول ماتقدم من قول ابي العباس بن كشمرد وقد اسر أبو العباس بن كشمرذو الخال وفلفل الخادم وغيرهم من وجوه الاولياء مع أبي الهيجاء واسرت فيمن اسر معهم من الحاج فطال بالاحساء محبوساً وكنت أقول الشعر فامتدحت السيد ابا طاهر بقصيدة أوصلها اليه ابو الهيجاء فاذن لي السيد بالدخول والخروج من الحبس فكنت ادخل على أبي العباس بن كشمرد فكان يأنس بي ويحدثني فأرسل إلي ذات يوم في السحر قبل طلوع الشمس وقال لي: خذ هذه الرقعة وهي في كتلة من الطين وامض بها إلى موضع وصفه لي وكان فيه ماء جار قال: واقرأ سورة ياسين واطرح الرقعة في الماء فأخذتها وصرت إلى الماء واحببت أن اقف فقلعت الطين عنها ونشرتها وقرأت ما فيها قال: ابو عثمان واخذت عوداً وبللته في الماء وكتبت ما في الرقعة على كفي وكتبت اسمي واسم ابي وامي وأعدت الرقعة في الطين وقرأت سورة ياسين عني وغسلت كفي في الماء ثم قرأت سورة ياسين عن ابي العباس بن كشمرد(ره) وطرحت الرقعة في الماء وعدت إلى مجلسي ذلك بعقب طلوع الشمس فلم تمض إلا ساعة واذا برسول السيد يأمر بأحضاري فحضرت فلما بصر بي قال لي انه قد القي في قلبي رحمة لك وقد عرفت على اطلاقك فكيف تحب أن تسير إلى اهلك في البر أو البحر فقلت في البحر وخشيت أن سرت في البر أن يبدو له فيلحقوني ويردوني فقلت في البحر فأمر أن يدفعوا لي كفافي من زاد وتمر وخرجت في البحر فصرت إلى البصرة فلما كان بعد ثلاثة ايام من وصولي البصرة جلست عند اصحاب الكتاب فاذا أنا بأبي العباس بن كشمرد ركب في موكب عظيم والامراء من خلفه وقد خرج أمير البصرة لاستقباله والجند بين يديه ومن خلفه العساكر محدقة به وهو وأمير البصرة يتسايران فلما رأيته قمت اليه فلما بصر بي وقف على رأسي وقال لي يا فتى كيف عملت حتى تخلصت فحدثته ما صنعته من كتبي ما كان في الرقعة بالماء على كفي وغسلي يدي بالماء ما كنت كتبت عليها قبل ان رميت رقعته فقال لي: انا وانت من طلقاء أمير المؤمنين فقلت نعم فمضى حتى نزل في دار اعدت له وحمل اليه أمير البصرة الهدايا واللباس والالة والدواب والفرش وغير ذلك فلما استقر في موضعه ارسل لي فدخلت عليه وأقمت عنده اياماً وأحسن إلي وحملني مكرماً إلى بلادي فعجب أبو وائل من ذلك وقال: يا ابا المفضل انت صادق في حديثك ولقد اتفق لك ما اكده قال الشيخ الجليل الصهرشتي:

فهذه الرقعة معروفة بين أصحابنا يعملون بها ويعولون عليها في الأمور العظيمة والشدائد والروايات فيها مختلفة لكني اوردت ما هو سماعي ببغداد.

وقد ذكر شيخنا ابو جعفر الطوسي في كتاب (المصباح) ومختصر المصباح ايضاً انها تكتب وتطوى ثم تكتب رقعة أخرى إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه وتجعل الرقعة الكشمردية في طي رقعة الإمام عليه السلام وتجعل في الطين وترمي في البحر أو البئر يكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى الله سبحانه وتقدست اسماؤه رب الارباب وقاصم الجبابرة العظام عالم الغيب وكاشف الضر الذي سبق في علمه ما كان ومايكون من عبده الذليل المسكين الذي تقطعت به الاسباب وطال عليه العذاب وهجره الاهل وباينه الصديق الحميم فبقى مرتهناً بذنبه قد وبقه جرمه وطلب النجاة فلم يجد ملجأ ولا ملتجأ غير القادر على حل العقد ومؤبد الابد ففزعي اليه واعتمادي عليه ولا ملجأ ولا ملتجأ إلا اليه اللهم اني اسألك بعلمك الماضي وبنورك العظيم وبوجهك الكريم وبحجتك البالغة أن تصلي على محمد وآل محمد وان تأخذ بيدي وتجعلني ممن تقبل دعوته وتقيل عثرته وتكشف كربته وتزيل ترحته وتجعل من أمره فرجاً ومخرجاً وتردعني بأمر هذا الظالم الغشوم وبأس الناس يارب الملائك والناس حسبي أنت وكفى من أنت حسبه يا كاشف الكروب والامور العظام فانه لا حول ولا قوة إلا بك».

ثم تكتب رقعة أخرى إلى صاحب الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

توسلت بحجة الله الخلف الصالح محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب النبأ العظيم والصراط المستقيم والحبل المتين عصمة الملتجأ وقسيم الجنة والنار اتوسل اليك بآبائك الطاهرين الخيرين المنتجبين وامهاتك الطاهرات الباقيات الصالحات الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال عز من قائل: (والباقيات الصالحات) وبجدك رسول الله وخليله وحبيبه وخيرته من خلقه ان تكون وسيلتي إلى الله تعالى في كشف ضري وحل عقدي وفرج حزني وكشف بليتي وتنفيس كربتي وبكهيعص وبياسين والقرآن الحكيم وبالكلمة الطيبة وبما حوى القرآن من مستقر الرحمة وبجبروت العظمة وباللوح المحفوظ وبحقيقة الايمان وقوام البرهان بنور النور وبمعدن النور والحجاب المستور والبيت المعمور والسبع المثاني والقرآن العظيم وفرائض الاحكام والتكلم بالعبراني والمترجم باليوناني والمناجي بالسرياني وما دار في الخطرات وما لم تحط به الظنون من

عملك المخزون وبسرك المصون والتوراة والانجيل والزبور ياذا الجلال والاكرام صل على محمد وآل محمد وخذ بيدي وفرج عني بأنوارك واقسامك وكلماتك البالغة انك جواد كريم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلواته وسلامه على صفوته من بريته محمد وذريته، وتطيب الرقعتين وتجعل رقعة الباري عز وجل في رقعة الإمام عليه السلام وتطرحهما في نهر جاري أو بئر ماء بعد أن تجعلهما في طين حر وتصلي ركعتين وتتوجه إلى الله تعالى بمحمد وآله الطاهرين عليهم السلام وتطرحهما ليلة الجمعة واستشعر فيهما الاجابة لا على سبيل التجربة ولا يكون إلا عند الشدائد وللامور الصعبة ولا تكتبها لغير اهلها فانها لا تنفعه وهي امانة في عنقك وسوف تسأل عنها وإذا رميتها فادع بهذا الدعاء اللهم اني اسألك بالقدرة التي لحظت بها البحر العجاج فأزبد وهاج وماج وكان كالليل الداج طوعاً لأمرك وخوفاً من سطوتك فانفتق اجاجه وأتلق منهاجه وسجت جزائره وقدست جواهره تناديك حياته باختلاف لغاتها إلهنا وسيدنا ما الذي نزل بنا وما الذي حل ببحرنا فقلت لها اسكني سأسكنك ولياً واجاور بك عبداً زكياً فسكن وسبح ووعد بضمائر المنح فلما نزل به ابن متى بما الم الظنون فلما في فيها سبح في امعائها فبكت الجبال عليه تلهفاً وأشفقت عليه الأرض تأسفاً فيونس عليه السلام في حوته كموسى في تابوته لأمرك طائعاً ولوجهك ساجداً خاضعاً فلما احببت أن تقيه القيته في شاطئ البحر شلواً لا تنظر عيناه ولا تبطش يداه ولا تركض رجلاه وانبت منه عليه شجرة من يقطين وأجريت له فراتاً من معين فلما استغفر وتاب خرقت له إلى الجنة باباً انك أنت الوهاب وتذكر الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً انتهى كلام الشيخ الصهرشتي قدس الله روحه.

(أقول): وهو يدل على طريق آخر لهذه القصة بهذه الكيفية اذ لم يذكرها السيد والشيخ الكفعمي قدس سرهما ثم اسناد ذلك منه عن مصباح الشيخ ومختصره والمصباح الموجود المتداول ليس فيه شيء من ذلك ولعل هذا الشيخ عنده نسخة الأصل لكونه في عصر الشيخ ومن تلامذته وفيها ما ليس في غيرها او كتبها الشيخ حاشية على كتابه فظن انها من الأصل ولم تكتب في النسخ وربما تزيد نسخة الاصل على غيرها وكيف كان فيكفي في هذه الاستغاثة الشريفة ما نقله السيد الجليل ونقله هو أيضاً إلى آخر كلام ابي عثمان(ره) من دون هذه الزيادات.

وقال الشيخ الكفعمي في المصباح ومن رقاع الاستغاثات في الأمور المخوفات القصة الكشمردية تكتب الحمد وآية العرش ثم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم من

العبد الذليل وساق الكلام إلى قوله او يطغى ثم قال ثم تدعو بما تختار وتكتب هذه القصة في قرطاس ثم تضع في بندقة طين طاهر نظيف ثم تقرأ عليها سورة ياسين ثم ترمي بها في بئر عميقة أو عين ماء عميقة تنج ان شاء الله تعالى انتهى كلامه علا مقامه وظاهره الوقوف على هذه القضية بطريق آخر غير ما تقدم والكل حسن وكل ناقل منهما ثقة أمين.

يقول صاحب أنوار بعد أنْ روى هذه القصة: «ولم تزل القرامطة في دولتهم ومنكراتهم حتى أباد الله دولتهم وأخمد صولتهم بظهور الأمير عبد الله بن علي البيوني الاحسائي آل ابراهيم من ربيعة جد الأمير علي بن مقرب الشاعر الأديب فبقي يراوحهم ويغاديهم بالحرب مدة سبع سنوات وهو في اربعمائة رجل تزيد قليلاً حتى ذهبت ايامهم وعفت رسومهم واعوامهم ومن جملة ما اتفق في ادبار امرهم وقطع شرهم أبا البهلول العوام بن محمد بن الزجاج الذي احدث قرية العوامية من بني عبد القيس تغلب على حزيرة اوال وانتزعها من أيديهم وطرد عاملهم عنها فلما سمعوا الخبر حشدو الجنود الكثيرة من الاعراب وغيرهم وأتوا بهم إلى القطيف وكانت لهم فجهزوا ثلثمائة سفينة مملوءة عساكر وعليهم أمير من جهتهم فلما توسطوا البحر بين البحرين والقطيف في الموضع المعروف إلى الآن بكسكوس عصفت بهم ريح عظيمة فاغرقتهم جميعاً إلى ان صار ما ذكرناه من قطع ادبارهم وقلع آثارهم وقد اشار إلى ذلك الاديب الشاعر المهذب علي بن مقرب في بعض قصائده بقوله:

سل القرامط من شَظَّى جماجمهم ... طراً وغادرهم بعد العلا خدما

وما بنوا مسجداً لله نعلمه ... بل كلما وجدوه قائماً هدما

وحرقوا عبد قيس في منازلها ... وغادروا الغر من ساداتها حمما

فسبحان الملك الحق المبين الذي لا يزول ملكه ولا يبقى الا وجهه له الحكم واليه ترجعون.

خيـرة الطيـر

❖ الشيخ أحمد بن سالم البحراني

بسم الله الرحمن الرحيم. بعد الحمد والصلاة. فيقول هذه الكلمات والأحرف كثير الزلات قليل التأسف فريد عصره في الذنوب بلا ثاني احمد بن سالم بن عيسى البحراني: وقفت على بعض الآثار المنقولة عن الأئمة الاطهار عليهم السلام في باب الاستخارات وهو «ما حار من استخار» فتتبعتها من مضانها فاذا هي انواع شتى فوجهت نفسي في تحصيل ما تطمئن به النفس منها بالتجارب فاخترت منها الخيرة المروية عن ثامن الائمة الشهيرة بخيرة الطير فجربتها مراراً لاتخرّصاً فوجدتها كما قال الله تعالى: (ان هي إلا وحي يوحى) ولكن العمل بها موقوف على معرفة عشرة دوائر اربعة منها كبار وستة صغار ولكل من الدوائر الاربع فيها مطلب وكل مطلب فيها فهو مذكور في الدوائر الست وبالعكس. وأيضاً في وسط كل دائرة العشر دائرة صغيرة فيها حرف من حروف التهجي وبعد هذه الدوائر دائرة عظيمة مشتملة على اربع وعشرين زاوية فانظر حاجتك اولاً في زوايا الدوائر الاربع ثم انظر من زوايا الدوائر الست وخذ حرف التهجي من الدائرتين اللتين فيها حاجتك ثم حصلهما من احد زوايا الدائرة العظيمة ثم قارع آخر ثم عد بعدد القرعة طيوراً وابتدئ بالطير الذي في سمت الحرفين اللذين في الدوائر العظيمة ثم خذ الطير الذي انتهى اليه العدد فهو المطلب.

وينبغي ان تقرأ قبل المقارعة الفاتحة والاخلاص ثلاثا و(عنده مفاتح الغيب) إلى آخرها وعليك بالاعتقاد والطهارة قبل ذلك.

(الطاوس ج ط) سؤالك عن قضاء الحاجة اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب سؤالك عن التحويل والنقل اسرع تنال كلما تريد. سؤالك عن طيف رأيته فهو مليح وتعبيره إلى خير. سؤالك عن مشتري الأملاك اشتر فانه مليح إنشاء الله تعالى. سؤالك عن المناظرة والمرافعة إلى القاضي تنصر وتظفر. سؤالك عن الخلاص من الغم ابشر تسر وتقر انشاء الله تعالى. سؤالك عن الطلاق لا تعجل فانه ليس فيه خير ولا غنيمة. سؤالك عن عمارة الاملاك اعمر واشتر ترى فيه الفائدة. سؤالك عن الحظ من السلطان ترى منه الحظ الوافر الكثير. سؤالك عن الوصول إلى المرام اصبر تصل إلى ما تريد انشاء الله.

(العصفور ك ح) سؤالك عن السفر اعمد إلى القرعة تجد المطلب. سؤالك عن قضاء الحاجة تقضى سريعاً كما تحب وتريد. سؤالك عن التحويل والتنقل لا تعجل والخير في الصبر. سؤالك عن طيف رأيته فانه يعبر بالخير وبما يسرك. سؤالك عن مشتري الاملاك اجهد وجد تلقى الفائدة. سؤالك عن المناظرة إلى القاضي فاحذر فانه لاخير فيه. سؤالك عن الخلاص من الغم ابشر فان الله يفرج عن قريب. سؤالك عن الطلاق لا تفعل فانك لا ترى فيه خيراً.سؤالك عن عمارة الاملاك ترى الخير والفائدة والبركة. سؤالك عن التوجه إلى السلطان اقصد ترى الخير والبركة.

(الكركي ج م) سؤالك عن الظفر بالعدو اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن السفر اعزم تجد الفائدة والربح والخير. سؤالك عن قضاء الحاجة ابشر فانها تقضى كما تحب. سؤالك عن النقل والحركة اسرع ترى السعادة. سؤالك عن طيف رأيته لا تظهره لأحد واكتمه عن الناس. سؤالك عن مشتري الاملاك اشتر وابشر بالفائدة سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي احترز من ذلك واحذر. سؤالك عن الخلاص من الغم ابشر ترى الفرح والسرور. سؤالك عن الطلاق احذر كي لا تندم وتخسر. سؤالك عن عمارة الاملاك بادر واسرع ترى الفائدة.

(الهدهد ج ف) سؤالك عن حال المريض اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الاعداء ومناظرتهم احذرهم تنجو من شرهم. سؤالك عن السفر احذر كيلا ترى الخسارة والشدة والتعب. سؤالك عن قضاء حاجتك الحاجة متعسرة فلا تعجل. سؤالك عن التنقل والتحويل اصبر لا تعجل فليس فيه فائدة. سؤالك عن طيف رأيته ابشر فان تعبيره خير يسرك. سؤالك عن مشتري الاملاك في وقت آخر يسهل. سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي اعزم وتوكل ترى الظفر. سؤالك عن الخلاص من الغم اصبر اياماً ترى الفرج. سؤالك عن الطلاق لا تعجل كي تندم.

(الديك ج ى) سؤالك عن الغائب اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن حال المريض ابشر يشف سريعاً انشاء الله تعالى. سؤالك عن العدو ابشر تظفر به سريعاً انشاء الله تعالى. سؤالك عن السفر اعزم وتوكل فانه مليح فيه خير وسعادة. سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى سريعاً كما تحب وترضى. سؤالك عن التنقل والتحويل لا تعجل كيلا تندم وتتأسف. سؤالك عن طيف رأيته اكتمه ولا تظهره لاحد. سؤالك عن مشتري الاملاك اشتر ترى الخير والفائدة. سؤالك عن المحاكمة

إلى القاضي احذر فان الخصم غالب. سؤالك عن الخلاص من الغم ابشر فان الفرج قريب والفرح كثير.

(**الباشق ج لا**) سؤالك عن الضائعة اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الغائب يصل بعد مدة بالسلامة والخير والبركة. سؤالك عن المريض يشفى بعد ايام من غير ضرر انشاء الله تعالى. سؤالك عن العدو احذر منه فلا تظفر عليه الا بتعب. سؤالك عن السفر فانه ليس مناسب في هذا الوقت. سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى كما تريد وتحب. سؤالك عن النقل والحركة بادر إليه فانه مليح ومناسب. سؤالك عن طيف رأيته تعبيره مليح وفيه الخير والمسرة. سؤالك عن مشتري الاملاك احذر فان لا فيه فائدة. سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي ابشر فان لك الظفر.

(**الصقر ص ط**) سؤالك عن الحامل اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الضائعة تأمل الخير فان الرجوع يحصل. سؤالك عن الغائب يبطئ في سفره فاستعذ بالله عزوجل. سؤالك عن المريض يشفى من مرضه سريعاً انشاء الله تعالى. سؤالك عن العدو ولا تظفر منه احذر منه غاية الحذر. سؤالك عن السفر احذر فان ما فيه فائدة ولا خير ولا بركة. سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى انشاء الله تعالى. سؤالك عن التحويل والنقل والحركة في هذا لا وقت لا تنفع ابداً. سؤالك عن طيف رأيته تعبيره الخير والسعادة والتوفيق. سؤالك عن مشتري الاملاك اشتر فانه مليح نافع مجرب.

(**العقاب ص ك**) سؤالك عن المحبة اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الحامل تلد انثى مباركة القدم وفيها الخير. سؤالك عن الضائعة لا يأس من رحمة الله فانك تظفر. سؤالك عن الغائب يصل اليك سريعاً كما تحب وتريد. سؤالك عن المريض يبطئ في مرضه والعاقبة إلى خير وسلامة. سؤالك عن العدو ابشر فان الظفر لك انشاء الله تعالى. سؤالك عن السفر اخره إلى وقت تنجو من الملامة. سؤالك عن قضاء الحاجة فانها موقوفة على الصبر والتأمل. سؤالك عن التحويل والتنقل ليس في ذاك صواب ولا خير. سؤالك عن طيف رأيته ابشر ينالك خير كثير.

(**البط ص ي**) سؤالك عن التجارة اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن المحبة والمحبوب تظفر بالمطلوب سريعاً. سؤالك عن الحامل فإنها تلد ولداً مباركاً ذكراً ميموناً. سؤالك عن الضايعة آمن بالله تجد ما ضيعت ويرجع سريعاً. سؤالك عن الغائب يجيء سريعاً على ما تريد وتهوى وتطلب. سؤالك عن المريض يشفى انشاء الله تعالى ويعافى من مرضه. سؤالك عن الاعداء تحذر منهم لا يظفروا عليك.

سؤالك عن السفر لا تتحرك من مكانك تنجو من الملامة. سؤالك عن قضاء الحاجة ابشر فإنها تقضى سريعاً بإذن الله. سؤالك عن النقل والتحويل لا تتحرك فإنه غير نافع.

(الدراج ص ف) سؤالك عن مشتري الحيوانات اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن التجارة ما فيها مصلحة ولا فائدة ولا بركة. سؤالك عن المحبوب تظفر به على ما تريد وتهوى وتشتهي. سؤالك عن الحامل تلد ولداً مباركاً في أسرع وقت وحين. سؤالك عن الضائعة لا تصل إليك إلا بالتعب والمشقة والأذى. سؤالك عن الغائب يجيء بإذن الله تعالى سالماً سريعاً غانماً. سؤالك عن الأعداء هم يجدون لك في المضرة واحذرهم. سؤالك عن السفر لا فيه فائدة ولا مضرة ولا خير ولا شر. سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى بعد أيام إنشاء الله تعالى.

(العلق ص ي) سؤالك عن المعاش والرزق اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشتري فان ما فيه فائدة. سؤالك عن المحبوب تظفر به سريعاً وتنال مطلوبك ومرادك. سؤالك عن الحامل تلد انثى مباركة القدم والبركة فيها. سؤالك عن الضائع تصدق بشيء تراه إنشاء الله تعالى. سؤالك عن الغائب يبطئ ولكنه يجيء سريعاً سالماً مسلماً بإذن الله. سؤالك عن المريض يشفى بعد اسبوعين ان شاء الله. سؤالك عن العدو ابشر فان الله يظفرك عليه ويعينك. سؤالك عن السفر قر عينك وتلقى ما تريده وترجاه.

(العقعق ص لا) سؤالك عن البيع أعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن المعاش بعد يومين إنشاء الله ترزق خير كثير. سؤالك عن مشتري الحيوانات اشتر ترى الفائدة. سؤالك عن التجارة موافقة للفائدة وفيها المنفعة والربح. سؤالك عن المحبوب تظفر به إنشاء الله تعالى. سؤالك عن الحامل تلد ولد مباركاً جميلاً باذن الله تعالى. سؤالك عن الضائعة تصل اليك كما تحب وتريد وتود. سؤالك عن المريض يكون أياماً في زحمة عظيمة ومشقة. سؤالك عن الأعداء تظفر بهم إنشاء الله وتنصر عليهم.

(الرخم س ط) سؤالك عن الحج اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن البيع لا تبع فانك تأسف وتندم وتخسر. سؤالك عن المعاش ابشر فإنك تنال خيراً كثيراً مباركاً. سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشتر فان ليس فيه فائدة. سؤالك عن التجارة ترى فيه مكسب وراحة وسعة رزق. سؤالك عن المحبوب اعلم انه ليس

بصادق معك ولا موافق لك. سؤالك عن الحامل تلد انثى مباركة القدم والاقدام. سؤالك عن الضائعة تصل اليه سريعاً كما تحب وترضى. سؤالك عن الغائب تراه قريباً كما تريد باذن الله تعالى.

(القنبرة س ك) سؤالك عن الزواج اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الحج توجه ترى الفائدة والبركة والخير. سؤالك عن البيع بع وتوكل على الله ترى الفائدة والبركة. سؤالك عن المعاش والرزق ترى الخير والبركة والسعة. سؤالك عن مشتري الحيوانات اشتر ترى خيراً كثيراً وسعة. سؤالك عن التجارة أعزم ترى الخير والبركة وسعة الرزق. سؤالك عن المحبوب ترى ما تهوى من مرام الخاطر والمراد. سؤالك عن الحامل تلد ولداً مباركاً إنشاء الله تعالى. سؤالك عن الضائعة تلقاها بعد مدة طويلة وأيام كثيرة. سؤالك عن الغائب يجيء سريعاً انشاء الله تعالى.

(البازي س م) سؤالك عن الشركة اقصد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الزواج ما فيه في هذا الوقت خير ولا فائدة. سؤالك عن الحج توقف لا تعجل في هذا الوقت واصبر. سؤالك عن البيع بع وتوكل على الله فانه مبارك طيب. سؤالك عن المعاش والرزق يأتيك رزقاً واسعاً وكثيراً. سؤالك عن مشتري الحيوانات احذر ما فيه ولا بركة ولا خير. سؤالك عن التجارة ما يتيسر في هذا الوقت اصبر وتأمل. سؤالك عن المحبوب هو مشغول عنك بغيرك وتاركك. سؤالك عن الحامل تلد انثى مباركة القدم والإقدام سؤالك عن الضائعة لا تقنط من رحمة الله يرجع بإذن الله.

(الطوطي ف س) سؤالك عن الوصول إلى المرام اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الشركة شارك تجد الخير والبركة والسعة. سؤالك عن الزواج تزوج ترى الخير واليمن والبركة والهناء. سؤالك عن البيع فان ما فيه بركة لا تبع وتأمل. سؤالك عن الحج لا تعجل فان ما فيه فائدة ولا مصلحة. سؤالك عن المعاش والرزق ترى رزقاً واسعاً وخيراً كثيراً. سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشتري فان ما فيها فائدة. سؤالك عن التجارة في هذا الوقت ما فيه فائدة ولا خير. سؤالك عن المحبوب ما معك قرب أبعد منه واتركه. سؤالك عن الحامل تلد انثى مباركة القدم.

(الحمامة ي س) سؤالك عن الحظ اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الوصول إلى المرام ابشر تظفر بما تروم وتطلب. سؤالك عن الشركة احذر فان مافيه فائدة ولا خير ولا بركة. سؤالك عن الزوج لا تعجل فان ما فيه خير ولا بركة. سؤالك

عن الحج لا تعجل في هذا الوقت فانك لا تجد المطلوب. سؤالك عن البيع لا تعجل فان ما فيه فائدة ولا بركة. سؤالك عن المعاش والرزق توجه اليك الاقبال سريعاً. سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشتري ما هو بنافع. سؤالك عن التجارة لا تعزم عليها في هذا الوقت اصبر وتأمل. سؤالك عن المحبوب هو متعلق بغيرك لا ترجاه ولا تهواه.

(الغراب س لا) سؤالك عن عمارة الأملاك اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن السلطان والحظ منه احذر مالك فيه فائدة. سؤالك عن الوصول إلى المرام تصل اليه بعد المشقة والتعب. سؤالك عن الشركة ما لك فيها فائدة ولا صلاح ولا خير. سؤالك عن الحج اعزم عليه فيه اليمن والخير والصلاح والبركة. سؤالك عن البيع لا تعجل فان ما فيه فائدة ولا خير ولا بركة. سؤالك عن المعاش والرزق تنال الرزق سريعاً وتربح. سؤالك عن مشتري الحيوانات اشتر فانه مبارك جيد تربح. سؤالك عن التجارة فان ما فيها فائدة ولا مكسب ولا مغنم.

(الحضرمي ط ع) سؤالك عن الطلاق اعمد إلى القرعة تجد المطلب. سؤالك عن عمارة الأملاك اعمر وعجل ترى حاجتك تقضى. سؤالك عن الحظ من السلطان اقصد ترى الحظ والفائدة. سؤالك عن الوصول إلى المرام تبلغ ما تروم إنشاء الله تعالى. سؤالك عن الشركة احذر فان ما فيها فائدة ولا خير ولا بركة. سؤالك عن الزواج اصبر لا تعجل لئلا تندم وتخسر وتتأسف. سؤالك عن الحج اسرع ترى الخير والفائدة والسعادة. سؤالك عن المعاش والرزق ترى ما تروم بالتمام. سؤالك عن مشتري الحيوانات اشتر فإن فيها الراحة.

(الشاهين ك ع) سؤالك عن الخلاص من الغم اقصد عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن الطلاق إن عزمت طلق فانه مليح مبارك. سؤالك عن عمارة الأملاك عجل واعمر ترى الخير والبركة. سؤالك عن الحظ من السلطان ابعد عنه في هذا الوقت. سؤالك عن الوصول إلى المرام تصل إلى ما تروم وتريد إنشاء الله. سؤالك عن الشركة اعزم وشارك ترى الخير والفائدة والبركة. سؤالك عن الزوج تزوج ترى الخير والفائدة والسعادة. سؤالك عن الحج فانه متيسر لك انشاء الله تعالى فعجل تنال المطلوب. سؤالك عن البيع والشراء لا تبع ولا تشري فانه ليس فيه فائدة. سؤالك عن المعاش والرزق ترى السعادة والرزق الواسع.

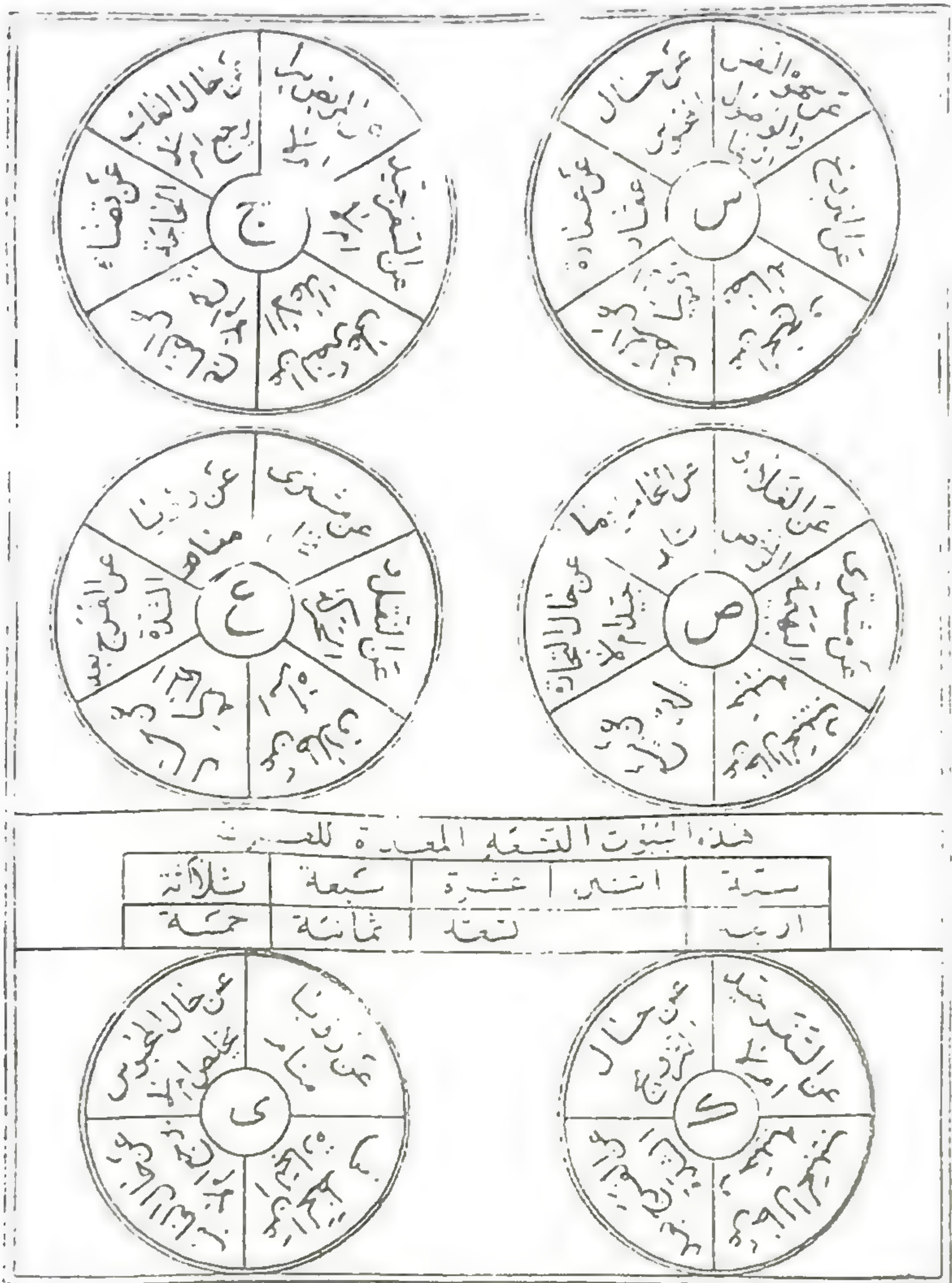
(طوطى م ع) سؤالك عن المحاكمة اقصد عدد القرعة تجد المطلب سؤالك عن الخلاص من الهم ترى الفرج عن قريب إنشاء الله. سؤالك عن الطلاق احذر

لكي لا تندم وتغتم وتهتم. سؤالك عن عمارة الاملاك عجل واسرع واعمر ترى الخير. سؤالك عن الحظ من السلطان يصل اليك منه صلة وشفقة. سؤالك عن الوصول إلى المرام تبلغ ما تروم إنشاء الله تعالى. سؤالك عن الشركة مليحة والعاقبة إلى خير وعافية. سؤالك عن الزواج ابشر تراها جميلاً حسناً وترزق منه خير كثير. سؤالك عن الحج لا تعزم فانه في غير هذا الوقت أيسر وأجمل. سؤالك عن البيع فانه مليح في العاقبة إنشاء الله تعالى.

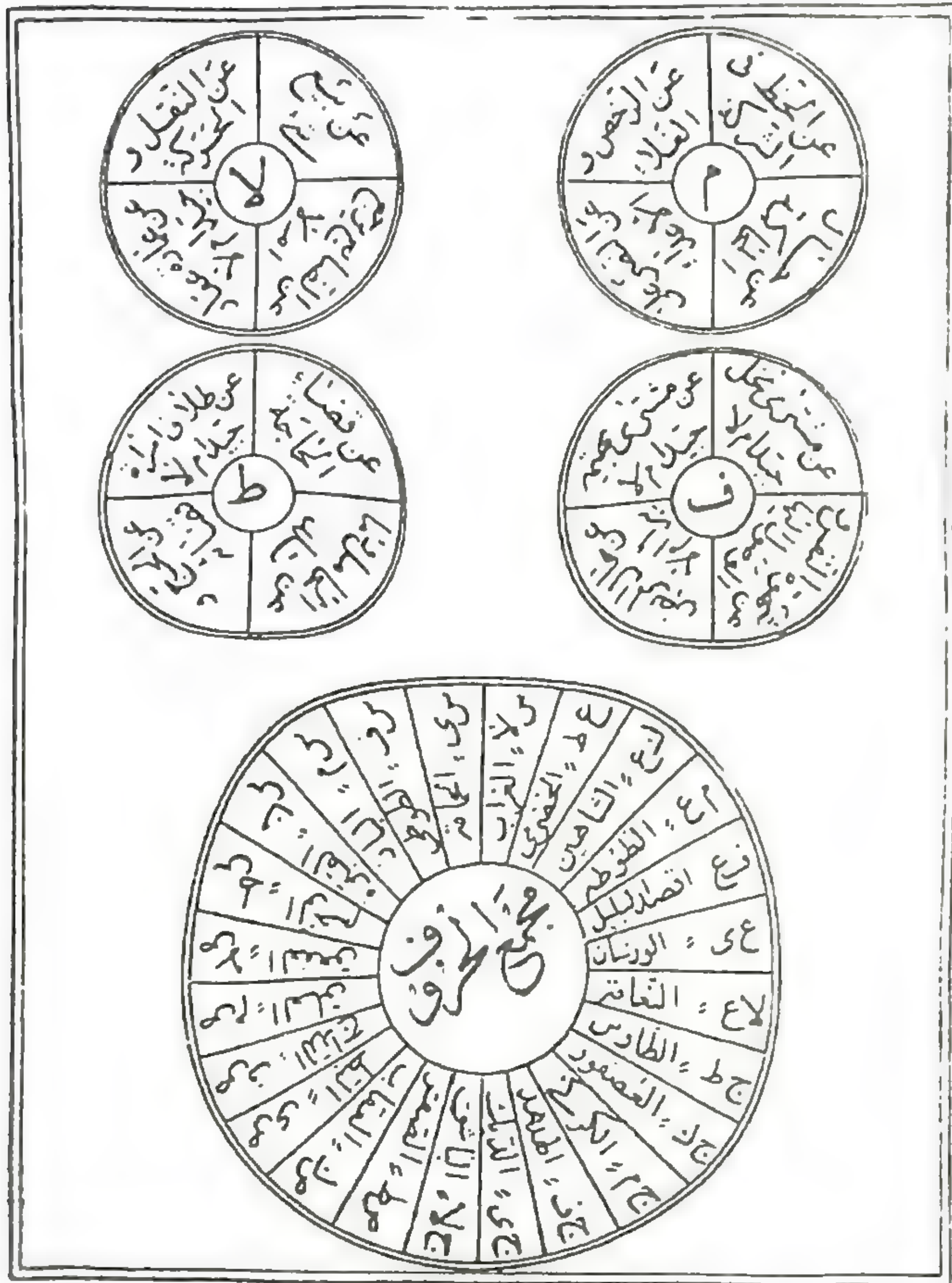
(البلبل ق ع) سؤالك عن مشتري الاملاك اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي ترى الظفر والغلب بإذن الله. سؤالك عن النجاة من الغم ترى الفرج عن قريب إنشاء الله تعالى. سؤالك عن الطلاق احذر لا تطلق تندم وتهتم. سؤالك عن عمارة الاملاك مالك فيها فائدة ولا بركة. سؤالك عن الحظ من السلطان تنال العز والخير والرزق. سؤالك عن الوصول إلى المرام لايتيسر في هذا الوقت. سؤالك عن الشركة شارك واعزم ترى الفايدة. سؤالك عن الزوج فإنها موافقة مباركة لك. سؤالك عن الحج بادر فإنه مليح في الغاية.

(الورشان ي ع) سؤالك عن الطيف رأيته اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن مشتري الأملاك لا تشتري ليس فيه فائدة. سؤالك عن المناظرة إلى القاضي احذر لا خير فيه. سؤالك عن الخلاص من الغم ترى الفرج في قريب. سؤالك عن الطلاق لا تعجل ليس بمليح. سؤالك عن عمارة الأملاك بادر إليه ترى الفائدة. سؤالك عن الوصول إلى المرام تلقى مرامك سريعاً سؤالك عن الشركة احذر فإنها لا فائدة فيها. سؤالك عن الزواج تزوج ترى الخير والفائدة.

(النعامة لا ع) سؤالك عن النقل والحركة اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن طيف رأيته لابد أن يصل إليك. سؤالك عن مشتري الأملاك فإنه ليس فيه فائدة. سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي اعمد ترى الظفر. سؤالك عن الخلاص من الغم اصبر إلى أن يأتيك الفرج. سؤالك عن الطلاق إن عزمت طلق فإنها مليحة. سؤالك عن عمارة الأملاك تأخر عن ذلك الإصلاح فيه. سؤالك عن الحظ من السلطان تنال من الجاه والعز. سؤالك عن الوصول إلى المرام اطمع فانه يحصل لك. سؤالك عن الشركة احذر لا تشارك ليس فيه خير. واذا لم يكمل عدد المقارعة حيث انقطع إلى هنا فليرجع إلى السؤال ويكمل العدد من هناك.



أشكال الدوائر الستة مع البيوت التسعة للقرعة



وقعت في الدوائر أغلاط سابقاً صححناها وهي ما يلي:

الغلط «عن مشترى النخل»، الصحيح «عن مشتري الأملاك».

الغلط «عن الرخص والغلاء»، الصحيح «عن المعاش والرزق».

ملحمة دانيال



ملحمة دانيال

النبي دانيال عليه السلام، من الانبياء المعروفين وقد عاش فب بلاد الرافدين، وقد نسبت إليه ملحمة فيها من التنبؤات وتفسير الامور الغامضة الشيء الكثير واشتهر امرها في القرون الاولى، ولسنا نعرف على وجه الدقة هل أن الملحمة الموجودة حالياً هي من بنات افكاره أو أنها استحدثت فيما بعد ونُسبت اليه؟ إذ حكى المؤرخون لأخبار بغداد أنه كان بها أيام المقتدر ورّاق ذكي يعرف بالدانيالي يبلّ الأوراق ويكتب فيها بخطّ عتيق، ويرمز فيه بحروف وأسماء أهل الدولة ويشير بها إلى ما يعرف قبلهم اليه من أحوال الرفقة والجاه كأنها ملاحم، ويحصل على ما يريده منهم في الدنيا وذكر فيها كوائن اخرى وملاحم مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه إلى دانيال[1].

وقد وقعت في ايدينا مجموعة من مخطوطات هذه الملحمة تختلف في بعض المضامين التي تحتويها وهي مصورة من عدة أماكن في العالم نوجز حالها على الوضع التالي:

١- كتاب دانيال النبي، وقد عُرف بكتاب العظمة، من مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس، رقم٤٦٠٥.

٢- كتاب دانيال النبي (الملحمة الكبرى في الشهور الاثني عشرة ودخول السنة) نسخة تركية من مكتبة يوسف آغا، رقم ١/٥٠٠٦ (كتبت في القرن العاشر من ١ب - إلى ٣٢ب) ضمن مجموع ذكرها شش في نوادر تركيا ٨/١.

٣- نسختان في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بحلب، الاولى بعنوان: (ملحمة دانيال) ١٠٣ ورقة، ١٣ سطراً، برقم ١٧٣/٢٦، ١٥٨٣ جاء في اولها «تأليف: حُبيش بن ابراهيم بن محمد كمال الدين أبي الفضل التفليسي المتوفى ٦٢٩هـ.

والنسخة الثانية بعنوان «الملحمة في الأحكام من كلام دانيال عليه السلام» وتقع في ٦١ص، برقم ١٨٧/٤٠، ١٦٠٧.

٤- نسخة الجامعة الامريكية ببيروت.

٥- نسخة مكتبة جامعة ليدن، هولندا وهي برقم OR.١٦٧,١٤ وهي باللغة السريانية ويسرنا نشر مصورتها الكاملة ضمن هذا الملف من موسوعتنا «الموسم».

---

(١) صديق حسن خان: لقطة العجلان مما تمس اليه حاجة الإنسان ص٤٠. بيروت ١٩٨٥. وانظر أيضاً: مادة دانيال في دائرة المعارف الإسلامية ١١٨/٩.

وبالعودة إلى موضوع دانيال، فإن هذا النبي لم يذكر كثيراً في الكتب الإسلامية وقد جاء في تاريخ الطبري انه كان ممن أسرهم بختنصر في بيت المقدس، ولكن هذا الملك عرف له عقله، فجعله كاتب سره (سفر دانيال، الإصحاح الأول الآيات من ١ ـ ٦) ثم هدى دانيال كورش بعد ذلك (الإصحاح ١٤، آية ٦٢) ويقال إن كورش استورزه، واستأذن دانيال هذا الملك في السماح لنبي إسرائيل بالعودة إلى بيت المقدس، ليعمروا المدينة والهيكل، فأجاب الملك طلبة الناس، ولكنه استبقى النبي دانيال إلى جانبه، ولم يسمح له بالعودة إلى مسقط رأسه إلا عند موت الملك. وتذهب رواية أخرى أن الملك رده إلى وطنه على رأس بني إسرائيل.

أما قصة غار الأسد والبشارة (السفر نفسه الإصحاح ١١) فقد وردت أيضاً في تاريخ الطبري ولكن بخلاف ملحوظ.

وقد أنبئنا علاوة على ذلك بأن دانيال بعث إلى الحياة ألف رجل ماتوا ألف سنة ـ وهي قصة يظهر أنها تقوم على خطأ في تفسير الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال.

ويفرق المسعودي في كتابه «مروج الذهب» (ج٢، ص١٢٨) بين اثنين يحملان اسم دانيال، فأما أصغرهما فقد عاش أيام التيه، في حين ظهر الآخر في زمن قديم بين عهدي نوح وإبراهيم. وتنسب إلى أكبرهما البشارة بملك العالم، ويقال أيضاً إنه ألف كتاباً في النبوءات هو كتاب «الجفر» ويقول المسعودي (المصدر نفسه ص١١٨) إنه كانت هناك بئر بجوار مدينة بابل تنسب إلى النبي دانيال يزورها النصارى واليهود في مواسم بعينها ويردد البيروني ذكر قصة تذهب إلى أن هذا النبي استمد حكمته من غار الكنز، وهو غار أخفى فيه آدم أسرار الحكمة (البيروني: الآثار الباقية، طبعة سخاو، ص٣٠٠، انظر فيما يختص بهذه الفكرةDie Schatzhohle طبعة وترجمة بزولد Bezold ليبسك عام ١٨٨٢-١٨٨٨) ويذكر المؤلف نفسه نبأ خلاف نشب بين اليهود والنصارى حول تفسير الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال[١].

وورد في قاموس الكتاب المقدس تفصيلات مفيدة بشأن النبي دانيال عليه السلام، اذ تعرض في البداية لأسمه واشار إلى أنه عبري الاصل ومعناه «الله قضى» قال[٢]:

---

(١) انظر فيما يختص بقبر دانيال في مدينة السوس أو تستر:Zeitschr.der Deutsch Morgaenl جـ٥٢، ص٥٨ وما بعدها : Jewish Encyclopaedia جـ٤، ص٤٣٠ وكتاب العرب المذكورين فيها. وانظر أيضاً قصص الأنبياء للثعلبي (طبعة القاهرة عام ١٣٢٥، ص٢١٣ وما بعدها) عن كارادي فو B.Carra De Vaux دائرة المعارف الإسلامية ١١٨/٩ ـ ١١٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، بيروت ١٩٨١ ص٣٥٧ وما بعدها.

انه أحد الانبياء الاربعة الكبار وكان من عائلة شريفة ويظن انه ولد في اورشليم (دا ١: ٣ قابل يوسيفوس) وأتي بأمر نبوخذ نصر إلى بابل مع ثلاثة فتيان من الأشراف هم: حننيا وميشائيل وعزريل سنة ٦٠٥ ق.م. فتعلم هناك لغة الكلدانيين ورشح مع رفقائه الثلاثة للخدمة في القصر الملكي (دا ١: ١- ٤ وار ٢٥: ١) فغير رئيس الخصيان اسماءهم فسمى دانيال بلطشاصر ورفقاءه شدرخ وميشخ وعبدنغو. وأبى هؤلاء الاربعة أن يأكلوا من طعام الملك أو أن يشربوا من خمره واختاروا القطاني والماء. ومع بساطة هذا المأكل والمشرب فان مناظرهم ظهرت احسن من بقية الفتيان الذين تناولوا من أطايب الملك وخمره.

ثم بعد ما تعلم دانيال ثلاث سنين اعطاه الله فرصة لاظهار علمه وحكمته فَفَسَّر حلماً لنبوخذ نصر كان قد ازعجه (دا ص٢) ومكافأة له على هذه الخدمة نصبه حاكماً على بابل ورئيساً على جميع حكمائها. وفي هذا المنصب اشتهر بين أهل جيله (خر ١٤: ١٤ و٢٠ و٢٨: ٣). مع ان بعض العلماء يظنون ان في هذه الكلمات اشارة إلى شخص آخر اسمه دانيال عاش في عصر مبكر قبل دانيال صاحب السفر. ثم ابان للملك في وقت آخر ما كان الله قد قصد ان يقاصه به لاجل عنفوانه وكبريائه (دا ص٤).

ووقع له أيضاً مثل ذلك مع بيلشاصر ابن ابنة نبوخذ نصر وابن نبونيدس والذي حكم في بابل نيابة عنه، وقد قرأ دانيال الكتابة التي على الحائط (دا ص٥).

وفي ايام داريوس المادي جعل دانيال اول الوزراء الثلاثة في دولة مادي وفارس، فَدَسَّ اعداء دانيال له وحملوا داريوس على ان يصدر امراً بأن لا تقدم صلاة الا للملك مدة ٣٠ يوماً، اما دانيال فلم ينقطع عن الصلاة ولذلك طرح في جب الاسود حسب امر الملك (ص٦: ٣ ـ ٢٣) ثم انظر ١ مكابيين ٢: ٦٠) وفي السنة الاولى لداريوس كان السبي يقرب من نهايته (ارميا ٢٥: ١١ و١٢ و٢٩: ١٠ ودانيال ٩: ١و٢). وقد تذلل دانيال امام الرب واعترف بخطايا شعبه واتجه إلى الله في الصلاة ونتيجة لهذه كلها اعلنت له نبوة السبعين اسبوعاً (ص٩: ٢٤). وفي السنة الثالثة لملك كورش ملك الفرس رأى دانيال في رؤيا النزاع الاخير بين قوات العالم وملكوت الله(ص١٠ ـ ١٢). وقد اشار العهد الجديد إلى دانيال في مت ٢٤: ١٥ ومرقس ١٣: ١٤ وعبرانيين ١١: ٣٣. وقد ورد ذكره في الابوكريفا في ٢ اسدراس ١٢: ١١ و١ مكابيين ٢: ٦٠.

سفر دانيال: يوضع سفر دانيال في الكتاب المقدس باللغة العربية وكذلك في اللغات الحديثة كالانكليزية والفرنسية والالمانية، ضمن الأنبياء الكبار فيأتي في

الترتيب بعد حزقيال. وفي هذا تتبع هذه الترجمات الترتيب الذي سارت عليه الترجمة السبعينية ومن بعدها ترجمة الفلجات اللاتينية. اما موضع السفر بحسب ترتيب الاسفار في العهد القديم كما جاء في الاصل العبري فيقع في القسم الذي يسمى «الكتوبيم» اي «الكتب». وهو القسم الثالث من العهد القديم في اللغة الاصلية. وينقسم السفر بالنسبة إلى محتوياته إلى قسمين رئيسيين وهما:

أولاً: الاجزاء التاريخية.

ثانياً: الاجزاء الرؤوية أو النبوية. وفي القسم الاول نجد:

(١) مقدمة السفر كله - وفيها نرى صورة لدانيال ورفاقه الثلاثة وكلهم من ابناء الاشراف في يهوذا الذين اخذوا في السبي إلى بابل وكيف انهم رفضوا ان يتنجسوا باطايب الملك ويخمر مشروبه (ص١).

(٢) دانيال يفسر حلم نبوخذ نصر عن التمثال الهائل العجيب (ص٢).

(٣) رفض رفاق دانيال ان يسجدوا لتمثال الملك، والقاؤهم في اتون النار المتقدة، ونجاتهم العجيبة من الاحتراق بنيرانه الملتهبة (ص٣).

(٤) دانيال يفسر حلم الملك عن الشجرة العظيمة التي قطعت (ص٤).

(٥) دانيال يفسر الكتابة على الحائط في الوليمة التي اقامها بيلشاصر (ص٥).

(٦) داريوس المادي يرفع دانيال إلى اسمى المناصب في المملكة فيثير هذا حسد اعدائه فيكيدون له ويلقى في جب الاسود. ولكن الرب ينجيه من جب الاسود (ص٦).

نجد في القسم الثاني اربع رؤى عظيمة يراها دانيال هي:

(١) رؤيا تمثل قوى العالم الاربع العظمى في شكل اربعة حيوانات ثم تزول هذه القوى ومن بعدها تثبت مملكة شعب قديسي العلي وهي ملكوت ابدي (ص٧).

(٢) الرؤيا التي فيها يرى القوة التي يمثلها تيس المعز تتغلب على قوة اخرى هائلة يمثلها كبش، والقوة التي يمثلها تيس المعز تنقسم إلى اربعة اقسام، ملك احد هذه الاقسام ينجس الهيكل (ص٨).

(٣) أما الرؤيا الثالثة فقد جاءت استجابة لصلاة التوبة التي قدمها دانيال. وهي عبارة عن رسالة حملها اليه الملاك جبرائيل تتعلق بمملكة المسيح العتيدة التي تأتي بعد سبعين اسبوعاً (ص٩).

(٤) في الرؤيا الرابعة تأتيه رسائل من الله تؤكد له محبة الله للمؤمنين الامناء في شعبه. وفيها يرى صورة للمظالم التي يرتكبها ملك الشمال (ص١٠-١٢).

لغة السفر: ويجدر بنا ان نلاحظ ان سفر دانيال مكتوب في لغتين في الاصل، فقد كتب جزء منه باللغة الارامية وهو يشمل ص٢: ٤ ـ ص٧: ٢٨ اما بقية السفر فقد كتبت باللغة العبرانية.

تاريخية السفر: كان من اثر الكشوف الحديثة انها ساعدت على اثبات تاريخية السفر. فلقد زعم كثير من العلماء في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بأنه من المشكوك فيه ان كان هناك ملك باسم بيلشاصر، ولكن اكتشاف سجلات معاصرة لغزو بابل اثبت انه كان شخصية تاريخية. وقد فسرت لنا هذه السجلات السبب الذي لأجله جعل بيلشاصر دانيال ثالثاً في المملكة بدلاً من ان يكون ثانياً فيها وذلك لان بيلشاصر وأباه الملك نبونيدس كانا يشغلان المكانين الاولين في المملكة. ثم اظهرت لنا هذه السجلات السبب الذي لأجله ذكر ان ملك بابل في الليلة التي غزاها فيها الميديون كان بيلشاصر وليس نبونيدس. فان نبونيدس الملك كان قد ترك بابل وبنى لنفسه في تيماء في شمال الصحراء العربية قصوراً تشبه قصور بابل، وانه عهد بالملك إلى ابنه وشريكه في الملك بيلشاصر الذي كان يحمل لقب ملك بابل. وقد كان الملك الفعلي في غيبة أبيه نبونيدس. وكذلك أظهرت لنا هذه الكشوف ان كورش لما عين نائباً للملك في بابل كان يسير وفق سياسته التي عرفت عنه. ثم اظهرت لنا أن الإشارة إلى بيلشاصر كابن نبوخذ نصر تتمشى مع العرف المألوف حينئذ.

ويقتبس السيد المسيح نبوة دانيال وذلك في مت ٢٤: ١٥. ويتحدث يوسيفوس عن دانيال بأنه نبي عظيم (يوسيفوس)، آثار ـ الكتاب العاشر والفقرة ١١) وقد ذكر يوسيفوس ان نبوات دانيال كانت موجودة قبل عصر الاسكندر الاكبر اي قبل عام ٣٣٠ ق.م. أو بالحري قبل عصر ارتزركسيس. وقد ذكر أمر نجاة شدرخ وميشخ وعبدنغو من اتون النار المتقدة، وكذلك امر نجاة دانيال من جب الاسود في ١ مكا ٢: ٥٩ و٦٠ وكذلك في ص ١: ٥٤ بمقارنته بدانيال ٩: ٢٧و ١١: ٣١.

تفسير دانيال في الكنيسة المسيحية: يتفق تفسير السفر مع ما حدث في التاريخ فمثلاً قرار ارتزر كسيس الذي اعلنه في السنة السابعة من ملكه اي في سنة ٤٥٨ وبعد مضي سبعة اسابيع من السنين أو ٤٩ عاماً أي عام ٤٠٨ ق. م. ويتفق هذا مع الاصلاح الذي تم على يد عزرا ونحميا الذي قاما به في اثناء هذا الزمن. ولا يعرف متى توقف هذا الإصلاح ولكننا نعلم ان الحاكم الذي حل محل نحميا سنة ٤١١ كان فارسياً وقد جاء قبل ختام الأسبوع السابع. ثم من بعد ذلك جاء ٦٢ اسبوعاً او ٤٣٤ سنة وتصل هذه من ذلك إلى عام ٢٦ ميلادي أي إلى الزمن الذي بدأ فيه يسوع مناداته الجهارية

بالإنجيل أو ربما في أوائل عام ٢٧ ميلادي بعد هذه الاسابيع الاثنين والستين «يقطع المسيح» (دانيال ٩: ٢٦) متمماً. كفارة الاثم وآتياً بالبر الابدي الذي يتحدث عنه دانيال ٩: ٢٤. وفي وسط هذا الأسبوع الأخير يأتي واحد يبطل الذبيحة ويضع حداً للفرائض الطقسية لا عن طريق منعها بل بتقديمه نفسه ذبيحة على صليب الجلجثة وبذلك جعل كل الذبائح الأخرى والطقوس الموسوية غير ذات موضوع. ويرى بعض المفسرين انه مع ان الحوادث التاريخية التي حدثت في تاريخ ملكوت الله تتفق وما جاء في السفر عن هذا الملكوت الأبدي ومع ما لهذا الاتفاق من أهمية عظمى إلا أنهم يقولون أنه يرجح أن هذه السبعين اسبوعاً، يضاف إليها السبعة الاسابيع الأخرى التي تجيء في الابتداء على حدتها وكذلك الأسبوع الأخير الذي يجيء على حدته، كل هذه إن هي إلا أمور رمزية وتعبر تعبيراً رمزياً لا حسابياً عن آماد طويلة شاسعة في تاريخ ملكوت الله في الأرض.

ومما هو جدير بالذكر ان الرب يسوع المسيح اتخذ لقب «ابن الإنسان» المذكور في دانيال ٧: ١٣ و١٤ لقباً، وتحدث عن مجيئه للدينونة محققاً في نفسه وشخصه ما تحدث به دانيال عن عمل ابن الإنسان في الدينوية (مت ٢٤: ٣٠ و٢٦: ٦٤).

ثم ان رؤى دانيال والوحوش الصاعدة من البحر المذكورة في ص٧: ٣ـ٧ نجد صداها في صورة الوحش الذي رآه يوحنا صاعداً من البحر (رؤيا ١٣: ١)

وكذلك يجدر بان نذكر ان الغرض النهائي من نبوات السفر يتركز في ملكوت الله، فهدف النبوات تأسيس هذا الملكوت وغايتها انتشار عمل هذا الملكوت وذيوعه، والنهاية المجيدة التي تهدف إليها هي مجيء هذا الملكوت في كماله. فالسفر والحالة هذه شبيه بسفر الرؤيا في اغراضه واهدافه وغاياته.

أما بالنسبة إلى دانيال المذكور في سفر حزقيال ١٤:١٤ و٢٠ و٢٨: ٣ يرجح كثير من العلماء انه شخصية تختلف عن دانيال صاحب السفر والذي كان معاصراً لحزقيال. فانه يذكر في هذه النصوص مع نوح ومع ايوب مما يدل على ان دانيال هذا عاش في زمن مبكر جداً سابق لعصر حزقيال. ثم يلاحظ ان اسم دانيال هذا في كتابته تنقصه في الأصل «ياء» أما دانيال صاحب السفر فتوجد «الياء» في كتابة اسمه في الاصل. ويظن بعض العلماء أن دانيال هذا كان بطلاً عاش في القديم، وكان معروفاً بتقواه وانصافه للارامل والايتام. وقد ورد ذكره في نصوص «أوغاريت» من رأس الشمرا في نحو القرن الخامس عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد.

كتاب دانيال (السرياني) ينشر لأول مرة عن الأصل الهولندي

ثانيا اذا اردت تعرف القمر في اي منزله هي فاعلم الشهر الرومي الذي انت
فيه كم يوم مضا منه فاذا علمت فاجعل الشهر قسمين فان كنت في النصف الاول
فاضع اصبعك علي منزلته الاولي او في نصف الثاني فعلي منزلته الثانيه هذا اذا
كان في الشهر الذي فيه منزلتان وان كان ثلث منازل فاقسم الشهر ثلث
عشرات فان كنت في عشر الاول فضع إصابعك علي الاولي من المنازل الثلاثه
منها ثم عد المنازل علي التوالي بعدد ايام الشهر العربي الذي انت فيه
والذي بالذي وضعت عليها اصبعك في اي منزلته نفذ عليها العدد كان
القمر في تلك المنزله وذلك البرج وقد وضعت لك هذه الباب ليسهل
عليك الطلب والله اعلم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ستين التي بإطلوع الفلك في تموز طباخ لكن ذلك السنة على

[illegible]

شهور العربية محرم صفر ربيع الاول ربيع الاخر جماد الاول جماد
الاخر رجب شعبان رمضان شوال ذو القعدة ذو الحجه

[illegible]

[illegible] فان اردت ان تعرف بروج السنين [illegible]
الاسكندرين واحسبهم جميعًا وزيد عليهم ستة احزيات واطرحهم
في التسعة عشر [illegible] خذ خمسة : وما الوفي اثنعشر واطرحهم
هكذا . والذي يبقا معك يبين هو برج السنه : ان يبقا واحدة الميزان :
وان اثنين الحوت : وان كان ثالثا السرطان : وان رابعًا القوس الكبير :
وان خامسًا الحمل : وان سادسًا السنبله : وان كان سابعًا الجدي :
وان ثامنًا الثور : وان تاسعًا الميزان : وان عاشرًا الدلو : وان حادي
عشر الاسرطانيه : وان ثاني عشر العقرب : وان ثالث عشر الحوت :
وان رابع عشر الاسد : وان خامس عشر الجدي : وان سادس
عشر الثور : وان سابع عشر السنبله : وان الثامن عشر الدلو :
وان تاسع عشر الجوزا : تم

رسائل نادرة

الكهف والرقيم
في شرح
بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف

الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم الجيلاني

سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني

(٧٦٧-٨٣٢هـ) (١٣٦٥-١٤٢٨م)

اعتنى بمراجعتها ونشرها

محمد سعيد الطريحي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الكامن في كنه ذاته، الكائن في عماء غياباته، الكامل في أسمائه وصفاته، الجامع بإلوهيته شمل مضاداته، الأحد في سماته، الواحد في تعداداته، المتحيزة اوصافه في استيفاءاته، الازلي في أبد أخرياته، الابدي في ازل اولياته، البارز في كل صورة ومعنى بسورة وآياته، البائن عن كل محسوس ومقول وموهوم ومعقول بَينا غير متبائن في بيناته، المتخلق بكل خلق في كل خلق من مخلوقاته، المتجلى بصور العالم من انسانه وحيوانه ونباتاته وجماداته، المتخلى في سرادق تنزيهه، عن الفصل والوصل والضد والند والكم والكيف والتجسيم والتحديد والتقييد بتشبيهه او تنزيهاته، سبوح سبحت اسماؤه في بحار كنهه فغرقت دون الوصل إلى غاياته، متصف بكل وصف مؤتلف بكل الف مجتمع بكل جمع ممتنع بكل منع مفترق بكل فرق بكل تحديد مقدس منزه في تشبيهاته، لا يحصره الاين ولا يخلو منه ولا تدركه العين ولايستتر عنه خالق معنى الخلق عرض على جوهر هو حقيقة ذلك الجوهر ولا عرض يعتريه رازق معنى الرزق تنزله في رتبة سماها خلقا ليوفي بها حكم مرتبته الاخرى على ما تطلبه الحكمة أو يقتضيه حكم تقديراته، مجهول في حقيقة غيب "كنت كنزا لم اعرف" بعد تعرفه إلى خلقه بما عرف من تعريفاته، جعل اسم الخلق محلا لذاته ولا يتعداه، ورسم لأسم الحق حكما من ذاته لايفيدك سواه، وحكم لألوهيته جمعها فلم يك مرضى لغيره وراء الله، لالوهيته الحيطة بأحديته ولأحديته السلطنة على إلوهيته في ترتيباته، تعرف إلى كل موجود بحسب المرتبة التي ابرزه فيها من عينه وما عرفه إلا نفسه في جماله وزينة من جميع مكوناته، احمده حمده لنفسه من خلف سرادق غيبه الا نهى، واثني عليه بلسان جماله الأ كمل الأبهى، هو كما اثنى على نفسه لديه، اذ كنت لا احصى ثناء عليه، واستمد من الجناب الأعظم، غيب غيب الجمع الابهم، نقطة عين الحرف المعجم، محمد سيد العرب والعجم، مركز كنه الحقائق والتوحيد، مجمع دقائق التنزيه والتحديد، مجلي معاني جمال القديم والجديد، صورة كمال الذات، الأزلي التخليد في جنات الصفات، الأبدي الإطلاق في ميدان

الالوهيات، صلى الله عليه وسلم وعلى آله القادة الهداة، المتحلين بحلية المتحولين في أحواله، القائمين عنه له في مقامه بأقواله وأفعاله، وعلى آله وأصحابه وعترته وأنساله، وشرف وكرم، ومجد وعظم.

اما بعد: فاني استخرت الله تعالى في املاء هذا الكتاب المسمى (**بالكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم**) وذلك بعد باعث رحماني. واجابة لسؤال أخ عارف رباني. هو ذو الفهم الثاقب، والذكاء الباهر الراسخ الناسب والتجريد والتفريد والقدم الصدق في المطالب، عماد الدين **يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسن بن علي** بعد مدافعتي اياه، وتأخري عن التقدم إلى مايهواه، فلم يسمح بالاقالة ولم يجنح إلا إلى ما قاله، بعثني صدق رغبته إلى موافقته، فاستخرت الله تعالى ولجأت إليه، اسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به ممليه، والسامعين وقارئه، وهو الاولى بالاجابة والاجدر لتوفيقي بالاصابة، والملتمس من أهل الله ساداتنا الاخوان الناظرين في هذا الكتاب سلام الله عليهم ورضوانه ان يفحصوا في معنى كل كلمة حتى ينحلهم، تبيانه من وجوه عباراتها واشاراتها، وتصريحاتها وتلويحاتها وكناياتها، وتقديمها وتأخيرها المراعاة للقواعد الشرعية والاصول الدينية فان وقفوا على معنى من معاني التوحيد شهد لهم فيه الكتاب والسنة فذلك مطلوبي الذي امليت الكتاب لأجله وان فهموا منه خلاف ذلك فأنا بريئ من ذلك الفهم فليرفضوه وليطلبوا ما امليته مع الجمع بالكتاب والسنة فان الله سيوجدهم ذلك سنة جرى بها كرمه في خلقه والله على كل شيء قدير ثم المسؤول منهم ان يمدونا بانفاسهم الالهية ويقبلونا على ما فينا وهذه جهد المقل قدمتها بين أيديهم راجياً دعوة نجي أو نظرة ولي.

فإن تجد عيباً فسد الخللا ... فجلَّ منْ لاعيبَ فيهِ وعلا

وها أنا اشرع فيما ذكرته مستعيناً بالله ناظراً إلى الله آخذاً بالله عن الله فما ثم إلا الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وماتوفيقي إلا بالله.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله سلم أنه قال كل ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل ما في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمن الرحيم وورد كل ما في بسم الله الرحمن الرحيم فهو في الباء وكل ما في الباء فهو في النقطة التي تحت الباء، وقال بعض العارفين بسم الله الرحمن الرحيم من العارف بمنزلة كن من الله. واعلم. ان الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم من وجوه كثيرة كالنحو والصرف واللغة والكلام فيه على مادة الحروف وصيغتها وطبيعتها وهيئتها وتركيبها واختصاصها على باقي الحروف الموجودة في فاتحة الكتاب وجمعها لها واختصاص الاحرف الموجودة في الباء والكلام عليها في منافعها واسرارها ولسنا بصدد شيء من ذلك بل كلامنا عليها من وجه معاني حقائقها فيما يليق بجناب الحق سبحانه وتعالى والكلام مندرج بعضه في بعض، اذ المقصود من جميع هذه الوجوه معرفة الحق سبحانه وتعالى ونحن على بابه فكلما يتجدد من فيضه على الانفاس ينزل به الروح الامين على قلب القرطاس، واعلم. ان النقطة التي تحت الباء أو كل سورة من كتاب الله تعالى لأنّ الحرف مركب من النقطة ولابد لكل سورة من حرف هو أولها ولكل حرف نقطة هي أوله فلزم من هذان النقطة اول كل سورة من كتاب الله تعالى ولما كانت النقطة كما ذكرنا وكانت النسبة بينها وبين الباء تامة كاملة لماسيأتي بيانه كان الباء في أول كل سورة للزوم البسملة في جميع السور حتى سورة براءة فإن الباء أو ل حرف فيها فلزم من هذا أن كل القرآن في كل سورة من كتاب الله تعالى لما سبق من الحديث أن كل القرآن في الفاتحة وهي في البسملة وهي في الباء وهي في النقطة فكذلك الحق سبحانه وتعالى مع كل أحد بكماله لايتجزئ ولا يتبعض فالنقطة اشارة إلى ذات الله تعالى الغائب خلف سرادق كنزيته في ظهوره لخلقه الا تراك ترى النقطة ولا تحسن تقرأها البتة لصموتها وتنزهها عن التقييد بمخرج دون مخرج إذ هي نفس الحروف الخارجة من جميع المخارج فتنتبه لما تقابله من هوية غيب الاحدية وتقرأ النقطة باعتبار الاشتراك تقول في التاء المثناة إذ ازدت عليها نقطة ثاء مثلثة فما قرأت إلا النقطة لأن الباء والتاء والمثناة والمثلثة لاتقرأ اذ صورتها واحدة ولا يقرأ إلا نقطتها فلو كانت تقرأ في نفسها لكانت هيئة كل واحدة غير هيئة الأخرى وبالنقطة تميزت فما قرئ في الاحرف إلا النقطة وكذلك ما عرف في الخلق إلا الله فكما عرفته من الخلق انما عرفته من الله بيد ان النقطة في بعض

الاحرف اشد ظهوراً منها في بعضها فتظهر في بعض زائدة عليها يكون تكميل ذلك الحرف بها كالحروف المعجمة فإن تكميلها بها وتظهر في بعض عينها كالالف وحروف المهملة لانه مركب من النقطة ولهذا كان الالف اشرف من الباء لظهور النقطة في عينه وما ظهرت النقطة في الباء الاعلى حسب تكميله على وجه الاتحاد لان نقطة الحرف من تمام الحرف فهو متحد بالحرف والاتحاد يشعر بالغيرية وهو ذاك الفصل الذي تراه بين الحرف وبين النقطة والالف مقامه مقام الواحد بنفسه ولهذا كان الالف ظاهراً بنفسه في كل حرف كما تقول ان الباء الف مبسوطة والجيم الف معوجة الطرفين والدال الف منحني الوسط والالف في مقام النقطة لتركيب كل حرف منها وكل حرف مركب من النقطة فالنقطة لكل حرف كالجوهر البسيط والحرف كالجسم المركب فما قام الألف بجسمه النقطة فتركيب الأحرف منها كما ذكرناه في أن الباء ألف مبسوطة وكذلك الحقيقة المحمدية خلق العالم بأسره منها لما ورد في حديث جابر ان الله تعالى خلق روح النبي صلى الله عليه واله وسلم من ذاته وخلق العالم بأسره من روح محمد صلى الله عليه واله وسلم فمحمد صلى الله عليه واله وسلم هو الظاهر في الخلق باسمه بالمظاهر الالهية الا ترى انه صلى الله عليه واله وسلم اسري بجسمه إلى فوق العرش وهو مستوى الرحمن فالالف وان كانت بقية الحروف المهملة مثله والنقطة ظاهرة فيها بذاتها لظهورها في الالف فله عليها الزيادة لانه ما بعد عن النقطة الا بدرجة واحدة لأن النقطتين اذا تركبتا صارتا ألفا فحدث الالف بعد واحد وهو الطول إذ الابعاد ثلاثة وهو طول وعرض وعمق أو سمك وبقية الأحرف تجتمع فيها أكثر من بعد كالجيم فإن في رأسه الطول وفي تعريفته السمك وكالكاف فإن في رأسه الطول وفي الوسط بين رأسه وتعريقته الاولى العرض وفي الحائل بين التعريقتين سمك فهذا فيه ثلاثة ابعاد ولا بد في كل حرف غير الألف أن يكون فيه بعدان أو ثلاثة فالأف اقرب إلى النقطة لأن النقطة لابعد لها فنسبة الالف بين الاحرف المهملة نسبة محمد صلى الله عليه واله وسلم بين الانبياء والورثة الكمل فلهذا قدم الألف على سائر الحروف فافهم وتأمل فمن الحروف ما تكون نقطته فوقه ويكون هو تحتها وهو مقام (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله) ومن الحروف ما تكون النقطة تحته ويكون هو فوقها وهو مقام ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده ومن الحروف ما تكون النقطة في وسطه كالنقطة البيضاء في قلب الميم والواو وامثالها فانه محل ما رايت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه ولهذا تجوف لانه ظهر في جوفه شيء غيره فدائرة رأس الميم محل ما رأيت شيئاً

ونقطته البيضاء محل الا ورأيت الله فيه والألف محل أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله قيل في معنى أنما بمنزلة ما الا وتقديره أن الذين يبايعونك ما يبايعون إلا الله ومن المعلوم أن محمد صلى الله عليه واله وسلم بويع فشهد الله لنفسه أنما بويع الا الله فكانه يقول ما انت عند ما بويعت محمداً إنما أنت الله بالغيب لانهم مبايعون الله على الحقيقة وهذا معنى الخلافة الا ترى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اورسول الملك كيف يصح له أن يقول لمن خالفه ما خالفتني إنما خالفت الملك وكذلك يقول لمن ارسل إليهم عن رسوله لاتظنوه فلانا إنما هو يضالهم على طاعته.

(فصل)

نقطة الباء واحدة في عالم غيبها التي لا تفرقه فيه على انها اظهرت في التاء المثناة اثنتين وفي المثلثة ثلاثة ردعاً وتنبيها لمن قال بالشريك انه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة مشيراً إلى أن النقطة الواحدة ولو ظهرت متعددة هي في ذواتها واحدة إلا ترى إليه سبحانه وتعالى أنه واحد تخيل المشرك الشركة فيه فالشريك الذي اعتقده المشرك في خياله مخلوق لله والحق في كل مخلوق بكماله فالشرك مخلوق والشريك المعتقد شركته مخلوق والشركة المعتقدة مخلوقة والاعتقاد مخلوق والحق سبحانه وتعالى في كل شيء من ذلك بكماله وذاته لايتجزئ ولا يتعدد ولا يتكيف واحد لا ثاني له فحصل من هذا ان الشريك هو الحق والمشرك هو الحق والشركة هي الحق فإن شئت اشرك وان شئت افرد فما ثم الا عينك الاترى ان النقطة من حيث هي نقطة لا من حيث هي جرم جزئي. لاتتعدد ولا تتجزى بحيث يأخذ كل شخص من اشخاصه جزأ من اجزائه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فوجدت النقطة في عين التعداد بقوة احديتها الغير المتقسم واعلم. أن النقطة على الحقيقة لاتنضبط بالبصر لان كل ما ابرزته في عالم التجسيم يمكنه التقسيم فالنقطة المشهودة الآن عبارة عن حقيقتها وحد حقيقتها جوهر فرد لا يتجزى فأما اذا ابرزته من غيب الوهم على لسان القلم إلى عالم شهادة لوح الاكوان ازداد حكما في نفسه ذاتيا غير منسوب إليه في حده وهو التقسيم لانه قل ما يوجد بل لايوجد في عالم الأكوان مما يقع عليه ادراك الحواس جوهر فرد لا ينقسم فلما برز هذا الجوهر تحت هذا الحرف انقسم على انه غير مقسوم فهذا محل تشبيه الحق وما ورد فيه بالنص من اليدين والوجه. وفي **حديث الرفرف** كما قال عكرمة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (رأيت ربي في صورة شاب وعليه حلة من ذهب وعلى

رأسه تاج من ذهب وفي رجليه نعلان من ذهب فهو الله تعالى يتجلى بحقه في صورة الشاب وغيره.)

(بيت مفرد)

كتب الجمالُ على جلالة وجهه الله احسن كل شيء خلقه

الحديث بكماله تشبيه في عين التنزيه اذ معنى الحق انما هو المنزه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فيستحيل عليه تقييد التشبيه وانه ليس له الا ذلك فإن كان تشبيهه في تنزيهه وتنزيهه في تشبيهه على الحكم الذي ورد به النص من الكتاب والسنة ظهر لك عالم الغيب في نفس عالم الشهادة وبطن لك عالم الشهادة في عين عالم الغيب ولما كانت النقطة امّاً لجميع الحروف كان جميع الحروف فيها بالقوة ومعنى قولي بالقوة ان تعقل ثبات الاحرف ولا يدرك كونها الا بعد بروزها منها.

(فصل مكالمة النقطة للباء)

تقول النقطة للباء. ايها الحرف اني اصلك لتركيبك مني بل انك في تركيبك اصلي لان كل جزء منك نقطة فانت الكل وانا الجزء والكل اصل والجزء فرع بل ان الاصل على الحقيقة اذ تركيبك عيني لاتنظر إلى بروزي وراءك فتقول هذا البارز غيري انما أراك الا هويتي ولولا وجودي فيك لم يكن لي بك هذه العلاقة إلى متى تصرف بشهادتك عني وتجعلني وراء ظهرك اجعل غيبتك شهادتك وشهادتك غيبتك اما تحقق وحدتي بك لولاك لما كنت نقطة الباء ولولاي لما كنت انت باء منقوطة كم اضرب لك الامثال كي تفهم احديتي بك وتعلم أن انبساطك في عالم الشهادة واستتاري في عالم الغيب حكمان لذاتنا الواحدة لا مشارك في لك ولا مشارك لك في ما انت الا انت لان اسمك حدث على اسمي الا ترى ان اول جزء من اجزائك يسمى نقطة وثاني جزء يسمى نقطة وثالث جزء من اجزائك يسمى نقطة وكذلك جميع اجزائك نقطة في نقطة فانا انت مالك فيك انية بل هويتي هي انيتك التي انت بها انت لو كنت عند قولك في نفسك انا تتخيل ذاتي لكنت انا أيضاً عند قولي هو اتخيل وجهي فكنت حينئذ تعلم ان انا وهو عبارتان ذات واحدة، قالت الباء. سيدي تحققت انك اصلي وقد علمت ان الاصل والفرع شيئان وهذه جثتي منبسطة متركبة لا وجود لي الا بها وانت جوهر لطيف يوجد في كل شيء وانا جسم كثيف مقيد بمكان دون غيره فمن اين لي حقيقة مالك ومن أين اكون انا أنت وكيف يكون حكمك حكمي. فأجابتها النقطة. فقالت شهود جسمانيتك

وتخيل روحانيتي هيئة من هيئاتي ووصف من أوصافي وذلك ان جميع مفترقات الاحرف. والكلمات بجملتها صورتي الواحدة فمن اين التعداد اذ لاتتحقق ان العشرة اسم لمجموع هذه الخمستين فمن اين التغاير بين الخمسة والعشرة في حقيقة العشرية لا في الاسمية واذا كنت انت من كل وجوهك وصفا من اوصافي ونظرة من نظراتي فمن أين تكون الاثنانية بين وبينك وكيف هذه المجادلة التي بيني وبينك انا أصل فيما يراد منك وفيما يراد مني هذ المجموعة ذاتي ترتيب حكمة الهية فإذا اردت تعقلني فحيل نفسك وجميع الحروف كلها والكلمات صغيرها وكبيرها ثم قل لي نقطة فذلك بمجموعه هو عين نفسي ونفسي عين ذلك المجموع بل نفسك عين مجموع عيني عينك بل لا انت ولاهم الكل انابل لا انا ولا انت ولا هم ولا واحد ولا اثنين ولا ثلاثة ما ثم الا النقطة الواحدية لا تعقل لمثلك فيها ولا تفهم فلو تحولت من ثوبك إلى ثوبي لعلمت كل ما اعلم وشهدت كل ما اشهد وسمعت كل ما اسمع وبصرت كل ما ابصر. فاجابه الباء. فقال: قد لاح بارق ما قلت فمن لي بالوقوع في صبح هذا الفجر وقد قلت ان البعد والقرب والكم والكيف من ترتيب وجودك فكلما شهدت القول بالترتيب ومالا بد منه سلمت وانصرفت بوجهي إلى عالم شهادتي ولزومي الادب معك وكلما جلت في ملكوت معناي وجدتك نفسي فاذا طلبت من نفسي مالك من الحل والعقد في الحروف والسريان في كل حرف بكمالك لا أجدُ شيئاً فتتكسر زجاجة همتي وارجع حسيرا. فقالت النقطة. نعم ترجع لانك طلبت من نفسك ونفسك عندك غير نفسي فلا تجد منها مالي فلو طلبت منها انا الذي هو انت من نفسي التي هي نفسك دخلت الدار من بابه فحينئذ ما طلبت ما للنقطة الا من النقطة بل ولا طلبت الا النقطة ما لها منها فجل في هذا المعنى ان كنت معنا.

هـذي الخيـام بـدت علـى أطنابهـا	فـانزل بهـا ان كنـت مـن أحبابهـا
قـف بـين هاتيـك المعـاني انهـا	وقفـت بهـا الازمـان في أترابهـا
مـا هنـد إلا مـن اقـام علـى الغضا	والبـان والا ثـلاث في أجنابهـا
فـأنخ مطيـك في الـديار فانهـا	دار مباركـة علـى أصـحابها
لله در منـازل قـد شُـرّفَتْ	بالـساكنين وشُـرّفوا بترابهـا
لا تعـرف الاغيـار في غرفاتهـا	مجهولـة سـدت علـى أبوابهـا
النـازلين بحيهـا هـم اهلـها	مـن بـان عنهـا لـيس مـن أنـسابها

فصل: سبب جعل الباء في أول القرآن:

الباء هي النفس وهي حرف ظلماني وليس في البسملة بأسرها من الحروف الظلمانية الا هي واعني بالحروف الظلمانية (ب ج د ز ف ش ت ث خ ذ ض ظ غ) لان الحروف النورانية التي هي في اوائل السور مقطعة هي (ا ه ح ط ي ك ل م ن س ع ص ق ر) فجعل الحق حرف الباء اول القرآن في كل سورة لان اول حجاب بينك وبين ذاته سبحانه ظلمة وجودك فاذافنَي ولم يبق الا هو كانت اسماؤه وصفاته التي هي منه حجاب عليه فتلك جميعها نورانية ما خلا الباء الذي هو معنى وجودك فهو ظلماني والباقي جميعه نوراني الا ترى ان بسم الله الرحمن الرحيم كلها حروف نورانية ومن هذا كانت الباء ثوبا على النقطة لانها فوقها والثوب فوق الملابس فكانت الباء ظلمة نور النقطة محجوبة بوجودها التي هي العالم البارز عن العالم الجمال النقطي وحكمة ظهور النقطة وراءه اشارة إلى ان الامر الحقيقي وراء ما ظهر لما التصقت النقطة بالباء كان الباء في الكلام مستعملاً للالصاق ولما كان نظر النقطة ممدوداً إلى الباء كان الباء في كلام العرب مستعملاً للاستعانه لما لاح نار السعادة للباء على شجرة نفسه سرى في ظلمة سرادق غيب ليله عن اهله ليقتبس ناراً لنقطة او يجد هدى في نفسه إلى نفسه من نفسه نودي من جانب قائم شجرة الألف الذي هو اسم الله اخلع نعليك أي وصفك وذاتك بالوادي المقدس وأنت محل التشبيه والدنس ولا مقام لك في وادي تقديس النقطة الا ان تخلع تشبيه ذاتك ودنس صفاتك حتى لا يبقى في القدس الا القدوس فأخذ بزمامه يد التوفيق فانبسط تحت نور الالف انبساط الظل اذ ظل كل شيء مثله وبسط باء كل كتابه بقدر قائم الفها فرأت نفسها ظِلاً لهذا القائم فعلمت ان قيامها به اذلا وجود للظل الا با لشخص بين الجرم المستوي بها فتحقق لها متلَوها ونفت وهمية وجودها ، لان الظل بنفسه ليس بشيء موجود تام انما هو حيلولة الشخص بين الجرم المستتر والأرض فوجود الظل لنفسه محال ولكن لابد من وجود فلما تحقق الباء بهذا القدر من الفناء اخذه الالف إلى نفسه وابقاه في محله واندرج الالف فيه ولهذا طولت باء بسم الله الرحمن الرحيم لتكون دليلاً على الألف المندرج فيها فهي في المعنى خليفة عن الالف وفي الصورة مطولة على هيئة الالف فحصل لها من الالف الهيئة والمعنى ووقعت في الكلام محل الالف ولا يعرف في كلام العرب باء تقوم مقام الالف الا باء بسم الله فانظر هذا الباء كيف انشد حادي حاله لجمال جماله:

وغنى لي مُنَى قلبي ... فغنيت كما غنَّا

فكنّـــا حيـــث مـــا كـــانوا وكـــانوا حيـــث مـــا كُنّـــا

فالالف في نفسه مشتق من الالفة بل على الحقيقة الالفة مشتقة من الالف ألاترى إلى اختلاف الصرفيين في المصدر هل اشتق من الفعل ام الفعل اشتق منه فلهذا ائتلف الالف بالباء لان الباء لزم مقام نفسه من الادب تحته فتلاشى تلاشي الظل تحت الشخص فوفاه الالف من عين الجود مقام نفسه لان مقام الالف التصور بصورة كل حرف اذ الباء الف مبسوطة والجيم الف معوج الطرفين والدال والراء الف منحني الوسط والشين اربع الفات كل سنة منها الف والتعريقة الف منحن مبسوطة وعلى هذا قياس الباقي هذا في الصورة وأما في المعنى فلابد من وجود الالف في كل حرف لفظاً اذا هجيته يقال باء والف والجيم اذا هجيته تقول جيم ياء ميم فالباء المثناة التحتية موجود فيها الالف فالالف في كل حرف صورة ومعنى لانه تنزل إلى النقطة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فله كل ما للنقطة في عالم الشهادة.

ذاك هـــي هـــي ذاك يـــه يـــه ذاك بعـــــض ذاك ابـــــضع

ذاك جبريـــــل المعـــــالي قـــد تـــدحيي وتلفـــع

يقول صلى الله عليه وآله وسلم «لا تدخل الشوكة في رجل احدكم الا وجدت ألمها». هذا لتحقق احديته بمجموع العالم افراده واجزائه حتى انه يجد حال كل فرد في نفسه كما يجده ذلك الفرد في العالم.

سؤال: (ما السبب ان الالف حذف في البسملة ولم يحذف في اقرأ باسم ربك؟)

الجواب. لان اضافة الاسم هنا إلى الله الجامع الذي لايقيد بصفة دون اخرى واضافة الاسم هناك إلى الرب ولابد للرب من عبد مربوب فمحال أن يتحد الباء به في هذا المحل لانه اذا زالت العبودية زالت الربوبية على الفور واما الالوهية اذا زالت العبودية فانها لم تزل لانها اسم لمرتبة جمع المراتب كلها فزوال العبد كما لم يكن ويقال الرب كما لم يزل مرتبة من جملة مراتب الالوهية فهي لا تزول بنوع ما فلما اثر اندراج الالف في ذلك المحل واتحد بالباء فاسقط لفظا وخطا فبسم الله الرحمن الرحيم حقيقة محضة واقرأ باسم ربك شريعة محضة الاتراه تلوا قرأ وهو امر والامر مختص بالشرائع وبسم الله الرحمن الرحيم غير مقيد بأمر ولابغيره فليتأمل.

(فصل في بيان الألف)

الالف لما كانت الالفة مشتقة منه الف بين الحروف فألف بين بعض بذاته كالألف بين الباءات فإنها كلها الفات مبسوطة فكل منها عين الآخر والف بين بعض بصورة لفظة كقولك الخاء ظهر في آخر هما فهذه عين هذه كتابة وصورة وما بقى الفرق الا في التلفظ بل الف بين الجميع بصورته وذاته لما سبق ان كل حرف الف وان الالف موجودة في هجاء كل حرف كذلك الحق سبحانه وتعالى يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما اَلّفت بين قلوبهم ولكن الله اَلّف بينهم. ما كان يمكنك يا محمد ويجوز ان يكون الخطاب لكل مستمع ان تؤلف بانفاق ما في الارض جميعاً بين قلوبهم ولكن الحق بكماله وقوته الف بين اجسامهم وذواتهم وصفاتهم، الف بين طائفة بذاته والف بين طائفة بصفاته، والف بين طائفة بافعاله وهيئاته بل ألف بين الجميع بذاته وجميع صفاته.

هــذا الوجــود وإنْ تعَــدَّدَ ظــاهراً وحيــاتكم مــا فيــه الاّ انــتُمُ

(فصل)

تعلقت الأحرف بالألف ولا تعلق للإلف بشيء من الحروف كذلك افتقر كل مخلوق إلى الله سبحانه وهو غني عن العالمين. يقول القائل. أي حسنة سبقت للألف قبل وجوده حتى قرب من النقطة هذا القرب العظيم واي سيئة تصرفت من الأحرف حتى بعد وقيل في جوابه. عدم بعد مرتبة الالف من محل حكم النقطة في ذاتها حسنة سبقت للالف جزاؤها اتصافه باوصاف النقطة من وجد في رحله فهو وجزاؤه. نعم وعدم قرب بقية الحروف من محل حكم النقطة في ذاتها سيئة سبقت عليها كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك.

(تنبيه)

النكتة في اتحاد الالف بالباء انما هو لوجود الألف فيه ولولا ما في الباء من وجود الألف لفظاً في الهجاء لما اتحد بالباء الالف ولهذا لو كان الالف اولا والباء ثانياً لما اتحد لان الوجه الموجود فيه الالف إنما هو آخره الذي هو عينه فلا يمكن ان يتحد به من غير ذلك الوجه فاذا ما اتحد بالالف الا الالف فاذا الاتحاد لزوال الغيرية فكذلك كل حرف انما يتحد بالالف من آخره وهو الوجه الموجود فيه الالف منه اما ترى في كتابة كل حرف لا يلتصق بالالف الا اذا كان الحرف قبله والالف بعده لايكون الا ذلك لان

الهجاء في ذلك الحرف أنما تتقدمه مادية غيرها مادية الالف ثم يتلوه مادة الالف اما في نفسه نحو هجاء البآء وأما في غيره نحو هجاء الجيم والسين والنون على قدر بعد الحرف وقربه من هيئة الالف وطبيعتة ومكانته وعلى ذلك كله فالالف موجودة في كل حرف وهو ملتصق بأحرف مخصوصة من وجه مخصوص ولا يلتصق بأحرف اخرى من وجه من الوجوه نحو الدال والذال والراء والزاي والواو وما ثم الاّ هذه الخمسة احرف وانظر كيف الالف موجود بكماله في كتابه صورة كل حرف من هذه الاحرف بكماله كذلك الجمادات والانعام اذا حشر كل إلى ربه في يوم القيامة يصير فناء محضاً لا باقي منها الا هو في هويته ليس له فيهم نظر بخلاف الإنسان فانه اذا رجع إلى ربه سبحانه وتعالى لا يبقى الاّ هو في هويته ولابد من نظرة إلى المرتبة المسماة بالانسان منه لأنتفاء الجهل ولحصول اللذة وتمام الكرامة له مع انعدام كل ماسوى الله تعالى بخلاف الجمادات فان الله يفنيها ويعدم اجسادها وذواتها لانه ما جعل لها وجوداً تاماً في العالم بل كان هو الظاهر فيها ولم يجعل لها ملكية وجود كما ترى الالف في الخمسة أحرف كيف ظهر بنفسه منفرداً على صورته وهيئته غير ملتصق بحرف من الحروف وهذا محل عدم الدعوى للجمادات بالوجود لأنه لاتمام لوجود نفس الحرف الاّ بالتصاقه بالالف ولو في الهجاء اذ هو عين حياتها لأنَّ حياة الالف هي السارية في أجسام الحروف ولولا ذلك لما كانت للحروف معاني فما التصقت به الا في الهجاء ولا في الخط فهي برية من دعوى الوجود وأما باقي الحروف فقد ملكوا الوجود كما ملك الحق سبحانه الإنسان وجوداً يتميز به في نفسه ويتحقق ان له وجوداً وذاتا مغايرة لوجود غيره وذاتاً سواه بخلاف الحيوان فانه ولو كان له روح فلا عقل له ولو عقل فلا حافظة تمسك له في خياله ماتعقله فنهاية تعقل الحيوان لما هو بصدد. مما تقضيه الشهوات الطبيعية والعادات الحيوانية وتطلب النفس في اول وهلة من الحفظ وغيره ولو كانت له حافظة تمسك له ما يعقل حتى يقيس بعض أجزائه المعقولة على بعض فيحكم بعد ذلك على الاولى والأحسن منها لكان كاملا في مرتبة الوجود وليس هذا الا الملك وإنسان فقط ولأجل هذا لم يتجلّ الحق لشيء في نفسه اعني نفس الحق سبحانه وتعالى الاّ للإنسان لجمعه بين العقل والشهوة واما الملك لاختصاصه بالعقل فتجلّى الحق له في نفسه لا في نفس الحق بنزوله عن درجة الكمال الجامعة بين التشبيه والتنزيه بخلاف الحيوان فانه لا قدم له في ذلك اذ ليس له ملكية وجود كمال الإنسان فهذا محل دعوى الإنسان بالوجود وهو الحجاب الأعظم الذي لا ينكشف إلا بعد الموت الأكبر

الذي هو زوال علمك بوجودك بعد التحقيق بحقائق التوحيد وبعد ذلك فلا بد من نظر لك تحليه على الله تعالى إلى هذا الإنسان وهيكله لبقاء نشأته وصورته الظاهرة وهذا النظر غير النظر الأول الذي كنت تراه فافهم رزقنا الله واياك تحقيق ذلك كله انه على كل شيء قدير.

(فصل)

تجرد الألف عن عوائق النقط وخلص من العوائق التبعية التي تكون بعده كتعلق الحروف بعضها ببعض من بعد فلم يكن له تعلق بشيء في عين نفسه فلا يتعلق الألف في الخط بشيء من الحروف لأجل ذلك كان ساريا في جميع الأحرف بكليته سريان النقطة فثبت في أول كل اسم معرف من أسماء الله تعالى فهو مظهر الحق وهو المتحقق بالحق بل ليس الحق إلا هو فكانت النقطة له ميزاناً قاس به نفسه واندرج في كل ما تندرج فيها النقطة فكأنه ما كانت النقطة لا حكماً له وهو محكومها بل هو على حقيقة نفس النقطة لنفي الأثنينية اذ لا وجود لمسمى الألف الا من حيث النقطة فهو النقطة المؤتلفة وهو الحرف الذي ابرزته النقطة على صورتها لانَّ ما صورتها الاّ ما تقدم ذكره من الانبساط في كل حرف وتركيب كل كلمة وحرف من نفسها وبرزت فيه متعددة الجسد واحدة الروح لأن الألف مركب من نقط كثيرة كل واحدة بجنب أخرى وعلى الحقيقة النقطة من حيث هي كلي لا ينقسم ولا يتعدد يوجد في جميع جزيئاته من غير تعدد في نفسه كما يوجد الحق تعالى في سمع الإنسان المتقرب إليه بالنوافل وفي بصره وفي يده وفي لسانه فهو سبحانه بكينونية سمع هذا العبد لا يتعدد في كينونية بصره وكما انه موجود في كل شيء ما من أجناس العالم جميعه بكماله لا يتعدد بتعدد الأشياء كذلك الألف معه وجوده في الأحرف الثمانية والعشرين لا يتعدد بتعددها لأن الألف في جملتها واحد ومن هنا قال من قال «أن الألف ليس من جملة الحروف» لأدّعائه ان الإنسان الكامل ليس من جملة غيره من المخلوقات فافهم.

(فصل)

عدد الألف واحد والواحد عدد لامن جملة الأعداد لان العدد اسم لتكرار الواحد في مرتبتين فصاعداً وفائدته تعقل تسمية المعدود في مرتبة التغاير تعقلاً كمياً وليس للواحد في نفسه مغايرة لعدم السوى فلا يدخل في حد العدد من هذا الوجه ودخل فيه من حيث تعقل عدم تغايره في نفسه فهو عدد لا كالاعداد كما قالت العقلاء «ان الله

شيء لا كالاشياء» وسرّ بروز الألف في عدد الواحد لبُعده من النقطة بعداً واحد أو هو الطول فقط لأن النقطة ما لها طول ولاعرض ولاعمق ولاسمك وهو له الطول فقط فهو الخط المستقيم وبرزت الباء في عدد الاثنين لانها بعدت بعدين الطول والعرض لأن رأسها عرض وجسدها طول وظهر الجيم في عدد الثلاثة لأنه حاز الطول والعرض والعمق وأن شئت قلت العمق والسمك فهما سيان وانما يتغايران بتغاير النسبة إن ابتدأت من أسفل سميته سُمكاً وأن نزلت من أعلى إلى أسفل سميته عُمقاً وهذا التعليل ليس في عدديتهم وهذا سر شريف أنا أول من عبر عنه ولعلنا ان بسط لنا ومكنا من القول ان نتكلم على بقية جملة اعداد الأحرف واسرارها كل حرف من أين فيه ما حصل فيه من العدد وما سره كل عدد في نفسه بهذا اللسان الحقيقي ان شاء الله تعالى.

بيان حقيقة الباء:

(الباء) هو العرش وهي النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب الذي وسع الله والنقطة هي غيب الهوية المسماة بالكنز المخفى التي لا تحول عن كنزيتها وخفائها ابداً فالباء مستوى الأعداد لأنها أول العدد ولا عدد إلا والباء موجودة فيه كما أن الرحمانية مستوى الأسماء النفسية التي هي الأسماء السبعة «الامهات السبعة» وكل اسم فداخل تحته كما قال الحق تعالى «قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» فالرحمن مشارك الله في التسمي بجميع الأسماء الحسنى ويفارق الله بما وراءه من ذلك فيما لا تقع الاسمية عليه عندما كما يقول العالم بنفسه صلى الله عليه وآله وسلم أو استأثرت به في غيبك.

(فصل)

معنى اثنينية الباء بروز الحق لنفسه في ترتيب ذاته الخلقي وهو النظر الثاني لان الحق سبحانه وتعالى له مشهد أن في نفسه فمشهد أحدى ذاتي لا ينظر الله فيه إلى ما يسميه خلقاً فلا وجود للخلق في ذلك المشهد ومشهد ذاتي ينظر الله فيه إلى مرتبة من ذاته سماها خلقا مرتبة على ترتيب ذاته وسمى ذلك الترتيب بالصفات فالباء هو هذا المشهد الثاني الذي يظهر فيه آثار الحكم المسمى من ذات الله بالرحمن وهو المعبر عنه بمستوى أسماء الحضرة الخلقية، ومن ثم قيل في آدم أنه على صورة الرحمن وقد تبين في اصطلاح الصوفية تسمية الإنسان بالعالم الصغير وتسمية العالم بالإنسان الكبير. وأعلم ان الاصل في بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله الرحمن الرحيم الاّ بدله من فعل

بعده يتعلق به الباء نحو أبتدئ أو استعين أو اتبارك أما مصرح ملفوظ أو مقدر تدل قرينة الفعل الحاصل بعد البسملة عليه كما يدل فعل الشرب بعد البسملة على أن المقدر بعده اشرب أو استعين على الشرب بسم الله أونحو ذلك فإذا قال القائل بسم الله افعل كذا كان معناه بالله افعل كذا اذ ليس الاسم غير المسمى وقد قال سبحانه وتعالى «تبارك اسم ربك» وما المعنى في قولك بالله افعل الا انه سبحانه هو عين فاعل ذلك الفعل منك فيه فكانك تقول بما انطوى من الالوهية في ذاتي الظاهرة بخلاف ما هو عليه باطني الذي هو عين المسمى بالاله وبما انطوى من الالوهية في ذاتي الباطنة بخلاف ما هو عليه في ذاتي الظاهرة الذي هو غير المسمى بالاله افعل كذا وفائدته نفي الفعل من خلقك واثباته لحقك ان كان المشهد فعليا واظهار تلاشي المسمى بالمخلوق من ذاتك تحت سلطان عظمة المسمى بالخلق من عين انيتك ان كان المشهد اسمائيا وبروز احدية وجودك في تعدد وجوهها الواحدية ان كان المشهد ذاتيا فافهم ولابد لك من تعقل هذا المقدار عند قولك بسم الله الرحمن الرحيم حتى تتميز عن رتبة الحيوانات لان التلفظ بما لا تعقل معناه رتبة حيوانية نعوذ بالله من ذلك.

(فصل)

طولت الباء بعد إسقاط الألف وبعد قيامها مقامه تنبيهاً على أنها النائية مناب الألف من كل حرف كما سبق من أن الرحمن موصوف بكل وصف نائب مناب اسمه الله في التسمى بالاسماء الحسنى فلا يعقل الخلق من الله الأحد مستوى الرحمن وبعد ذلك فليس للمخلوق فيه مجال البتة وماثم الاّ الحضرة الأحدية المحضة التي هي الوجه الذي لا يفنى من كل شيء في قوله كل شيء هالم إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون فلا حكم إلا لهذه الاحدية في جميع هذه الحضرات الاكوانية والرحمانية وهي وجه كل شيء وقد صرح بها «فاينما تولوا فثم وجه الله» أي ببصركم من المحسوسات أو بأفكاركم من المعقولات فثم وجه الله وفي هذا المعنى قلت.

ماثم غير سعاد بالنقا أحد	هي الموارد حقاً وهي من يردُ
هي البقيع هي الوعساء قاعته	هي المحصب من خَيْفٍ هي البلدُ
هي النبات هي الأجساد جامعة	هي النفوس هي الحيوان والجمدُ
هي الجواهر والأعراض قاطبة	هي النتاج هي الآباء والولدُ
قل للذين سَرَوا عنّي لقصد قبا	انا قبا وفؤادي ذلك السندُ

ياسلمُ ما كبدي لولاك فاتئدي | ولا الفريسة إلا ذلك الاسدُ
استغفرا الله تنزيها لمرتبتي | ما بين خلق وبين الله متحدُ

(نكته)

لصق الباء والسين في البسملة شريف وهو ان السين محله من الاعداد المرتبة السادسة فهو حاو على ست مراتب الواحد وهي الجهات التي ظهر فيها الباء وهي المخلوقات المسمى جملتها بالعرش وكل جهة من هذه الجهات التي ظهرت فيه الباء فيه وجه الله بكماله كما أن الواحد موجود في كل مرتبة من هذه الستة مراتب السين بكماله، واعلم أن السين عبارة عن سر الله تعالى وهو الإنسان قال بعض المفسرين أن ياسين الياء فيها حرف نداء والسين الإنسان (الكلام عليه من باب الإشارة) يقول الله يا إنسان يخاطب وجهة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي يا إنسان عين ذاتي والقرآن الحكيم فالقرآن الحكيم عطف على عين ذاتي الذي اضيف إليه الإنسان فهو سر الذات وسر القرآن الحكيم (واعلم) أن القرآن الحكيم هو صفة الله سبحانه وتعالى معنى القرآنية تعقلك بما يستحقه الاله من أوصاف الالوهيات فهذا التعقل هو كالقراءة وأما ذات الحق فلا تعقل لك فيها لصموت احديته المنزهة عن الكثرة الاسمائية وغيرها فكلما قرأت شيئاً من القرآن الحكيم الذي هو صفة الله في نفسك ظهرت صفات الله لك بقدر تلك القراءة المرتبة ولهذا قرن به الحكيم لكون القراءة هذه مرتبة بترتيب حكمة الهية شيئاً فشيئاً لا يتناهى ولا تبلغ لها غاية ابداً فالترتيب والله والحكمة عين الذات التي هي انت وليس لشهادتك إلا ما قرأة غيبك منك وأما ما لم يقرأه غيبك منك فهو لغيبك لا لوجهك الشهادي وعين وجه شهادتك عين وجه غيبك فتحيرت تحير الله اعني الاسم في ذاته لانه لم يستوفها أي لم يظهر بجميع معاني كمالاتها بل في الذات الالهية الكامنة من وراء الاسم الله اعلم ما به ولكن مع هذا فإن هذا الاسم قد وقع عليها وهو شيء واحد فقولنا قد وقع اسم الله على الذات وهو شيء واحد يناي في قولنا لم يستوفها لاستحالة التجزية والتبعيض في جناب الحق لأن الذات اذا لم تتبعض وقد وقع عليها فقد استوفاها وإذا لم يستوفها فليست بشيء واحد هذا الامر يعطي الحيرة القبيحة للعقلاء والحيرة الحسنة لأهل الله تعالى فإذا كان الله اعني الاسم متحيرا في ذاته فكيف لك بالعبد في هذا المحل من اولى به من التحير.

تحيرت من حيرتي مم هي | فقد حار فهمي في وهمها

فلم ادر هذا التحير من تجاهل فهمي أم علمه؟
فإن قلت جهلا فإني كذوب وان قلت علماً فَمَن أهله؟

وفي هذا المعنى قولي من قصيدة طويلة ليس هذا موضعها

أأحطت خبرا مجملاً ومفصلاً بجميع ذاتك يا جميع صفاته
أمْ جلّ وجهك ان يحاط بكنهه فأحطته ان لا يحاط بذاته
حاشاك من غاي وحاشا ان يكن بك جاهلاً ويلاه من حيراته

فمعنى (يس والقرآن الحكيم) ياسر الذات الغير المقرؤ في الله وعين القرآن المتلو من الله على ترتيب حكمة ذات الاحدية (انك لمن المرسلين) من تلك الحضرة العالية القدسية الاحدية إلى هذا المشهد الخلقي التشبيهي الإنساني العبدي (على صراط مستقيم) أي سنن أحدي قيومي يقوم بنفسه وبالعالم جميعه (تنزيل العزيز) وهوالذي لا ينال الا في هذا الهيكل المحمدي (الرحيم) لانه لما رحم العالم اراد أن ينيلهم نفسه وهو عزيز فتنزل في جنسهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) ليدلهم على نفسه ويجذبهم إليه عناية منه بهم ومنة من عين خزائن جوده عليهم (عزيز عليه ما عنتم) لانه الحامل لكم والفاعل فيكم بكم فلا وجود لكم بل الوجود المطلق لذاته بالمؤمنين أي الذين آمنوا انه عينهم (رؤف رحيم فان تولوا) ولم تقبل عقولهم رؤية احديتك في كثرة اعدادهم فقل حسبي الله اذ الالوهية جامعة لاينما تولوا فثم وجه الله فاشهد لهم انهم فروا من يمينه إلى شماله وكلتا يدي ربي يمين فكان صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالم جميعه مؤمنه وكافره مقره وجاحده صلى الله عليه وآله وسلم سبق بنا جواد اللسان في مضار البيان إلى أن تحد ثنا بما لم ينطق بافشائه الجنان فلنرجع إلى ما كنا بصدده من شرح بسم الله الرحمن الرحيم.

اعلم: انه لما كان الألف من غيب الاحدية والسين سرها الشهادي كان الميم عبارة عن الوجود وهو الحقيقة الجامعة للغيب والشهادة الا ترى إلى تجويف رأس الميم كيف هو محل النقطة البيضاء وقد مضى لك ان النقطة هي الكنز المخفي فقل ان الدائرة من تجويف رأس الميم هي الحق الذي يظهر فيه هذا الكنز المخفي ألا ترى إلى قوله **«كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق وتعرفت اليهم فعرفوني»** فمن هنا كان الاسم ذو الجلال والاكرام في قوله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام لانه لو كان وصفاً لربك لكان مجرورا فذو الجلال مرفوع تابع للاسم لا لربك فافهم.

واعلم. ان الميم هو روح محمد صلى الله عليه وآله وسلم لان المحل الذي ظهر فيه الكنز المخفي هو العالم وقد ورد في حديث جابر ان اول ما خلق الله روح محمد ثم خلق العالم منه رتبة منه ـ الحديث. والنقطة البيضاء التي في جوف رأس الميم عين محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو الكنز المخفي ومن هنا قلنا انه صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة جامعة للذات العظيم والقرآن الحكيم على الوجه الذي قررناه وفي هذا المعنى قلت:

رسول الله يا مجلى الالوهه ويا من ذاته الذات النزيهه

ظهرت بكل مظهر كل حسن تَستَّر عن عيان بالبديهه

بأوصاف هي السبع المثاني وقرآن هي الذات النبيهه

خُصصت وكنت انت بها حقيقاً حقيقتك المقدسة الشبيهه

سكنت ديار هند وانْ تعالت وجِلْتَ وقَدْ لَبِستِ ردا المويهه

فبالاوصاف كلٌ شاف سعدى وانت بها نظرت إلى الالوهه

لانَك كنت قبل الكُلّ حكما فذاتك للذوات هي الفقيهه

كان لانشادي هذه الابيات سبب وهوانه اجتمعنا في بعض ليالي سنة تسع وتسعين وسبعمائة بمسجد شيخنا وسيدنا استاذ العالم القطب والاكبر والكبريت الاحمر شرف الدين اسمعيل بن ابراهيم الجبرتي على سماع عام كان في جبانة المسجد فقرأ في حضرة الشيخ احد اخواننا السادة وهو الفقيه احمد الحبايبي قوله تعالى «ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» فأشهدني الحق سبحانه وتعالى اتصاف نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسبعة الاوصاف النفيسة التي هي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وشهدته صلى الله عليه وآله وسلم بعد اتصافه بأوصافه عين الذات الغائب في هوية الغيبيات وهو المشار إليه في الآية بالقرآن العظيم اذ قراءته لانهاية لها فكلما قرأته الورثة أهل قرآن الحقيقة من ذات الله تعالى هو عين محمد صلى الله عليه وسلم وإليه الاشارة في الحديث في قوله **«أهل القرآن أهل الله وخاصته»** فليتأمل فهو غيب هوية الاحدية والرسل والأنبياء والورثة الكمل يقرؤن غيب هوية محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الله وهذا معنى كونه واسطة بين العالم وبين الله وإليه الاشارة بقوله «انا من الله والمؤمنون مني» فافهم. واعلم. ان عدد الميم اربعون هذا العدد هو عين كمال الاعتدال في كل شيء وهو ميقات الرب سبحانه

وتعالى ومعنى الميقات هذا العدد موافق لمراتب الوجود التي ليس بعدها الا ما كان اولها. المرتبة الأولى. هي الذات الساذج. المرتبة الثانية. هي العماء وهي عبارة عن الكنه الذاتي عبر عنها بالمعرفة. المرتبة الثالثة. هي الأحدية وهي عبارة عن السذاجة الذاتية عبر عنها بالكنز المخفي. المرتبة الرابعة. الواحدية وهي أول تنزلات الذات في الاسماء والصفات. المرتبة الخامسة. الالوهة وهي المرتبة الشاملة لمراتب الوجود أعلاها وأسفلها. المرتبة السادسة. الرحمانية وهي المرتبة المتصفة باعلى مراتب الوجود. المرتبة السابعة. الربوبية وهي المرتبة المقتضية لوجود المربوب ومن هنا ظهر الخلق. المرتبة الثامنة. العرش وهو الجسم الكلي. المرتبة التاسعة. القلم الأعلى وهو العقل الأول. المرتبة العاشرة. اللوح المحفوظ وهو النفس الكلي. المرتبة الحادية عشر. الكرسي وهو العقل الكلي عبارة عن القلب. المرتبة الثانية عشر. الهيولى. المرتبة الثالثة عشر. الهباء. المرتبة الرابعة عشر. فلك العناصر. المرتبة الخامسة عشر. الفلك الاطلس. المرتبة السادسة عشر. فلك البروج. المرتبة السابعة عشر. فلك زحل. المرتبة الثامنة عشر. فلك المشتري. المرتبة التاسعة عشر. فلك المريخ. المرتبة العشرون. فلك الشمس. المرتبة الحادية والعشرون. فلك الزهرة. المرتبة الثانية والعشرون. فلك عطارد. المرتبة الثالثة والعشرون. فلك القمر. المرتبة الرابعة والعشرون. فلك الاثير وهو فلك النار. المرتبة الخامسة والعشرون. فلك الهواء. والمرتبة السادسة والعشرون. فلك الماء. والمرتبة السابعة والعشرون فلك التراب. المرتبة الثامنة والعشرون. فلك المولدات. المرتبة التاسعة والعشرون. فلك الجوهر البسيط. المرتبة الثلاثون. فلك العرض اللازم. المرتبة الحادية والثلاثون. المركبات وهي المعدن. المرتبة الثانية والثلاثون. النباتات. المرتبة الثالثة والثلاثون. الجمادات. والمرتبة الرابعة والثلاثون. الحيوانات. المرتبة الخامسة والثلاثون. الإنسان. المرتبة السادسة والثلاثون. عالم الصور منه يلحق بها الدنيا. المرتبة السابعة والثلاثون. عالم الحقائق ويلحق بها القيامة. المرتبة التاسعة والثلاثون. الجنة والنار. المرتبة الأربعون. الكثيب الابيض الذي يخرجون اليه أهل الجنة وهوعبارة عن مجلى الحق تعالى ودار الدور فما بعده الا الذات فهذا العدد هو أصل الاشياء وبه كملت تخميرة طينة آدم وهو أول موجود من هذا العالم الإنساني ظهر في الرتبة الرابعة من العدد لان العالم. بأجمعه ليس فيه الا أربعة أنواع قديم أو حديث وكثيف أو لطيف وماثم الاّ هذه الأربعة فجمعها هو عين هذا الميم المحمدي الذي قلنا انه جميع الوجود القديم والحديث والكلام على هذا العدد كثير جداً من حيث

تفرعاته في الطبائع والعناصر والإنشاءات والفصول وغير ذلك وتكفي عن الجميع اشارة ان كان في قلب بصارة. اسم الشيء وسمة الذي بتصوره يتعقل ذلك الشيء ويمتاز به عن غيره كما يمتاز ذو الوسم ممن لا وسم له.

(فصل في تحقيق اسم الله تعالى)

اسمه الله اصله الاله ولكن اسقطت الالف الوسطى واغمت اللام في التي تليها فصارت الكلمة الله ولكن اصله سبعة احرف ستة رقمية والسابعة الواو والظاهرة في اشباع الهاء كما ترى (ال ال اه و) وهي عين السبع الصفات التي هي معنى الالوهة **فالالف. الاول.** هو عين اسمه الحي الا ترى إلى سريان حياة الله تعالى في جميع الوجود وقد اظهرنا لك سريان الالف في جميع الحروف و. **الثاني.** اللام الاول وهي الارادة التي كانت اول توجه من الحق في بروز العالم لما اشار إليه الحديث بقول **«كنت كنزاً لا اعرف فاحببت ان اعرف»** وليس الحب الا الا رادة. **الثالث.** الالف الثاني. وهي القدرة السارية في جميع الموجودات الكونية اذ الموجودات الكونية داخلة تحت سلطان القدرة. **والرابع.** اللام الثاني وهو العلم هو جمال الله تعالى المتعلق بذاته وبمخلوقاته فقائمة اللام محل عمله بذاته وتعريقة اللام محل عمله بمخلوقاته ونفس الحرف عين العلم الجامع. **والخامس.** وهو الالف الثالث وهو السمع السامع منطوق «وأن من شيء الا يسبح بحمده». **والسادس.** الهاء وهو بصر الله دائرة الهاء تدل على انسان غيبه المحيط الذي هذا تنبيه إلى أن العالم ليس له وجود الا بنظر الله تعالى إليه فلو رفع نظره عن العالم لفني بأجمعه كما انه لم تدر دائرة الهاء على النقطة البيضاء لم يكن لها وجود البتة ومع وجودها فهي باقية على ما كانت عليه من العدم اذ البياض الموجود قبل استدارة الهاء موجود بعده وكذلك العلام مع الله على حالته التي كان عليها قبل ان يخلقه الله سبحانه فافهم وتأمل في هذا السر الغريب وقس بما ذكرته خارجا عنك على ما هو في ذاتك فليس المراد من ذلك الا سعادتك ووقوعك على عينك. **السابع.** الواو البارز عدده في المرتبة السادسة وهو معنى مشير إلى كلام الله تعالى الا ترى إلى الست الجهات التي غاية نهايتها كمال العرش الرحماني المنسوب إلى كل جهة كيف دخلت تحت حضرة كن فكما ان كلام الله تعالى لا نهاية له كذلك المخلوق الداخل تحت حيطة العرش ممكن ولا نهاية للممكن فانظر عدم النهاية في الواجب الوجود كيف ظهر بعينه في الممكن الجائز الوجود والعدم فهذه السبعة الأسماء هي عين معنى الله وصورته اسما وذاتا ليست سواه وهي هي واختلفت الناس في هذا الاسم فمنهم من قال

انه مشتق من اله يأله ألها بمعنى عبد يعبد عبادة فجعل المصدر اسما المعبود فقيل اله وزيد فيه الف التعريف ولامه فقيل الله ومنهم من قال اله يمعنى عشق فيكون اله مصدر والعشق ومنهم من قال انه اسم جامد غير مشتق ولم يكن اصله اله بل هو على حاله علم لواجب الوجود المخترع للعالم وليس هو إلا هذه الخمسة الاحرف (ا ل ل ه) وهذا هو مذهبا والدليل عليه تسمى الحق به قبل ان يخلق العالم لان الله غني عن العالم بخلاف اسمه الرحمن فانه ناظر إلى ظهور اثر الرحمانية في المرحوم لابد من ذلك الحق سبحانه وتعالى اما ظاهر في الوجود وأما باطن في علمه ملحوظ له فافهم وكذلك الرب والخالق وبقية الأسماء الرحمانية كالمعطى والواهب والمنتقم. واعني بالأسماء الرحمانية كلما يطلب مؤثراً يظهر فيه اثره كالعلم فإنه يطلب معلوما والسميع والبصير والقدير والمريد والمتكلم ككلمة كن فانها تطلب مكونا فهذه واشباهها اسماء الرحمانية وقد سبق فيما تقدم معنى ان الرحمن هو الله بنظره إلى ما يستحقه العرش وما حواه بخلاف اسمه الله تعالى فانه علم للذات التي هي هوية كل هوية وانية كل انية وانانية كل انانية ولايتقيد بنظره ولا ينعدم تقيده بنظر هو الجامع للشيء وضده ولهذا قال من قال ان الله هو عين الوجود والعدم فأما قوله عين الوجود نظاهر وأما وقوله عين العدم ففيه سر دقيق لا يطلع عليه إلا الكُمّل من أهل الله لمقامهم أو من فتح له رتق هذا الباب قبل وصول هذا المحل ولابد من الكلام بعدما شرعنا فيه وهذا وجه من الوجوه التي يصح فيها اطلاق اسم العدم عليه لكماله سبحانه وتعالى علوا كبيرا. واعلم. أن الله علم يعطيك تعقله مسمى حوى مراتب الالوهية ويتصور عندك انه امر زائد عليك مغير لذاتك فهذا المتصور عدم لا وجود له اذ عين المراد ذاتك فما ثم مصور الا الله وماثم الا انت بل ماثم الا الله.

واعلم. أن قولنا الحق والخلق والرب والعبد انما هو ترتيب حكمي نسبي لذات واحدة كل ذلك لا يستوي في معناها ووقوفك مع شيء من تعدد ذلك دور وتضييع وقت في عين الحقيقة إلا اذا كنت ممن يشم المسك وهو في فارته فان كل ذلك حينئذ ترتيب لذاتك تستحقه بالاصالة فحينئذ اكلت الزفربيد غيرك ووزنت نفسك في عيار مرتبتك وما يستحقه قانونك فما وجد له من تلك فهو عين الحقيقة وما وجدته من الله اليك على سبيل الاتصال والاتحاد فهو عين الضلال في الحق والالحاد ولا يذوق هذا الكلام الا عربي اعجمي لغته غير لغة الخلق ومحله غير محلهم فهو يستوي في ما له كما لم يزل ويرمي بسهم مراتبه في قوس مقتضياته على هدف ذاته بيد قائم احديته فلا يخطى له

مرمى ولا ينكس له سهماً فلا سهامه تزول ولا عين الرمى تحول. تعالى الله ان تتصرم الوهيته او تنقسم أحديته.

(فصل في بيان تركيب الجلالة)

اعلم أن الجلالة مركبة من ستة احرف وهي (ا ل ف م ى ه) لأن الالف بسائطه ثلاثة وهي (ا ل ف) واللام الاول بسائطه ثلاث (ل ا م) والالف الثاني + كالاول واللام المتاخر كالمتقدم والهاء بسائطه حرفان الجملة جميعها اربعة عشر حرفا عدد الاحرف النورانية اسقطت منها المكرر فبقي هذه الاحرف (ا ل ف م ى ه) فللالف ثلاثة عوالم، الغيبي الذي لا يتصوره، والعالم الشهادي فهذه ثلاثة عوالم وليس للموجود والوجود باسره الا هذه الثلاثة العوالم لا ترى إلى مخرج الالف ابتداؤه الهمزة من غيب غيب الصدر الذي لا يتمكن شهادته ابداً. واوسطه اللام الذي من شق اللهاة والفم وهو غيب يمكن ظهوره وشهادته. وآخره الفاء الشفوي الذي هو شهادة محضة فالالف بارز من غيب الغيب إلى الشهادة واللام محله عالم الغيب وله الولوج في عالم غيب الغيب للالفية التي في وسطه فكما ان له الظهور في عالم الشهادة للميمية التي في آخره وهي شفوية شهادية عالم ابتدائه غيب الغيبي عالم انتهائه والميم شهادي الابتداء غيبي التوسط شهادي الانتهاء والياء اوله من عالم الغيب وآخره من عالم غيب الغيب ليس له عن محله مخرج ولا وراءه مرمى فانظر إلى الله الجامع لما خرج من غيب الغيب إلى الغيب وظهر من الغيب إلى الشهادة كالالف ولما برز من الغيب البرزخي ورجع إلى مركزه في عالم الشهادة كالميم ولما نظر من عالم الغيب إلى غيب الغيب كالياء ولم يزل في عالم الغيب كالهاء فهذا كله هو عين ذات الله وهو حقيقة الالوهية اذا لالوهية مرتبة الحيطة فافهم وانظر ما أعجب تداخل امر هذا الاسم في العوالم بعضه ببعض وما اعجب هيئته ولو وسعنا الكلام فيه لضاق عنه المجال وليس هذا المختصر محلا لذلك. اعلم. ان العالم الذي كنينا عنه بغيب الغيب هو تفصيل كمال الذات الالهية ودركه غير ممكن البتة وهو العالم الذي كنينا عنه بالغيب البرزخي هو عالم الغيب اللاهوتي المستحق رحمانه انه يسمى بالاسماء الحسنى العالم الشهادي هو عالم الملك واعني بعالم الملك كلما حواه العرش من روح وجسد ومعنى فافهم وأعلم ما سر هذه الجميعة التي لاسم الله وكيف ظهر على صورة مسماه. واعلم. ان الذات المطلقة لها الاحاطة على الله ولكن الله من الذات له الافضلية عليها لان كثيراً من وجود الذات ما هي الله وليس لها شيء من الالوهية وكل وجه من الله هو الذات بكماله. هذا على تعقل عدم

التقسيم بين الله وبين الذات واياك ان تتخيل اني عددت او قسمت او عطلت اوشبهت او جسمت انا بريئ من هذا التخيل الباطل بل فهمك قصر عن درك ما قلته والعياذ بالله ان كنت فهما وليست لك قابلية الالوهية وعلمها انعوذ بالله من ذلك ونستعين به عليه ان يسلك بنافيه طريقه المستقيم الذي يسلك هو منه اليه.

(فصل في أن العرش هو العالم الكبير)

والعرش هو العالم الكبير وهو محل استواء الرحمن والانسان هو العالم الصغير وهو محل استواء الله لانه خلق آدم على صورته فانظر إلى هذا العالم الصغير اللطيف الانساني كيف له الفضل والشرف على هذا العالم الكبير وتأمل كيف صغر الكبير وكبر الصغير وكل في محله ومرتبته فلو عرفت هذا السر لعرفت معنى قوله «ويسعني قلب عبدي المؤمن». وأما قوله «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». فظاهر انه ما وسعه في ذلك الوقت الا الله وكم من نبي مرسل وملك مقرب وعارف ولي قد وسع العرش الذي هو العالم الكبير بأجمعه وما أحس به ولا بالى فظهر عظم هذه اللطيفة الإنسانية وشرفها وفضلها على العالم الكبير وبان انه العالم الكبير كالنقطة للمحيط فإن المحيط ولو كبرت هيئته مركب على تلك النقطة ومنها وللنقطة إلى كل جزء من الدائرة نسب مخصوص وتفضل على الدائرة بما يختص به بعد ذلك من عدم التعدد في نفسها وغير ذلك من الخصائص فالنقطة هو اسم الله والمحيط هو اسم الرحمن قال الله تعالى «قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أياما تدعو فله الاسماء الحسنى». وقد بينا لك أن النقطة لها إلى كل جزء من اجزاء الدائرة نسب وإضافات ولاشك أن تلك النسب والإضافات جميعها للدائرة أيضا فاياً ما منها نسب اليه هذه النسب والإضافات كان مستحقا لها كما أن الاسماء الحسنى جميعها ان سميت ووصفت بها اسم الله كانت له وليس للرحمن الا وجه من وجوه الله ظهر فيه كما تستحقه المرتبة الرحمانية كما ان الدائرة ليست الا عين النقطة لظهور النقطة في كل جزء منها فما ثم في الدائرة الا النقطة. واعلم: ان الرحمن فعلان وهذه الصفة متى كانت في اسم صفة كانت لعموم ذلك الوصف في المحل المتصف به ولدلالة شدة ظهور ذلك الوصف في الموصوف به ولهذا كان اسمه الرحمن عاما ظاهراً في الدنيا والآخرة بخلاف اسمه الرحيم فإن الرحمة في الآخر اشُد ظهوراً من الدنيا للحديث ان لله مائة رحمة فواحدة في الدنيا بين الخلق بها يتواصلون وبها يتراحمون وتسعة وتسعون في الآخرة مدخرة عند الله لا يخرجها الا في يوم القيامة وسر اسمه الرحيم انتهاء العالم إلى

الله ورجوع الخلقية إلى الحقية الوحدانية «وان إلى ربك المنتهى، الا إلى الله تصير الأمور، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار».

تعالوا بنا حتى نعود كما كُنّا ... فما عهدنا خنتمُ ولا عهدكم خنا

ونترك وشَيأو الوشاة وطائراً ... غُرا با لوقع البين في ربعنا غَنّا

ونطوى بساط العتب والحب والجفا ... ونرمي السوى والبين ليت السوى

عسى ان يعود الشمل بالحي مثل ما ... عهدنا وعود الوصل أثماره تجنى

وينشد حادي الحال عنا مُترجماً ... الا لا اعادَ الله بيتا نأى عنّا

احبابنا طيبوا فلم يك ما مضى ... سوى حلم كاللفظ ليس له معنى

فلا طال هجران ولا ثَمَّ عاذل ... ولا سهر المشتاق ليلاً وقد حَنّا

ولا كان ما قلتم ولا كان ما قلنا ... ولا بُنتم عنا ولا عنكم بُنّا

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب فالحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا برحمتك يا ارحم الراحمين.

الأحراز ودورها في التربية الإيمانية

علاء الدين الموسوي

كثيرا ما يُراجَعُ العلماء من قبل طبقات مختلفة من الناس طالبين منهم كتابة أحراز ورقيات يحملونها في ثيابهم فتقيهم الأخطار وتدفع عنهم الحسد والمرض وغير ذلك من المخوفات. وما نريده هنا.. هو التعرض لهذه الظاهرة بالدراسة والنقد والتصحصح ما أمكن ذلك. وسنبحث في ذلك أولاً: من جهة دينية، وثانياً: من جهة فلسفية.

نظرة الدين:

ان الحديث عن نظرة الدين إلى الأحراز والتمائم قد يبدو غريباً، لأن هذه الأمور لم تصدر إلا عن الثقافة الدينية، ولا مصدر لها سوى الكتب الدينية المختصة بالمستحبات، والروايات الواردة عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فما معنى أن نبحث في نظرة الدين إلى افراز من افرازاته وقسم كبير من ثقافته وتوجيهاته؟!

اننا لا نعني بالبحث عن نظرة الدين إلى الأحراز اكتشاف صحة نسبتها إليه وكونها من المتون الثابتة نقلاً عن المعصومين عليهم السلام، لأننا بعد علمنا بثبوت بعضها في الجملة وتسليمنا بأن العمل بها خفيف المؤونة: إما اعتماداً على قاعدة التسامح في ادلة السنن والتي تنص على عدم التشديد في تنقيح اسناد الروايات في المستحبات، واما اعتماداً على تجويز الفقهاء للعمل بالمستحبات غير الثابتة الأسناد بنية رجاء المطلوبية، فاننا بعد ذلك لا نحتاج إلى الدخول في بحث أصل الصدور عن المعصومين(ع) أو عدمه.

إن مَا نَعنيه من البحث عن نظرة الدين إلى الأحراز هو: معرفة الطريقة السليمة التي دعانا الدين لإتباعها في الإستفادة من تلك الأحراز، والأسلوب النقي في التعامل معها، وبعبارة أوضح: ان نفهم الدور الذي خصصه الإسلام لتلك الوسائل الغيبية في تربية الإنسان الفرد، والمجتمع. وهذا هو لب المقصود من هذا البحث.

استخدام الحرز عبادة:

ان ما نراه من طريقة استخدام الأحراز لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب إستخدام السحر وأعمال الدروشة، إذ على نفس الشاكلة نرى بعض الأفراد يراجع الدرويش أو المعلم فيعطي ورقة أو تميمة أو كيسا مغلقاً مشدوداً يحتوي على مركب غريب من شعر وأظافر وتراب وما إلى ذلك من أشياء، ليضعه في مكان خاص منتظراً ظهور الأثر المطلوب. فاستخدام عامة الناس للأحراز والأدعية يكاد

يشبه إلى حد كبير استخدام أعمال السحر والشعوذة، ووجه الشبه يكمن في توقع الأثر والنتيجة من الحرز أو التميمة على نحو توقعه من السحر دون أن يكون للانسان أي دور نفسي أوعملي في ظهور تلك النتيجة. فالسحر على فرض صحة وجوده يقلب المحبة لزوجته مبغضاً، والكاره محباً دون أن يطالب الزبون الذي دفع مالا ببذل أي جهد عملي في السعي إلى الحل والنتيجة المطلوبة، إن عليه فقط أن يحمل الكيس أو التميمةأو أن يضعها في مكان خاص لينتظر بعد ذلك ظهور النتيجة السحرية.

ان طريقة استخدام عامة الناس للأحراز والأدعية ـ للأسف ـ حولها إلى ضرب من ضروب الشعوذة والتخريف خصوصاً إذا اقترن إعطاء الحرز بدفع شيء من المال إلى معطيه. وهذا ما يطمس هذه العبادة ويحرف الدور المخصص لها في تربية الفرد ويحولها من مصاف الممارسات الدينية الأخلاقية والتي تملك تفسيراً منطقياً وأساساً دينياً إلى مصارف الممارسات الخرافية المستهجنة التي لا تنطوي على ما يدعمها من الدليل والبرهان ولا ما يرد عنها الاشكال والطعونات.

ونلاحظ أن المستفدين من الأحراز على إختلاف طبقاتهم في الفهم والإلتزام يتفقون جميعاً في أسلوب فهم الحرز والاستفادة منه، فهم يفهمونه على أساس إنه يشابه السحر في تلقائيته وفي عدم مسؤولية المستفيد منه إلا في حدود حمله والحفاظ عليه.

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه.. إذن ما هو الفهم الصحيح للأحراز والذي يقره نفس الدين؟ وما هو الأسلوب الصحيح لاستخدامها؟!

الدخول في حماية الله:

لو قبلنا الكتب المحتوية للاحراز والتمائم وقرأنا موارد مختلفة منها سنجد أنها ليست سوى أدعية وتوسلات لها كل ما للدعاء من روح وطريقة. وتزيد عليه في أنها تحمل دائماً أو في كثير من الأوقات، وفي احتوائها لعدد أكبر من الآيات القرآنية الكريمة التي تدخل السكينة على نفوس المؤمنين، وتندد بمن يريد السوء بهم وبأعمالهم الصالحة من الشياطين والمردة واتباعهم من الجن والأنس.

فالحرز دعاء من نوع خاص يتضمن تركيزا أكبر على جانب الحفظ والوقاية وطلب الحماية من الله عز وجل، وهو بحمله يعطي شعوراً بالكون دوماً في حماية الله وحريم سلطانه.

وكما أن الدعاء قد يتمحَّض لجانب معين من حاجات الإنسان ومخاوفه، فكذلك الحرز، فهناك الحرز الذي يبطل السحر، والحرز الذي يدفع الأمراض

المختلفة، والحرز الذي يحمي من الظلمة والطغاة، وهكذا إلى أنواع أخرى كثيرة تتعدد بتعدد حوائج الإنسان وجوانب نقصه وشعوره بالخوف. ولنذكر مثالاً من تلك الاحراز ليتوضح على ضوئه ما قلناه:

روى السيد ابن طاووس في مهج الدعوات عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن ياسر الخادم قال: لما نزل ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قصر حميد بن قحطبه نزع ثيابه وناولها حميدا فاحتملها وناولها جارية له لتغسلها فما لبثت أن جاءت ومعها رقعة فناولتها حميدا وقالت: وجدتها في جيب أبي الحسن عليه السلام، فقلت: جعلت فداك ان الجارية وجدت رقعة في جيب قميصك فما هي. قال يا حميد هذه عوذة لاتفارقها[1] فقلت لو شرفني بها فقال: هذه عوذة من امسكها في جيبه كان البلاء مدفوعاً عنه وكانت له حرزا من الشيطان الرجيم. ثم أملى على حميد العوذة وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا أو غير تقي اخذت بالله السميع البصير على سمعك وبصرك ولا سلطان لك علي ولا على سمعي ولا على بصري ولا شعري ولا على بشري ولا على لحمي ولا على دمي ولا على مخي ولا على عصبي ولا على عظامي ولا على مالي ولا على مارزقني ربي سترت بيني وبينك بستر النبوة الذي استتر أنبياء الله به من سطوات الجبابرة والفراعنة. جبرائيل عن يميني وميكائيل عن يساري واسرافيل عن ورائي ومحمد صلى الله عليه وآله أمامي والله مطلع علي يمنعك مني ويمنع الشيطان مني. اللهم لا يغلب جهله أناتك أن يستفزني ويستخفني اللهم إليك التجأت اللهم إليك التجأت اللهم إليك التجأت».

تبدأ هذه العوذة بآية قرآنية مؤداها اللجوء إلى الله عز وجل والاتقاء بقوته وسطوته من الشيطان أو ممن يخافه الإنسان، ثم تلقن القارئ هجوماً على الشيطان وقوى الشر، وتجريداً لجهة الشر من كل قدرة وسلطة على الإنسان، فلا سلطان لها على سمعه ولا على بصره ولا على بقية جوارحه، ثم تلقنه أن يتدرع بالله عز وجل ويحشد كل قوى الخيرالآلهية إلى جانبه في مواجهة قوى الشر الشيطانية، فالمؤمن يتقدم في هذه الحياة وظهره مستند إلى قوة الله وإلى جمع الله، من أنبياء وملائكة وعباد صالحين.

إن حمل هذه التعويذة وقراءتها بشكل مستمر وواع، من شأنه أن يبني روحاً قوية في داخل الإنسان، تتدرع بالله وتظاهر بجمع الله، وتحتمي بجبهة الخير الآليهة المتكونة من انبيائه وملائكته والمؤمنين من عباده.

---

(١) اي لا تفارق الثياب.

ما أروع أن يستحضر الإنسان هذه المعاني بين فترة وأخرى، وخصوصاً عندما يواجه بأزمة أو معضلة أو يداهمه خطر أو خوف. لا شك أن الإنسان سيجد نفسه حينذاك قويا صلبا مطمئنا بقدرة الله وسطوته، لن يهاب سوءاً من اعداء الله ما دامت كل الأمور بيده يجريها على طبق الحكمة والمصلحة.

ان شعوراً كهذا يضمن شجاعة المؤمن وسكينة نفسه حين مواجهة الصعاب في الحياة. فهو راسخ لا تهزه الهزاهز، وهو شجاع مقدام لا تثنيه المخاوف ولا تشله الكوارث، كل ذلك لانه يستمد القوة والثبات والشجاعة من مصدرها الاصلي ومعدنها الأول.. من عين الكمال والحق سبحانه وتعالى.

الحرز بين الفاعلية والخمول:

ولذا فإن حمل تلك التعويذة في الجيب دون معرفة لما فيها من معان وكلمات ودون انسجام وتفاعل مع تلك المعاني، يحرم الإنسان من جملة تلك الفوائد الروحية والخصائص الخلقية. الا أننا لا ندعي أن ذلك يلغي كل آثارها وخصوصاً أن قول الإمام عليه السلام: (من امسكها في جيبه) لا يدل على أكثر من مجرد الحمل في الجيب، فقد يكون لمجرد حملها أثراً خفياً نجهله، وليس من الضروري أن يجد الإنسان لكل غيبي من الغيبيات تفسيراً يفهمه وتوجيهاً يبرره، فإن ادعاء ذلك لا شك من الجهل والمكابرة، إلا أننا نقول: أن ما فهمناه من فوائد تلك التعويذة لن يحصل عليه الإنسان إلا بقراءتها وفهم معانيها والالتزام نفسياً بتلك المعاني.

كما أننا نقول: أن الدور الذي يطلع به الدين في هداية الناس وارشادهم للوصول إلى الكمال لا ينسجم مع إعطاء مثل تلك العوذات المحتوية لمثل تلك المعاني الجليلة النافعة لمجرد حملها في الجيب مختومة مغلقة، دون أن يدعو حاملها إلى التدبر والتفاعل مع معانيها والإحساس العميق بما جاء فيها. وذلك لانّ هذا الاسلوب في اعطاء العوذات يخالف غرض الإسلام في الهداية ولا يحققه، بل يساعد على ظهور آفة التواكل عند الناس واللجوء إلى السحريات في حل مشاكلهم التي لا بد لهم أن يتحملوا مسئولية التغيير والاصلاح فيها. أسلوب يشجع على الكسل ويفتح المجال للمشعوذين والمنتفعين لترويج بضائعهم والتلاعب بعواطف الناس وابتزاز أموالهم، بل ويحقق مقولة: «إن الدين افيون الشعوب» التي اطلقها اعداؤه. إلا اننا نعود ونؤكد أننا لا ننفي الأثر الخفي الذي يصاحب حمل العوذات لأنه مما لا نعلمه فلا نستطيع انكاره بمجرد ما ذكر.

وهكذا نجد أن اعطاء العوذات والاحراز يتخذ شكلين: **الأول** وهو الشكل المتخلف المرفوض بتاتا والذي يساعد الإنسان على الكسل والاتكال على ورقة صغيرة

لتحل جميع معاناته. وهذا الشكل يساعد على مزيد التخلف والتراجع في الحياة ولا يسمح لروح الطموح والقوة والتغيير أن تظهر في حياة الأفراد. انه بدل أن يرشد الإنسان ذو المزاج الحاد إلى المعاني الخلقية والروحية التي تصعد مستواه وترفعه عن مستوى الجهل والغضب، بدل ذلك تبقيه كما هو دون أن تدفعه إلى تغيير نفسه ودون أن تدعوه إلى مراجعة حساباته واصلاح ذاته، تبقيه منتظراً لمعجزة تحققها تلك الورقة ومترقباً لأن ينقلب فجأة من إنسان حاد الطبع عصبي المزاج مثلاً إلى إنسان هادئ حليم متعقل.

الثاني: وهو الشكل الصحيح والمطلوب في الانتفاع من العوذات والأدعية، والذي يضع أمام الإنسان مفاهيماً تجدد نشاط روحه وتحرك فيه قوى التغيير والمحاسبة الذاتية. والذي يمد الإنسان بعطاء روحي عظيم يستوحيه من مداومته على قراءة التعويذة المتضمنة لشتى المعاني التربوية النافعة والإمدادات الروحية الفاعلة. انه الأسلوب الذي يضع الإنسان أمام مسؤوليته في تغيير نفسه وفي تغيير واقعه، ويضع يده على نقاط الضعف والقوة في داخله.

الأسلوب الرسالي البَنَّاء:

وبناء على ذلك.. فإنه يتوجب على من يتصدى لإعطاء الأحراز والعوذات أن يتخذ موقفاً واضحاً من هذين الشكلين أو الأسلوبين في إعطاءها، ويحاول أن يستغل مراجعة الناس لطلب الاحراز لفتح حديث التغيير الذاتي والمحاسبة للأعمال التي قد تؤدي إلى الابتلاء قبل الإسراع باعطاء تلك الوريقات. ومن المؤكد أن محاولة هداية الناس وإصلاح أوضاعهم الأخلاقية والاجتماعية ستكون ناجحة بنسبة كبيرة في مثل تلك الحالات، لأن الشخص جاء - حين جاء - وهو يشعر بالحاجة إلى الأمن والطمأنينة والعلاج والذي يعتقد بأنه يحصل عليه من عوذة يكتبها فلان عالم الدين في المنطقة أو الشيخ أينما كان. وهذا الوضع النفسي بحد ذاته من العوامل المهيأة المساعدة لتأثر الشخص بكل ما يقوله العالم تأثراً خاصاً يرتبط بحراجة وضعه النفسي وحاجته إلى النجاة على يد هذا العالم. ولذا ينبغي الاستفادة من هذا الوضع لزرع بذرة صالحة في نفسه وإرجاعه إلى المقاييس الإسلامية الصحيحة في التغيير والعلاج. ثم إعطاؤه الحرز أو العوذة وأمره بقراءتها بين الحين والآخر وفي كل وقت أحس فيه بحرج أو ضيق. والتجربة شاهدة على نجاح هذا الأسلوب في تغيير أوضاع كلية في حياة بعض الناس.

راجعني في مرة من المرات شخص كان يشكو من أوهام ووسوسة عنده وعند أهله، كانوا يتخيلون أشياء واصوات لا وجود لها في منزلهم، وكانوا لذلك يعيشون

وضعاً حرجاً للغاية. وطلب هذا المؤمن أن أكتب له حرزاً يغير هذا الحال عنده وعند زوجته، حرزاً له ولها يرفع منهما هذه الاوهام والخيالات. وقبل كل شيء.. بدأت بطرح اسئلة متعددة عليه لاكتشف مدى التزامه بالاحكام وارتباطه بالشرعيات. سألته: هل اعتدت على معصية معينة؟ هل لأحدٍ حق عليك لم ترجعه إليه أو أنكرته عليه؟ هل تصل رحمك؟ وغير ذلك من الأسئلة المشابهة.

كان يجيبني بكل صرحة وشوق، لانه وجد نفسه في جو معين من خلال تلك الأسئلة فرض عليه ان يكون مريضاً وأن يكون السائل هو الطبيب المداوي. ولا بد للمريض من ان يجيب بصراحة إذا أراد العلاج التام والصحيح. واسترسل في حديثه عن نفسه حتى طلبت منه التوقف فقد اكتفيت بما سمعت منه: رجل يعيش حياة مرفهة لم يفكر قط بالآخرين، يمارس بعض المعاصي التي تكتنف عادة حياة الترف والمترفين. وكان ذلك كافياً لأبدأ بوصف العلاج اللازم لحالته. شرحت له أثر المعاصي على حياة الإنسان وعلى روحه، وأثر نسيان الله تعالى والغفلة عن أوامره. وكيف انه تبارك وتعالى علق الحوادث والمتغيرات في حياة الإنسان على نفس افعاله وطريقة سلوكه: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». إذا احدث الناس من المعاصي ما لم يكونوا يفعلون أحدث الله عليهم من البلاء ما لم يكونوا يعلمون. وهكذا استمر الحديث حتى قرر في نفس الجلسة أن يقلع عما كان يفعل وأن يعوض تقصيره.. اعطيته حرزاً وأمرته بقراءته وكان رجلاً موفقاً.. غير نمط حياته الذي كان ينسجم مع المعاصي واستبدله بنمط آخر من الحياة ينسم مع قراءة القرآن والأدعية وترداد الأحراز والعوذات، وبدل أن يحتاج إلى مراجعتي لطلب حرز أو عوذة بدأ هو باستخراج هذه الأمور من الكتب المخصوصة وبدأ بالاكثار من قراءة القرآن على زوجته وتلقينها الاذكار، حتى تغيرت أحوالهم، وخرجوا مما كانوا فيه من الأوهام والخيالات الشيطانية، واستبدلوا تلك الحياة القلقة بحياة مطمئنة هادئة يسودها الإيمان والثقة بالله والقرب منه.

مسؤولية العلماء في المناطق:

إن مسؤولية العلماء ـ أينما كانوا ـ كبيرة في هذا الجانب، فهم يستطيعون بما تيسر لهم من الإمكانات الاجتماعية أن يرجعوا هذه العادة المنتشرة إلى نصابها، ويوجهوا العامة إلى كيفية الانتفاع من الاحراز وجعلها بلاسم شفاء حقيقي بتحويلها من خلال التوعية والتوجيه إلى حوافز لمحاسبة النفس والاصلاح والتغيير المستند إلى الجهد والعمل والمثابرة عملاً بروح الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لا المستند إلى تلقائية السحر وخمول المترقب.

كما انهم قادرون ايضاً على النزول بهذه العبادة إلى مستوى الطقوس الخرافية والشعوذة الفارغة بأن يكتفوا باعطاء الحرز في مقابل ما يقدمه الشخص من مال، ويحيطوا ذلك بجو طقوسي شبيه بأجواء السحر والشعوذة، ويمنوا ذلك الشخص بالحصول على النتيجة دون أن يكلفوه بأكثر من حمل الحرز أو العوذة. فيغلقوا بذلك.. باب السعي والعمل والمثابرة التي أمرنا بها الإسلام كمقدمات حتمية للتغيير والإصلاح، في وجه المحترز والمستعيذ.

اننا لا نعارض أخذ المبذول من المال في كل الحالات، الا اننا نتحفظ من الجو الذي يخلقه أخذ المال في مقابل الحرز، والذي يوحي بعملية المعاوضة الشبيهة بمعاوضة المشعوذ، والذي يوحي أيضاً بأن الشخص قد اشترى عافيته أو أمانه من الأخطار بهذه الدراهم، مما يجعله يلغي كل جهد اضافي ـ زائد على اعطاء المال ـ للوصول إلى الحل لشكلته والإصلاح لأوضاعه.

هذا اضافة إلى شعورنا بضرورة أن يربأ أهل العلم بأنفسهم عن مستوى من يعاوض على سلعته لاختلاف سلعتهم عن سلع الآخرين، فهي الهداية والإرشاد للناس قبل كل شيء وهذا مما لا يقبل المعاوضة بمال. نعم ما كان من المال مبذولاً على وجه الهدية وقد تجرد من كل ما يسيء إلى دور العالم وحيثيته من أجواء غير محبذة فلا تحفظ تجاهه البتة ما دام بعنوان الهدية. وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهدايا خطيرها وحقيرها.

النظرة الفلسفية:

ليس ثمة شك في احتياج الإنسان إلى المدد الغيبي في مسيرة حياته، وإلى القوة المعنوية التي يولدها إيمانه بوجود الحافظ لسلامته والمسدد لخطاه.

ان ضآلة حجم الإنسان وقدراته البدنية ومحدودية حواسه المادية في مقابل هذا الكون الواسع والموجودات الكونية الكاسرة، ذات المقدرات الحسية العالية، يجعله فريسة سهلة التناول لعوامل الحياة، لولا أن زوده الله تعالى بالعقل الجبار الذي استطاع به تسخير معظم ما حوله من أشياء وأمكنه حماية نفسه من الأخطار المحدقة بها من جراء تهديد الموجودات الأقوى عضليا وحسياً.

ولقد استطاع العقل الإنساني على مر التاريخ أن يحقق السيطرة على الأرض والموجودات بفضل نوعين من القدرة الكامنة فيه: **أولاهما**: القدرة على جمع المعلومات بالإستقرار وتحليلها والخروج بنتائج جديدة.

ثانيتهما: القدرة على الإحساس بالغيب وإدراك عالم ما وراء الطبيعة. وهي القدرة التي توسع قدرات الإنسان إلى نطاقات يعجز عنها الحس العلمي التجريبي، والقوة العضلية الضئيلة للإنسان. وتقفز به عن المستوى التجريبي إلى آفاق المعارف الكلية والقوانين العامة التي تحكم الوجود.

ان العلم التجريبي المعتمد على الاستقرار والبرهان يسلط الإنسان على القوانين الجزئية التي تحكم هذا الجانب أو ذلك الجانب من هذه الحياة.

وأما التعامل مع الغيب فإنه يسلط الإنسان على كليات القوانين التي تحكم الكون أجمع، وتسير ركب الموجودات إلى غايات الكمال.

الغيب هو الذي يحول هدف الاختراع العلمي من المردود المحدود له والذي لا يتجاوز الربح والانتفاع إلى الهدف الاسمى وهو جعله خطوة في سبيل ارتقاء الإنسانية وخدمتها ووصولها إلى الانسجام التام مع الطبيعة. وعلى هذا نفهم ان علاقة الإنسان بعالم الغيب علاقة مصيرية وفي غاية الخطورة، فهي العلاقة التي تضع الإنسان في وضعه المناسب من هذا الكون، والتي تربط بينه وبين بقية الموجودات في اطار نظام عام منسجم، وهي التي تهيئ الإنسان ليكون موجوداً ذا هدف وغاية. والتي تزوده بالقوة الكافية والمدد المستمر ليخلفها في الأرض.

ان الغاء الغيب واثره من حياة الإنسان ومن صفحة الكون، لا يعني سوى بعثرة كل الموجودات والقوانين وتركها دون رابط يلم شملها وينظم أدوارها، ويضع لها الهدف الاسمى والغاية المنشودة، فتكون حينذاك كاللآلى المنتشرة دون جامع يجمعها في عقد جميل وينظمها نظما يجعل لكل لؤلؤة محلها ومكانها، في ضمن الدور الذي سيؤديه ذلك العقد. وبهذا الإلغاء يحكم على جميع الموجودات والأشياء ـ ومن ضمنها الإنسان ـ بالسير في هذا الكون كل بمفرده دون أن يربطه أية رابطة ببقية الموجودات، ودون أن يكون له هدف محدد، فيسلب الإنسان حينذاك إرادته الهادفة ووعيه الخلاق وقدرته على خلافة الأرض.

ولعل من الاستطراد هنا أن ننبه إلى أن اتهام اتباع المذهب الاشتراكي لإتباع الأديان السماوية بعدم الإيمان بالرابطة الكلية في الكون بين جميع الأشياء ليس سوى تهريج محض وهو مصداق للقول المعروف: رمتني بدائها وانسلت.

ان المذهب الاشتراكي بالغاية للغيب كلية وتفسيره للكون والتاريخ والأشياء جميعاً على أساس تطور وسائل الإنتاج والوضع الاقتصادي، هو الذي ينفي وجود رابطة عامة بين الأشياء ويحكم عليها بالسير منفردة دون علائق حقيقية تربطها مع بقية الموجودات.

ومجرد ادعاء الإيمان بهذه الرابطة وتفسيرها على أساس كون الحالة الاقتصادية هي العلة الأولى والمدبر الحكيم لسير الأشياء، مع كون الحالة الاقتصادية نفسها شيئاً من الأشياء في الكون محكوم بالنسبية والمعلولية، مجرد ادعاء ذلك لا يكفي لتحويل وسائل الإنتاج إلى علة حقيقية ولا يكفي لاثبات تلك الرابطة بين الأشياء في الكون على أساس تلك العلة الوهمية المدعاة.

قنوات الاستمداد الغيبي:

يتضح مما قدمناه ضرورة ارتباط الإنسان بالغيب وايمانه به كمصدر للهداية إلى الهدف وكمصدر للقوة والتسديد والعون الذي يحتاجه المؤمن في مواجهة الحياة وفي طريق اداء وظيفة الاستخلاف.

وهناك وسائل كثيرة تحقق هذا الارتباط وتوثقه: فالتفكير في الخلق والآفاق، والمناجاة، والدعاء، والصلاة وبقية العبادات الواعية، والاحراز والعوذات، كلها وسائل من شأنها تعميق الإنسان بربه وملء حياته بأهداف الغيب، وامداداته الروحية والمادية المتواصلة.

بالتفكير يعيش الإنسان مدركاً لما حوله ادراكاً كاملاً لا يشوبه كدر، لانه ينظر إلى الأشياء بعين الغيب الواسعة والنافذة إلى الأعماق. وبالمناجاة والدعاء تمتلئ حياته بالحب العارم والعاطفة الجياشة، لانه يقترب بذلك من مصدر الجمال وعين الكمال. وبالعبادة الواعية يجد الإنسان نفسه ويحقق ذاته لانه يعطي فرصة الوقوف بين يدي الملك الحق ليبث ما يجيش في صدره من مشاعر وشكوى وشوق وحنين، واستكانة وخضوع، دون ان يشعر بفرق بينه وبين غيره. وبالاحراز يكتسب الإنسان مزيداً من الطمأنينة ومزيداً من القوة والتصميم لأن الحرز يذكره بضعف الشيطان واوليائه، وبقوة الله تعالى وسطوته، يحشد له كل قوى الخير لتكون إلى جانبه، ويحيى في نفسه كوامن القوة وبواطن القدرة.

الحرز عنوان انتماء:

ان الاحراز تعطي للمؤمن هوية ثابته مؤداها: انه من جمع الله، وتكسبه حصانة اكيدة من كل قوى الشر الظاهرة والخفية. وإنما يتحقق ذلك بوعي الإنسان لما يحمل من احراز واستيعابه لمعانيها وتفاعله معها بشكل مستمر. وإذا كان حمل البطاقة الشخصية في هذا العصر هو عنوان شرعية وجود الإنسان وانتمائه إلى هذه البقعة من الأرض أو تلك، فإن حمل الاحراز هو عنوان الانتماء الأكثر أصالة، انتماء العبد إلى ربه والمخلوق إلى خالقه. وإذا كان لحامل البطاقة أن يعتز ويتقوى بحملها لانها صادرة من جهة رسمية راقية

فإن حامل الحرز أولى بالعزة واجدر بأن يشعر بالقوة والثبات لان بطاقته صادرة من مصدر العزة ومعدن القوة والسطوة: (ولله العزة جميعاً ولرسوله والمؤمنين).

اعطاء الحرز:

قد يتوهم الكثير من الناس في ان الحرز أو العوذة لابد وان تكتب من قبل شخص معين ـ هو العالم مثلاً ـ كي يتحقق منها الأثر المطلوب من حفظ أو عافية أو دفع حسد أوغير ذلك من الاغراض فتجد إصرار هؤلاء على استحصال الحرز مكتوباً بخطه ايماناً منهم بخصوصية العالم أو المرجع الروحي في ظهور المطلوب تحقيقه من الحرز.

وهذا ما يجب نقاشه وتنقيح المراد منه.. فإن كان الدافع لذلك الشعور بأن الحرز لا يؤثر ولا ينفع الا اذا خرج من يد ذلك الشخص المعين هو الاعتقاد بحق ثابت له دون الآخرين يجعله محتكراً لاصدار تلك الاحراز وبشكل يضفي عليه صفة ـ صاحب الامتياز ـ في اصدارها وكتابتها فهذا ما نؤكد على بطلانه وعدم صحته. فالاحراز والعوذات كتراث من تراث أهل البيت عليهم السلام مبذول للجميع وفي متناولهم دون فرق بين شخص وآخر. ولم يثبت بدليل شرعي اعطاء حق كتابة الاحراز لشخص معين دون آخر كما لم يثبت ذلك في الانتفاع بالادعية والتوسلات الواردة عنهم عليهم السلام. وان كان الدافع لذلك الشعور هو الاعتقاد بالبركة فيما يسطره ذلك العالم أو الشخص المعين باعتبار العقيدة بأن اليد التي لم تلوث بالمعاصي ولم تمتد إلى غصب حقوق الآخرين وظلم الناس. يد فيها من البركة واليمن مالا يوجد في غيرها. فهذا مالا اعتراض عليه بل مما نشجع عليه خصوصاً إذا كان الرجوع إلى العالم أو المرجع الروحي أمرا من شأنه ضبط عملية اعطاء الاحراز والانتفاع بها وتوجيه هذه العملية الوجهة الصحيحة. بعدم اعطاء إلا ما يطمئن بوروده عن النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين، وتجنب مادس في الكتب من خرافات وشعوذة مما لا يمكن للعامة من الناس اكتشافه واجتنابه. كما أن احتياج الناس إلى العالم في ذلك هو نوع ارتباط بينه وبينهم لابد وان يحرص على الاستفادة منه للتوجيه والتسديد والهداية. فرب طائفة من الناس لا يستطيع عالم الدين اللقاء بهم في ضمن دائرته الاجتماعية لانهم ممن لا يحضر المساجد ولا المحافل الدينية ولا اكتراث عندهم بالاحكام الشرعية يدفعهم للسؤال والتتبع. وإذا بهم يضطرون إلى مراجعة عالم الدين حين تعييهم المذاهب وتنسد عليهم السبل في ازمة من الازمات كالمرض أو الخوف أو ما إلى ذلك مما يعجز الإنسان عن مواجهته بمفرده دون مدد من ربه وخالقه. فيلتجئون إلى هذا الشخص طالبين منه العون والمساعدة في حل مشكلتهم بكتابة حرز أو ماشابهه لتكون هذه المشكلة هي الفرصة المناسبة للعالم

في أن يمد الجسور من جديد بين هؤلاء وبين دينهم وخالقهم، وحصول ذلك يتوقف على الوعي الصحيح والقدرات الذاتية عند ذلك العالم التي يجب أن يسخرها لخدمة الإسلام باعتماد الاسلوب الصحيح في اعطاء الاحراز والأدعية لا لخلق الرصيد الذاتي عند الناس باعتماد الاسلوب الطقوسي على حساب سمعته الدين وواقعية الإسلام.

هذا.. وقد رأيت أن أُلْحق بهذا البحث مجموعة منتقاه من الاحراز الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.. والتي يستفاد منها في اغراض متعددة، مما رواه السيد الأجل أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني في كتابه «مهج الدعوات» والكفعمي في كتابه: «مصباح المتهجد».



حرز للشفاء من الأمراض

قال ابن طاووس (ره): عن علي بن عبد الصمد قال حدثني جماعة من المدنيين عن الثقفي قال حدثنا يوسف قال حدثنا الحسن بن الوليد قال حدثنا عمر بن محمد الشيباني قال حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن الكوفي عن محمد بن فضيل بن غزوان بن عمران قال حدثني اسماعيل بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جالسا فدخل عليه رجل متغير اللون فقال: يا أمير المؤمنين اني رجل مسقام كثير الاوجاع فعلمني دعاء استعين به على ذلك فقال: اعلمك دعاء جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض الحسن والحسين(ع) وهو هذا:

(الهي كلما أنعمت علي بنعمة قَلَّ لك عندها شكري ولكما ابتليتني ببلية قَلَّ لك عندها صبري.. فيا من قل شكري عند نعمه فلم يحرمني ويامن قل صبري عند بلائه فلم يخذلني ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني ويا من رآني على الخطايا فلم يعاقبني عليها صلي على محمد وآله محمد واغفر لي ذنبي واشفني من مرضي انك على كل شيء قدير).

قال ابن عباس: فرأيت الرجل بعد سنة حسن اللون مشرب الحمرة.. قال: وما دعوت الله بهذا الدعاء وانا سقيم الا شفيت ولا مريض الا برئت وما دخلت على سلطان أخافه الا رده الله عزوجل عني.



حرز النبي صلى الله عليه وآله
لسبطيه الحسن والحسين عليهما السلام

روى السيد ابن طاووس بسنده عن ابي بصير ومحمد بن مسلم قالا: حدثنا جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام بهذه العوذة وكان يأمر بذلك اصحابه وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم أعيذ نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وخواتيم عملي وما رزقني ربي وخولني.. بعزة الله وعظمة الله وجبروت الله وسلطان الله ورحمة الله ورأفة الله وغفران الله وقوة الله وقدرة الله وبآلاء الله وبصنع الله وبأركان الله وبجمع الله وعزوجل وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدرة الله على ما يشاء، من شر السامة والهامة ومن شر الجن والانس ومن شر مادبّ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين



حرز للحفظ من كل مكروه
للسجاد عليه السلام يقرأ في كل صباح ومساء

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله صددت أفواه الجن والأنس والشياطين والسحرة والابالسة من الجن والأنس والسلاطين ومن يلوذ بهم.. بالله العزيز الاعز وبالله الكبير الأكبر. بسم الله الظاهر الباطن المكنون المخزون الذي أقام به السماوات والأرض ثم استوى على العرش بسم الله الرحمن الرحيم.. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون مالكم لا تنطقون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما. وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا. وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا.. وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا وإذا قرأت جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اليوم نختم على

أفواههم وتكلمنا أيديهم فهم لا ينطقون لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



حرز لدفع كل سوء وكل أمر مخوف
وقد دعا به النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر

«اللهم انت ثقتي في كل كرب وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة.. كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه القريب ويشمت به العدو وتعييني فيه الأمور انزلته بك وشكوته إليك راغبا فيه إليك عمن سواك ففرَّجته وكشفته عني وكفيته. فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حاجة ومنتهى كل رغبة فلك الحمد كثيراً ولك المن فاضلاً».



حرز للامان من شر الجن والأنس
مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

«بسم الله الرحمن الرحيم لا إله ألا الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن اشهد ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم».



حرز للحفظ من كل سوء
مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

روى انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من استعمله كل صباح ومساء وكل الله عزوجل به أربعة أملاك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وكان في أمان الله عزوجل، ولو اجتهد الخلائق من الجن والأنس ان يضاروه ما قدروا.

«بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه سم ولا داء بسم الله اصبحت وعلى الله توكلت بسم

الله على قلبي ونفسي بسم الله على ديني وعقلي بسم الله على أهلي ومالي بسم الله على ما اعطاني ربي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. الله الله ربي لا اشر كبه شيئاً الله أكبر الله أكبر وأعز وأجل مما أخاف واحذر عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم إني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل سلطان شديد ومن شر كل شيطان مريد ومن شر كل جبار عنيد ومن شر قضاء السوء ومن كل دابة انت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم وانت على كل شيء حفيظ. إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب الرعش العظيم».



دعاء أمير المؤمنين عليه السلام حين توجهه إلى اليمن تعلمه من النبي صلى الله عليه وآله

«اللهم إني اتوجه إليك بلا ثقة مني لغيرك ولا رجاء يأوي بي إلا إليك ولا قوة اتكل عليها ولا حيلة ألجأ إليها إلا طلب فضلك والتعرض لرجمتك والسكون إلى أحسن عادتك وأنت اعلم بما سبق لي في وجهي هذا مما احب وأكره فأيما أوقعت علي فيه قدرتك فمحمود فيه بلاؤك متضح فيه قضاؤك وأنت تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. اللهم فاصرف عني مقادير كل بلاء ومقاصير كل لأولاء وابسط على كنفا من رحمتك وسعة من فضلك ولطفا من عفوك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت وذلك مع ما اسأل كان تخلفني في أهلي وولدي وصروف حزانتي بأحسن ما خلفت به غائباً من المؤمنين في تحصين كل عورة وستر كل سيئة وحط كل معصية وكفاية كل مكروه وارزقني على ذلك شكرك وذكرك وحسن عبادتك والرضا بقضائك يا ولي المؤمنين. واجعلني وما خولتني وولدي ورزقتني من المؤمنين والمؤمنات في حماك الذي لا يستباح وذمتك التي لا تخفر وجوارك الذي لا يرام وامانك الذي لا ينقض وسترك الذي لا يهتك فانه من كان في حماك ونعمتك وجوارك وامانك وسترك كان آمنا محفوظاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



حرز للنبي صلى الله عليه وآله
يقرأ لكل كرب

«اللهم إني أعوذ بك ان افتقر في غناك أو أضل في هداك أو أذل في عزك أو أضام في سلطانك أو أضطهد والأمر إليك. اللهم إني أعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجورا أو أكون بك مغرورا».



دعاء أويس القرني تعلمه من أمير المؤمنين
عليه السلام لكل كرب ولكل حاجة وعسر

«ياسلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الطاهر المطهر القاهر القادر المقتدر يامن ينادى من كل فج عميق بألسنة شتى ولغات مختلفة وحوائج أخرى يامن لا يشغله شأن من شأن أنت الذي لا تغيرك الأزمنة ولا تحيط بك الامكنة ولا تأخذك نوم ولا سنة، يسر لي ما أخاف عسره وفرج لي من أمري ما أخاف كربه وسهل لي من أمري ما اخاف حزنه، سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت والحمد الله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم تسليماً».



حرز لسعة الرزق

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: من تعذر عليه رزقه وتغلقت عليه مذاهب المطالب في معاشه ثم كتب له هذا الكلام في (رق) ظبي أو قطعة من ادم وعلقه عليه أو جعله في بعض ثيابه التي يلبسها فلم يفارقه وسع الله رزقه وفتح عليه أبواب المطالب في معاشه من حيث لا يحتسب:

(اللهم لا طاقة لفلان بن فلان[1] بالجهد ولا صبر له على البلاء ولا قوة له على الفقر والفاقة فصلي على محمد وآله محمد ولا تحظر على فلان بن فلان رزقك ولا تفتقر عليه سعة ما عندك ولا تحرمه فضلك ولا تحسمه من جزيل قسمك ولا تكله إلى خلقك ولا إلى نفسه فيعجز عنها ويضعف عن القيام فيما يصلحه ويصلح ما

(١) يذكر اسمه واسم أبيه.

قبله، بل تنفرد بلم شعثه وتولى كفايته وانظر إليه في جميع اموره انك ان وكلته إلى خلقك لم ينفعوه وان الجأته إلى اقربائه حرموه وان اعطوه اعطوه قليلاً وان منعوه منعوه كثيراً وان بخلوا وهم للبخل أهل. اللهم اغن فلان بن فلان من فضلك ولا تخله منه فانه مضطر إليك فقير إلى ما في يديك وانت غني عنه وانت به خبير عليم. ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ان مع العسر يسرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب).



دعاء لكل حاجة مروى عن الزهراء البتول عليها السلام

(اللهم قنعني بما رزقتني واسترني وعافني ابدا ما أبقيتني واغفر لي وارحمني إذا توفيتني اللهم لا تعييني في طلب مالا تقدر لي، وما قدرته علي فاجعله ميسرا سهلا، اللهم كاف عني والدي وكل من له نعمة علي خير مكافأة اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به، ولا تعذبني وانا استغفرك ولا تحرمني وانا اسألك، اللهم ذلل نفسي في نفسي وعظم شأنك في نفسي والهمني طاعتك والعمل بما يرضيك والتجنب لما يسخطك يا أرحم الراحمين).



دعاء لقضاء الدين عن الزهراء عليها السلام تعلمته من النبي صلى الله عليه وآله

(اللهم ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والانجيل والفرقان، فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء صل على محمد وعلى أهل بيته عليه وعليهم السلام واقض عني الدين واغنني من الفقر ويسر لي كل الأمر يا ارحم الراحمين).



دعاء لكل شدة وكرب مروى
عن الإمام الحسن السبط عليه السلام

(يامن إليه يفر الهاربون وبه يستأنس المستوحشون صل على محمد وآله واجعل انسي بك فقد ضاقت عني بلادك واجعل توكلي عليك فقد مال علي اعداؤك اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني بك أصول وبك أجول وعليك أتوكل واليك انيب، اللهم وما وصفتك من صفة أو دعوتك من دعاء يوافق ذلك محبتك ورضوانك ومرضاتك فأحيني على ذلك وأمتني عليه، وما كرهت من ذلك فخذ بناحيتي إلى ما تحب وترضى، بؤت إليك ربي من ذنوبي واستغفرك من جرمي، ولا حول ولا قوة إلا بالله إله ألا هو الحليم الكريم، وصلى الله على محمد وآله واكفنا مهم الدنيا والآخرة في عافية يارب العالمين).



دعاء لمن قصد انساناً لحاجة
علمه أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام

قال: إذا قصدت انساناً لحاجة فاكتب ذلك وامسكه في يديك اليمنى وتذهب أين شئت:

(اللهم اني اسألك يالله يا واحد ياوتر يانور ياصمد يا من ملأت أركانه السماوات والأرض ان تسخر لي قلب فلان بن فلان[1] كما سخرت الحية لموسى بن عمران عليه السلام وأسألك أن تسخر لي قلبه كما سخرت لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون، وأسألك أن تلين لي قلبه كما لينت الحديد لداود عليه السلام وأسألك أن تذلل لي قلبه كما ذللت نور القمر لنور الشمس ياالله هو عبدك ابن امتك وانا عبدك ابن امتك اخذت بقدميه وبناصيته فسخره لي حتى يقضي حاجتي هذه وما أريد. انك على كل شيء قدير وهو على ما هو فيما هو لا إله إلا هو الحي القيوم).



(١) يذكر اسمه واسم أبيه.

دعاء للتوفيق لكل خير مروى عن الإمام الحسين السبط عليه السلام

(اللهم إني اسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل التقوى ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وحذر أهل الخشية وطلب أهل العلم وزينة أهل الورع وخوف أهل الجزع، حتى اخافك اللهم مخافة تحجزني عن معاصيك وحتى اعمل بطاعتك عملا استحق به كرامتك وحتى اناصحك في التوبة خوفاً لك وحتى أخلص لك في النصيحة حبا لك وحتى اتوكل عليك في الأمور حسن ظن بك سبحانك خالق النور سبحان الله العظيم وبحمده).



دعاء عند الدخول إلى كل بلد مروى عن الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام

(اللهم رب السماوات وما أظلت ورب الارضين السبع وما أقلت والرياح وما ذرت والشياطين وما أضلت والملائكة وما عملت أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وان ترزقني خير هذه البلدة وخير ما فيها وخير اهلها وخير ما قدمت له وان تصرف عني شرها وشر ما فيها وشر أهلها وشر ما قدمت له).

دعاء الإمام الصادق عليه السلام لدفع شر المنصور حينما استدعى في المرة الثانية إليه

ولذلك قصة يذكرها السيد ابن طاووس في مهج الدعوات وهذا هو الدعاء:

(حسبي الرب من المربوبين حسبي الخالق من المخلوقين حسبي من لم يزل حسبي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم حسبي الذي لم يزل حسبي، حسبي حسبي حسبي الله ونعم الوكيل.

اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واحفظني بعزك واكفني شره بقدرتك ومن علي بنصرك والا هلكت وانت ربي، اللهم انك أجل وأجبر مما أخاف واحذر اللهم اني ادرؤك في نحره واعوذ بك من شره واستعينك عليه واستكفيك اياه، يا كافي موسى فرعون ومحمد صلى الله عليه وآله الاحزاب الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، واولئك الذين طبع الله

على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون).



دعاء للدخول على الجبابرة وأهل السطوة عن الإمام الصادق عليه السلام قرأه عند الدخول على المنصور

(ياله جبريل وميخائيل واسرافيل واله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم تولني في هذه الغداة ولا تسلط على أحدا من خلقك بشيء لا طاقة لي به).



دعاء يحترز به من الشيطان والمردة والسلاطين والحرق والهدم والسبع واللص وكل سوء مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وعلمه لأمير المؤمنين عليه السلام

(اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام وأعزنا بسلطانك الذي لا يضام وارحمنا بقدرتك علينا ولا تهلكنا وانت الرجاء رب كم من نعمة انعمت بها علي قَلَّ لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قَلَّ لك عندها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويامن قَلَّ عند بليته صبري فلم يخذلني، ياذا المعروف الدائم الذي لا ينقضي ابدا وياذا النعماء التي لا تحصى عددا أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد الطاهرين وأدرء بك في نحور الاعداء والجبارين. اللهم اعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي بتقواي واحفظني في ما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته يا من لا تنقصه المغفرة ولا تضره المعصية اسألك فرجا عاجلاً وصبراً جميلاً ورزقا واسعا والعافية من جميع البلاء والشكر على العافية يا ارحم الراحمين).



دعاء الحجاب الذي احتجب به الإمام الصادق عليه السلام من سطوة ابي جعفر المنصور حينما استدعاه في المرة التاسعة

(بسم الله الرحمن الرحيم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا..

اللهم إني اسألك بالاسم الذي به تحيي وتميت وترزق وتعطي وتمنع ياذا الجلال والاكرام اللهم من أرادنا بسوء من جميع خلقك فاعم عنا عينه واصمم عنا سمعه واشغل عنا قلبه واغلل يده واصرف عنا كيده وخذه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه ياذا الجلال والاكرام).

قال موسى بن جعفر عليه السلام قال أبي عليه السلام: انه دعاء الحجاب من جميع الأعداء.



دعاء للخلاص من السجن مروى عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

(ياسابغ النعم يادافع النقم يابارئ النسم يامجلي الهم يا مغشي الظلم يا كاشف الضر والالم ياذا الجود والكرم، ويا سامع كل صوت يامدرك كل فوت يا محيي العظام وهي رميم ومنشئها بعد الموت صلي على محمد وآل محمد وأجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ياذا الجلال والاكرام).



حجاب مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اللهم بما وارت الحجب من جلالك وجمالك وبما أطاف به العرش من بهاء كمالك وبمعاقد العز من عرشك وبما تحيط به قدرتك من ملكوت سلطانك، يامن لا راد لأمره ولا معقب لحكمه اضرب بيني وبين اعدائي بسترك الذي لا تفرقه العواصف من الرياح ولا تقطعه البواتر من الصفاح ولا تنفذه عوامل الرماح. حل يا شديد البطش بيني وبين من يرميني بخوافقه ومن تسرى إلى طوارقه وفرج عني كل هم وغم، يا فارج هم يعقوب فرج عني همي يا كاشف ضر أيوب اكشف ضري واغلب لي من غلبني ياغالباً غير مغلوب.

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خير وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا: (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين).



دعاء العافية مروى عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)

(اللهم إني ادعوك دعاء العليل الذليل الفقير أدعوك دعاء من قد اشتدت فاقته وقلّتْ حيلته وضعف عمله ومن الخطيئة والبلاء، دعاء مكروب ان لم تداركه هلك وان لم تستنقذه فلا حيلة له، فلا تحط بي يا سيدي ومولاء وآلهي مكرك ولا تثبت على غضبك ولا تضطرني إلى اليأس من روحك والقنوط من رحمتك وطول الصبر على الاذى، اللهم لا طاقة لي على بلائك ولا غناء بي عن رحمتك وروحك وهذا ابن نبيك وحبيبك صلواتك عليه، به اتوجه إليك فانك جعلته مفزعا للخائف واستودعته علم ما كان وما هو كائن، فاكشف ضري وخلصني من هذه البلية إلى ما عودتني من عافيتك ورحمتك انقطع الرجاء الا منك ياالله يا الله يا الله).



دعاء للشفاء من العمى رواه الإمام الرضا عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله

قال: تصلي ركعتين ثم تقول:

(اللهم اني اسألك وأدعوك وأرغب اليك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك إلى الله ربي وربك ليرد بك عليَّ نور بصري).



دعاء لضعف نور البصر

(اعيذ نور بصري بنور الله الذي لا يطفأ) وامسح بيديك على عينيك وتقرأ آية الكرسي.



دعاء الكرب الذي علمه الإمام زين العابدين عليه السلام للحسن المثنى عندما اخذ ليُضْرب خمسمأة سوط فانجاه الله

(لا إله الا الله الحليم الكريم لا إله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم والحمد الله رب العالمين).



دعاء للامن من الفتنة والضلال عن الصادق عليه السلام

قال: سيصيبكم شبه فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى ولا ينجو فيها الا من دعا بدعاء الغريق وهو: (يا الله يا رحمن يارحيم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)

دعاء لطلب الولد والذرية

روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام انه قال لبعض اصحابه: (قل في طلب الولد):

(رب لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين واجعل لي من لدنك ولياً يرثني في حياتي ويستغفر لي بعد وفاتي واجعله سويا ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً. اللهم استغفرك واتوب اليك انك انت الغفور الرحيم).



دعاء آخر لطلب الولد

روى عن الإمام الباقر عليه السلام في طلب الولد: يقال في الصباح والمساء:

(سبحان الله) سبعين مرة، وعشر مرات (استغفر الله) وتسع مرات (سبحان الله) ثم تقول في العاشرة: «واستغفروا ربكم انه كان غفّاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا».



حرز للتوقي من السحر
من خاف السحر فليقرأ

«قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلمّا ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحره سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى».

